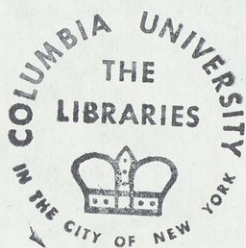
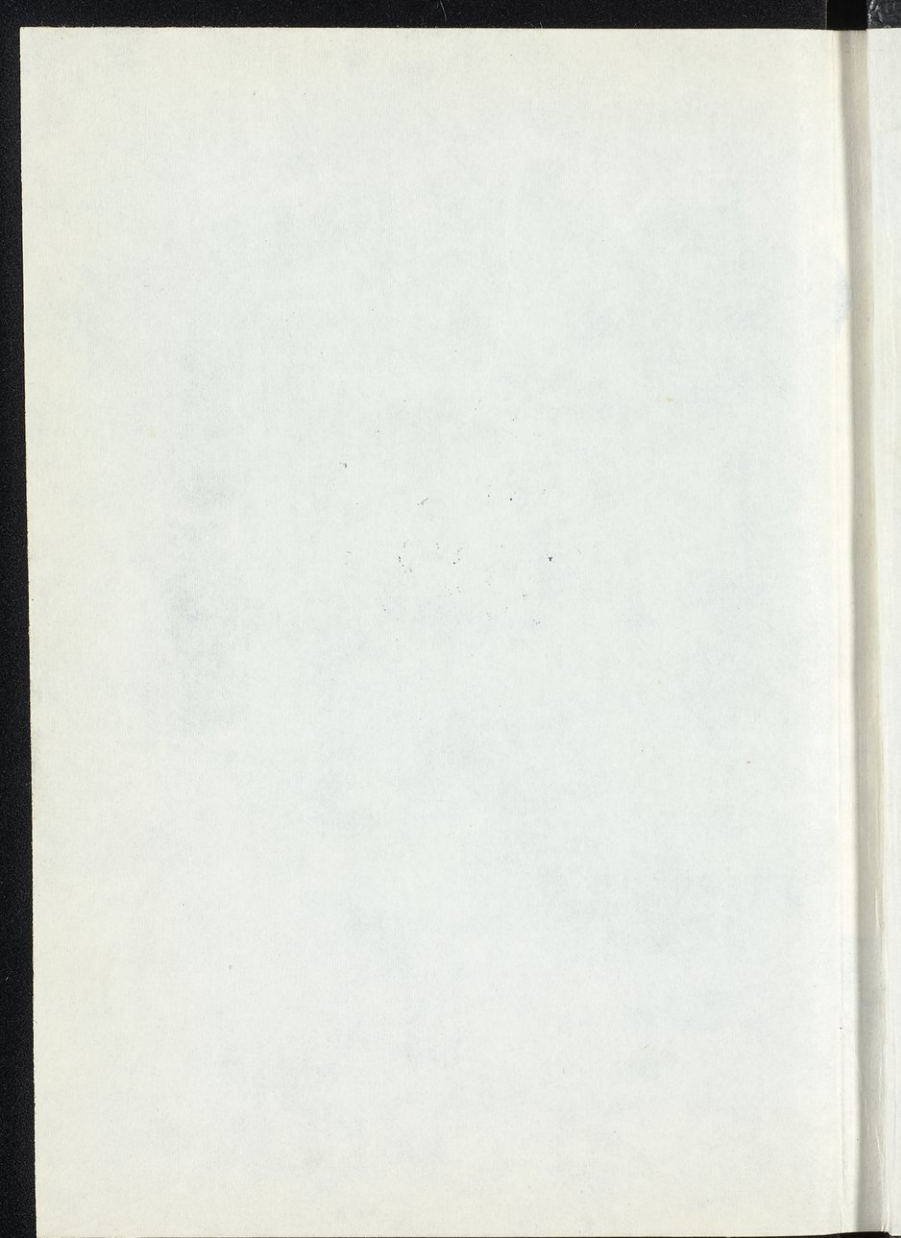


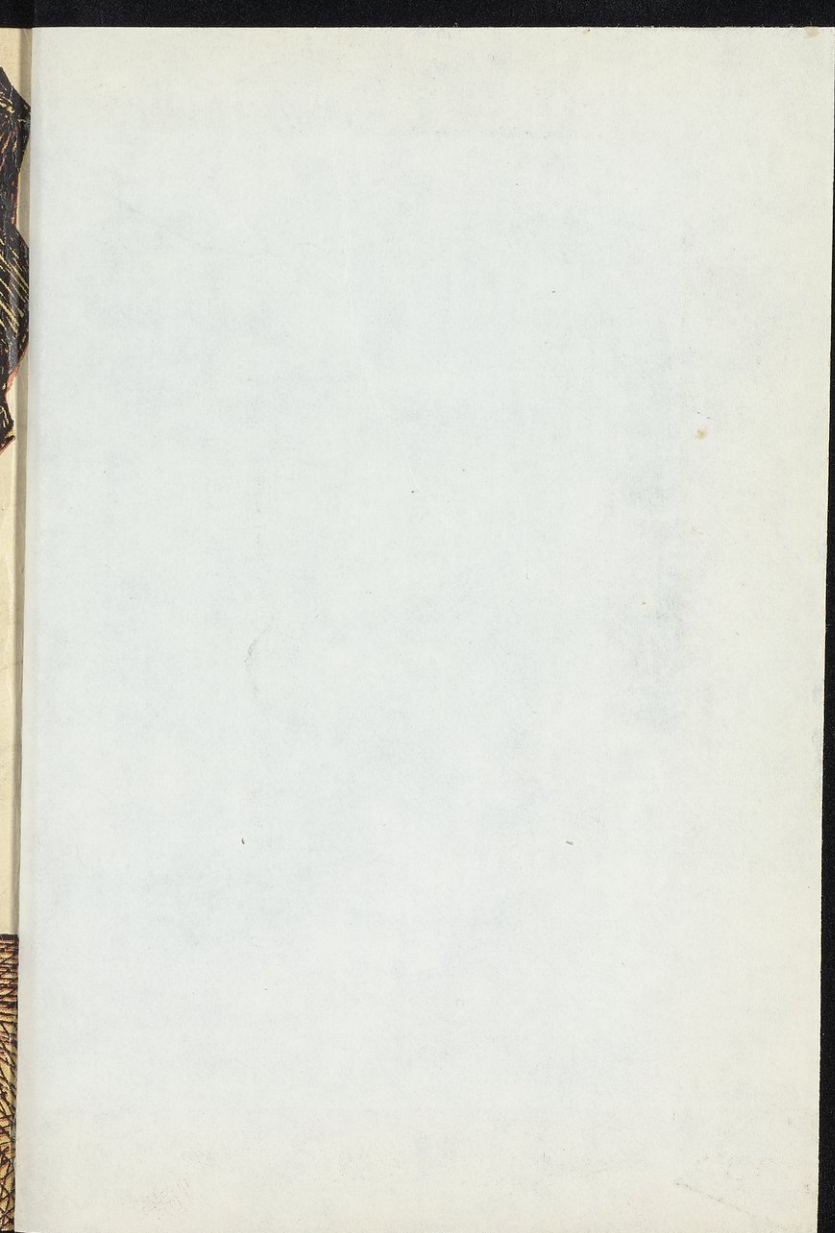
البرهان العقلي

البرهان



GENERAL
LIBRARY



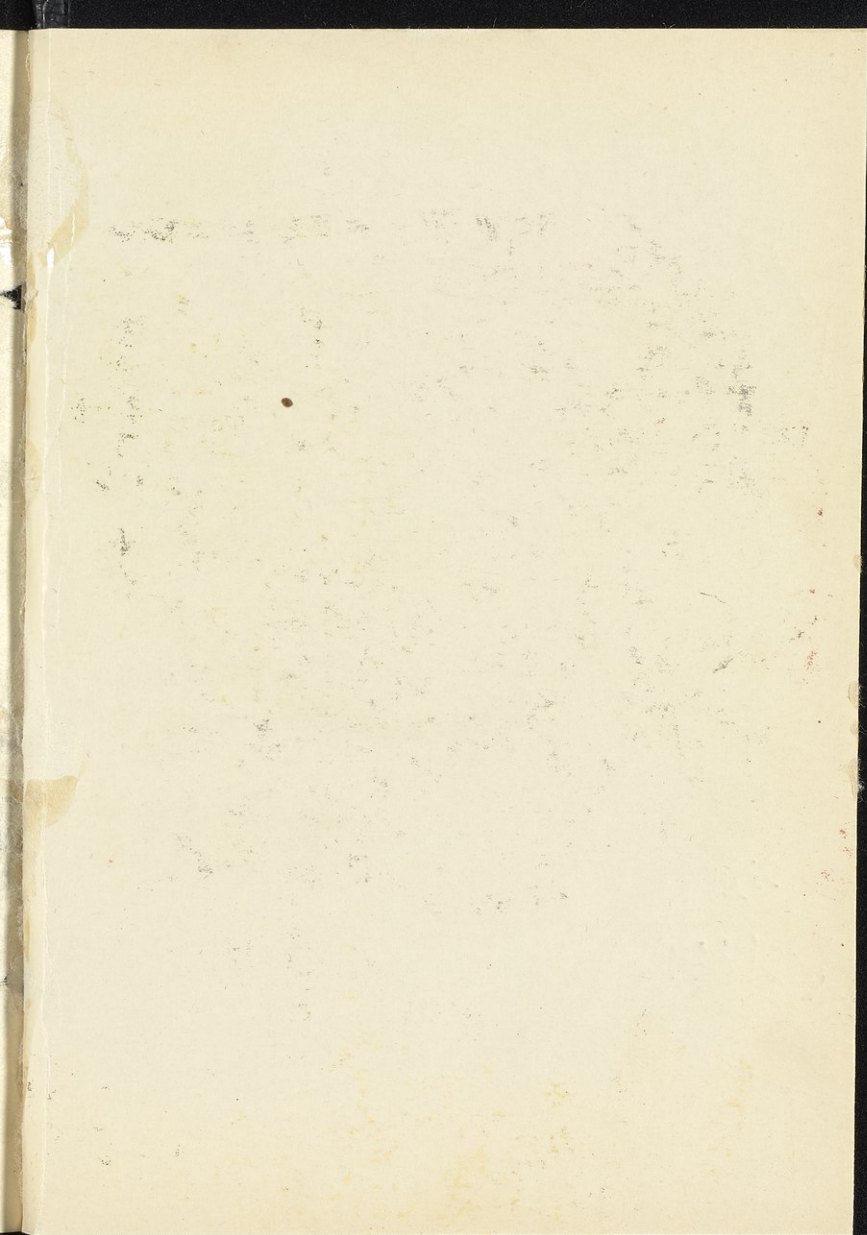


عبد الله البعيني



ابوذر

الفقاري



عبد الله السبتي

ابوزر الغفاري

مطبعة صور الحديثة

BP

80

.A225

S92

هذا ابو ذر

♦ ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذى لهجة اصدق

اصدق من ابي ذر

♦ امرني ربي بحب اربعة واخبرني انه يحبهم علي وابو ذر

والمقداد وسلمان

♦ ابو ذر في امتي شبيه عيسى بن مريم في زهده

♦ من سره ان ينظر الى تواضع عيسى بن مريم فليتنظر

الى ابي ذر رسول الله

♦ ابو ذر وعي عالماً ففجز الناس عنه ثم او كأعليه ولم يخرج

منه شيئاً علي

♦ ابو ذر اول من تكلم في علم البقاء والفناء

ابو نعيم الاصبهاني

الاهداء

الى سيادة الاديب محمد قبا زرد
 اخي : لقد بذلت لطبع الجزء الثاني من اللعة الدمشقية
 سبعة وخمسين جنيها مصريا ، ولقد ذهبت مع غيرها يوم الغت
 الحكومة المصرية القطع الكبيرة من البنك نوط المصرى ، ولم
 استطع يوم طبع الجزء الثاني ان اشير الى شيء من هذا
 للظروف الراهنة يومذاك ، والان اقدم لك هذا الكتاب
 اعترافا بجميلك واداء لشكرك مع الشناء العاطر وعسى ان تكون
 قدوه لغيرك ممن انعم الله عليهم

عبدالله السبيتي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(و)

تصدير

في كل امة وفي كل مجتمع ، رجال عظام وقفوا
في وجه الاستبداد

وفي الماضي عظماء تحدث عنهم التاريخ باعجاب
واكبار وتحدث عن آتيهم باحترام
وفي التاريخ - والتاريخ مجلي الذكريات - اعظم
لا تزال مآثرهم تمتد فتكون بواسق وتتعدى منها
العقول فتكون مبادئ

هناك اعلام تغالبوا مع الموت فقهروه ، وتصارعوا
مع الفناء فانتصروا عليه ، وساروا مع الزمن خالدين
تمجدهم الانسانية ، وترفع لهم اعلام العظمة عالياً
مرفرفاً

في التاريخ مثالون ناضلوا في سبيل الحق ، ووقفوا
في وجه الظلم بعزيمة ثابتة ولم يطأطوا امام الباطل
انتصاراً للحق

هذه العظمة هي قصه ابي ذر الذي عرفه اهل
السماء اكثر مما عرفه اهل الارض والذي قال فيه
رسول الله (ص) ما اظلمت الخضراء ، ولا اقلت الغبراء
اصدق لهجة من ابي ذر

(ز)

هذه المثالية هي مضاء العزم والارادة الواعية
الثابتة عند ابي ذر
هذه المآثر هي الجرأة في مواجهة الظالم والصبر
على الاحداث
هذا ابو ذر الذي غالبه الموت فانتصر عليه
وغالبه الفناء فقهره
رحمك الله اراد المستبد ان يدفنك فارتفع صوتك
مجلجلا في الاجواء واراد ان يحقرك فكنت
عظيماً من العضاء

عبدالله السبيتي

تَقْدِيم

بقلم شيخنا الاعظم

حجة الاسلام الشيخ مرتضى آل يسن

☆☆☆

لصديقا الاستاذ السبقي قريحة خصبة بالفطرة ، يقوم على تغذيتها وتنميتها عاملان اثنان ، رغبة ملحة متبادية في البحث والدراسة وغيره دينية بالغة تكاد تلتهب في نفسه ناراً

بهذا عرفت المؤلف منذ عرفته ، وما برح دائماً في توجيه قريحته تلك الى عالم الانتاج يستوحىها البرهة بعد البرهة كلما سنح له موضوع من الموضوعات التي تتوافر عليها رغبته وغيرته حتى استطاع بعد لاي من الزمن ان يتحف المكتبة العربية بعدد من مؤلفاته الممتعة كان من اهمها اثرأوابعدها خبرا كتابه الذي اسماه « تحت راية الحق » في الرد على كتاب « فجر الاسلام » غير ان المقادير المحتمة لهذا الكتاب قضت عليه يومئذ وهو لا يزال في مهده ، قبل ان يستطيع الحبو الى الاسواق فذهب « ويا للأسف » طعمة النار على مشهد من دائرة « الجمارك والمكوس » التي كان لا يزال الكتاب في حوزتها ينتظر اذنهما في الخروج الى ايدي القراء على ان هذه النار المقدرة له عمدالم تستطع ان تطفئ

على مقدرات الكتاب من ناحية قيمه المعنوية مهما طغت عليه من ناحية المادة ، بل كان الامر بالعكس فما كاد يشيع نبأ احراقه بين الاوساط الادبية حتى لجج القراء في طلبه اياما لحاج ، وكان من حسن الحظ ان استأثرت المطبعة منه بنسخ معدودات فما كادت تبدأ بنشرها حتى امتدت اليها الايدي تتلقفها من كل صوب ، واشراأت اليها الاعناق تستشرفها من كل مكان

وهكذا شاعت الظروف القاسية يومذاك ان تعنف بمعاملة هذا الكتاب حتى يقضي نحبه شهيدا على مذبح الغار إلا تلك النسخ القليلة التي كتب لها النجاة فتداولتها الايدي هنا وهناك

ثم لم يمض الزمن طويلا حتى طلع علينا المؤلف بكتابه الثاني « سلمان الفارسي » فكان « والحق يقال » نموذجا صالحا من حياة ذلك الصحابي العظيم ، واثرا طيبا من آثار هذا المؤلف الكريم وها هو اليوم يطلع على قراءه بعد ذينك الكتابين بكتابه الجديد الذي بين يديك ليعززهما بثالث ، اوليعزز سلمان باخيه ابي ذر ، ولعل الصلة الوثيقة التي استحالت اخوة دينية بين هذين الصحابين العظيمين ايام حياتهما هي التي حدثت بالمؤلف الى اختصاصهما بالبحث والترجمة دون غيرهما من الصحابة الكثر ليكرن وفيما لهما جميعا كما كان احدهما وفيما للآخر

وفي الحق ان لكل من هذين الصحابين رضى الله عنهما « لشأننا من الشأن جديرا بالدعاية له والتشهير به بين ابناء الجيل الحاضر

والاجيال القادمة تنويرها بالمثل العليا ، واشاعة للمزايا الانسانية الحققة
التي لا مناص عن التوفر عليها لاي انسان يسعى سعيه ل' ان يكون
انساناً كما اراد الله تعالى ان يكون ، اذن فليس بدعاً من المؤلف
اذا اختص هذين الصحابين الكبيرين بجهوده وعنايته رغم
العلم بوجود غيرهما من الصحابة الامثال ممن لا تجهل شخصياتهم
اللامعة

لقد تطلع المؤلف الى حياة « ابي ذر » ايام جاهليته فلم يجد
لها ذكراً وافياً مشعباً بين صفحات السير والتاريخ ، فرثى وتوجع
وقذف التاريخ العربي بالشح فيما يجب ان يكون سخياً فيه ،
وبالاهمال فيما يجب ان يكون معنياً به ، والحقيقة ان « ابا ذر »
رضي الله عنه لم يكن من الشخصيات النابذة قبل الاسلام ليستطيع
التاريخ ان يلم بحياته الماما كافياً ،
وان يعرض لها عرضاً وافياً ، ومتى كان في امكان التاريخ ان يلم
باحوال غير النابئين من الناس على انه لم يغفل ذكره اغفال
الغامرين الذين لم يعرض لحياتهم بكثير ولا قليل ، بل عرض
لذكره من حيث نبه فسجل له موهبة البسالة في مواقفه
بين رجال قومه ، وذكر له ميزة التوحيد في العقيدة
وميزة الصلاة لله تعالى قبل ظهور الاسلام بثلاث سنين
وما كان اغنى المؤلف بحياة « الغفاري » وهو صحابي مسلم
عن الاهتمام بحياته وهو جاهلي مشرك لولا اضطراره بواجب

(ك)

ترجمته الذي من شأنه ان يأخذه باستقصاء البحث عن حياته استقصاء لا يغادر فيها صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وهو ما اهاب بالمؤلف الى قذف التاريخ بالشح حين رجع اليه فوجده ضئيلاً باحوال « ابى ذر » في عهده الجاهلي لا وجود عليه الا بالطل منها دون الوايل ، واين الطل من غلة الباحث الظمان الذي لا يرويه الا الفيض المتدفق يسح عليه سحاً او يغدق عليه اغداقاً

بيدان شح التاريخ بالغام ما بلغ ليس من شأنه ان يغض من كرامة الباحث ان هو اقتصر على ما اقتصر عليه التاريخ وليس من شأنه ان يسف بقيمة البحث ان هو وقف عند الحد الذي وقف عنده التاريخ ، فما الباحث الا رائد امين ليس عليه الا ان يلم بما يعلم ، ثم له العذر كله في اهمال ما لا يعلم ، وما يضير الباحث ان يكون التاريخ شحيحاً او سخياً اذا هو شح حيث شح ، وسخا حيث يستخو كما صمغ المؤلف في كتابه الذي بين يديك حيث اقتضب الحديث عن ابى ذر من حيث اقتضبه التاريخ ، وافاض من حيث افاض ، فجاء الكتاب كما ترى شحيحاً بتاريخه في العهد الجاهلي ، سخيابه في العهد الاسلامي ، وهو على كل حال صورة كاملة لحياة ابى ذر الصحابي العظيم لا تنبذ بافراط ولا تفريط

فاليك ايها القارى « اباذر العفاري » ماثلاً امام عينيك لا يستره عنك حائل ولا حجاب فاقرأه في جاهليته واسلامه ، في حسبه ونسبه ، في سيرته وسريته في سره وعلايته في علمه وعمله ، في زهده وتعبدته في اخلاقه وخلاته في كفاحه وجهاده في نصائحه وارشاده ، في اي

شيء شئت من اقواله وافعاله

اقرأ ما شئت أن تقرأه فصلاً ، ففصلاً ، وتصفحه
ما شئت أن تتصفحه ظهر وبطناً ، فسوف لا تجده إلا انساناً من نور ،
أو نوراً على صورة انسان قد تجسد على وجه هذه الارض فكان
«اباذر» لا اقل ولا اكثر

أرأيت الى ابي ذر حين جعل الالهة الهأ واحداً فوحده
وعبده وقدمه ومجده ؟ يوم لم يكن من حوله إلا ظلمات الشرك
يركب بعضها بعضاً ، وغياهب الوثنية تذرع الجزيرة طولاً وعرضاً
ودياجير الجاهلية تملأ الافق سماء وارضاً ، من وهب بصيرته تلك
النظرة ونفت في روعه هاتيك الفكرة ؟ أشويهات ، غفار وغنيماتها
ام لات قریش ومناجاتها ، ام هو ذلك النور الذي استحال اليه ابوذر ؟
فكان به كما شاء الله ان يكون انساناً من نور ، او نوراً على صورة انسان
وهب ان الطبيعة بما فيها من بدايع التكوين هي التي وهبت
ابا ذر عقيدة التوحيد التي طالما وهبتها غيره من البشر ، فمن فكر
فيها وتدبر ، ونظر فابصر فمن ياترى هداة الى الصلاة يعبد بها ربه
من قبل ان يصعد بالدين بثلاث سنين ، فهل في شئون الطبيعة ما يهدي
الى الصلاة كما يهدي الى التوحيد ، كلا فما كان للطبيعة وهي مظهر
من مظاهر التكوين ان تصبح يوماً ما مصدراً من مصادر التشريع ،
اذن فكيف صلى ابوذر ولما تشرع الصلاة ومن اين استوحاها ولما
ينزل الوحي ؟

ان هذا والله لهو العجب العجائب الذي يملأ افاق النفس ثم
 لاتهتدي الى كشفه سبيلا ، وان هذا الهوالسر المستسر الذي تنقطع
 عنده كل وسائل الفلسفة والتعليل مهما ذهبت بعيداً او قريباً ،
 وان هذا هو اللغز المطلسم الذي لانكاد نجذله حلالاً من ناحية
 الغفاري نفسه حين لاتصوره إلا كما تصورناه انساناً من نور او
 نوراً على صورة انسان

وحسبك للتعرف بهذا الانسان النورى ، او النور الانساني
 ان تستقرى بعد هذا سيرته المشرفه منذ اليوم الذي بدء فيه
 اسلامه على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اليوم الذي
 فارق فيه هذه الحياة الدنيا فان له بين ذلك المبدأ أو هذا المنتهى
 حياة حافله قلما يضفر بمثلها انسان في هذه الحياة إلا ان يكون
 ذلك الانسان انساناً ابدياً (١) ونوراً من نوع ذلك النور
 المتجسد على وجه الارض وانى للانسان ان يضارع ابا ذر العظيم
 في سيرته المليئة بكل عظيم مالم يكن انساناً غير هذا الانسان المادى
 الذي تغريه الدنيا ويفتنه النعيم ، النعيم الذي لو شاء ان ينال منه
 ابو ذر لنال منه اقصى ما يناله هائج ثائر ولكن ابا ذر العبقري
 ابى إلا ان يكون في زهده شبيه عيسى في امة محمد (ص) (٢) وابي
 إلا ان يلقي حبيبه المصطفى يوم القيامة كما فارقه في الدنيا (٣)
 ليس له ولاهله من القوت في كل يوم الاصاع واحد

«١» نسبة الى ابي ذر كقولهم عبشى نسيبه الى عبد شمس وما شبه -

من التمر ، وأبى بالنهاية إلا أن يثور على تلك الاثرة الاموية صارخا في وجههم في شوارع المدينة طوراً وفي شوارع الشام أخرى رافعاً عقيرته بقوله عز من قاتل « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم »

بهذا ومثله صرخ أبو ذر في وجه الامويين واحزابهم حين دعاه الواجب الى الدعوة ضد الامويين واحزابهم كما صرخ من قبل صرخته في وجه الشرك يوم دعاه الواجب في فجر الدعوة الى الدعوة ضد الشرك ، وما برح كذلك صارخا في وجه الباطل اينما وجد الباطل ، وذائدا عن الحق ما استطاع الذود عن الحق حتى ضاع به رجال الحكم ذرعا ، واستثقلوا ظله بين ظهرانيهم وخافوه على دنياهم ودولتهم ، فاجمعوا امرهم على ابعاده من حواضر الاسلام الى حيث لا يسمعون له ركزاً ولا همساً ، فادلفوا به ارض « الرينة » منفيًا ثم لم تمض عليه ثمة إلا ايام و ايام حتى

ذلك « ٢ » إشارة الى قول النبي « ص » في امتي ابو ذر شبيه عيسى بن مريم في زهده « ٣ » إشارة الى حديث مالك بن دينار ان النبي « ص » قال ايكمل يقاني على الحالة التي افارقه عليها ؟ فقال ابو ذر انا يا رسول الله فقال النبي « ص » صدقت ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذى لهجة اصدق من ابي ذر من سره ان ينظر الى زهد عيسى بن مريم فلينظر الى ابي ذر

نزل به القدر المحتوم ففضى نحيبه في تلك الفلاة وحيدا في غربته بعيدا من دار هجرته ليس لديه من ذويه وغير ذويه الا زوجته الوحيدة وقيل ابنته قائمه عند راسه تندبه تارة وتستشرف الفلاة اخرى عسى ان تجد في افاقها الشاسعة من شذاذ الطريق من تستعينه على امره ، الى ان قيض الله لها نفرا من اهل العراق نزلوا اليه فسعدوا بتجهيزه ودفنه

وهكذا ختم لابي ذر الصديق في مفتتح العهد الاموي في الاسلام وليس له من ذنب يؤخذ به إلا انه كان مسلما كما يريد الاسلام ومؤمنا كما يجب ان يكون المؤمن ، ومخلصا كما يقتضيه واجب الاخلاص ، فهو لا يقر على الباطل مهما سلحته القوة ، ولا ينكص عن موازنة الحق مهما اعوزه السلاح ، ولو نظرت الى مواقفه الجريئة في المدينة والشام على عهد الامويين عثمان ومعاوية لرايت لها عناوين من اضخم مارايت من البطولة والجرأة والاقدام على انه لم يكن لديه من السلاح ما يطغي به على السلطان الاموي إلا لسانه الذي بين فكية يديره بأى من القرآن او بما توراث من السنة فتنتطلق من بين شذقيه كأنها قذائف الصاروخ تنصب على هياكل الباطل فتتهزها هذا وتزلزلها زلزالا

وكم كان للسان هذا من اثر فعال في توجيه الراي العام ضد الحزب الاموي الذي كان يؤلفه آل ابي معيط وآل مروان يوم استحوذوا على الخلافة الاسلامية فسلكوا بها سبيلا غير سبيل الله وسبيل

رسوله حتى انتقض عليها المسلمون من قريب وبعيد فكان من نتائجها
يوم الدار

ومن جراء هذا اللسان الذي كان قد نوه بصدقه لسان الصادق
الامين حيث يقول : « ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذى
لهجة اصدق من ابي ذر » نزل بهذا الصحابي العظيم ما نزل من
انواع المحن والاضطهاد حتى ادى به الامر الى تلك المأساة التاريخية
التي سوف تبقى لطخة في تاريخ بني اميه ما بقى للتاريخ من اسم يذكر

مر تضي آل يس

٢٣ ربيع الثاني ١٣٦٤

ابو ذر قبل الاسلام

لئن كان شيء من تاريخ رجال محمد صلى الله عليه وآله
توطئة وسلم غامضاً ومحجوباً فلتكن حياة ابي ذر قبل
الاسلام ، فان التاريخ لم يسمح لنا بالتحدث عنه قبل الاسلام ، ولم
يفسح لنا مجالاً للتعرف عليه او على شيء من حياته في الجاهلية ، ولعل
القارئ عبر الى الجزيرة العربية قبل الاسلام وقراء تاريخها فرأى
الغموض ورأى الاهمال في كثير من النواحي التي تهتم الباحث
اليوم . ومن حقنا ان تأخذ هذه الظاهرة على التاريخ ، فانه لبث
قروناً واحقاباً لا يحسب للامة حساباً ، ولا يقيم لها وزناً ، ولا
يعبأ بحياة الانسان لا كثيراً ولا قليلاً ولا يأبه بهذا المجتمع
الزاهر ، وانما مائت صفحاته بذكر الملوك والامراء ، وابنائهم
وما يرافق حياتهم من كرم وشجاعة ، ولهو وخلاعة وما الى
ذلك فكأن التاريخ كان وقفاً على الملوك والامراء وما يمت الى
حياتهم بصلة ، او ان تاريخ الامة انما هو تاريخ هؤلاء الاشخاص ،
وليس من شيء ادعى للأسف وابعث على الحسرة من انك اذا اردت

ان تتعرف على شخصية بازرة ، او تلم بها المامة سريعة في حياتها الاولى ايام الطفولة او ايام الشباب او في مكاتها من الهيئة الاجتماعية وما يتصل بذلك فلا تظفر بشيء ولا تجد من يلبي ارادتك او يسمع نداءك ، وترى الطريق أمامك ملتوية كل الالتواء او هي مغلقة .

ان الباحث اليوم يقف مرتبكاً عند ما يصل الى هذه النقطة ، فلا يظفر بكلمة واحدة عن حياة طبقات الامة ، او حياة افرادها الذين يرتفع بهم قدر الامة ويكونون حلقة من سلسلة العظماء في تاريخ البشرية ، ولشد ما يكون مرتبكاً اذ يشاهد النقص وتعوزه النصوص العلمية فلا يجد ما يتوكل عليه ولا يجد من القول ما يسد حاجة ، وكان من الطبيعي ان يأتي بحثه متردداً بين الكمال والنقصان .

ومن الحق ان نعتبر هذا الالتواء عشرة تغض من قدر التاريخ وتغض من قيمته ، ومن الحق ايضا ان نعتبر هذا جناية على الامة وعلى الافراد الافذاذ الذين ارتفع بهم الحظ الى منزلة سامية ، ورافقتهم العظمة الى مدى بعيد ، وتبوءوا مكاناً عالياً في الهيئة الاجتماعية وكتب اسمؤهم في سجل الخلود على صفحة العباقرة

والمؤرخ اليوم لا يقتنع بهذا النوع من البحث المشوه ، يستمليه من بطون الكتب ناقصاً ويتعجل به الى الناس ، وانما يريد صورة صحيحة ومراة صافية يرى منها البعيد بما فيه من خير وشر ، وحق وباطل وخطاء وصواب وسهولة والتواء ، وبالاخير يريد ان يتعرف الناس ما وراء هذه الصور ليتعمقوا في حقائقها وليقفوا على دقائق الحياة النفسية بما فيها من خير وشر وراحة واضطراب وسعادة وشقاء وصواب وخطاء

ولسنا نريد ان نقف هنا ولكن يجب ان نقف هنا راضخين او مكرهين !!

ولا نعذر ان تركنا التحدث عن حياة عظيم من عظماء المسلمين هو ابوذر في الجاهلية . . ولكن يجب على القارىء ان يعذرنا ، فانه على شدة ما غنينا في البحث والتنقيب في مضان البحث والتنقيب وعلى شدة ما راجعنا كتب السير والتاريخ والادب وجدناها خرساء كأنها لا تعرف ابادر الشجاع في الجاهلية وكأنها ما سمعت به وكأنها لم تعلم بان الله سبحانه قدر في مكنون علمه ان ابادر سيكون عظيماً في نفسه عظيماً في علمه عظيماً في مبادئه عظيماً في كل شئ ولعلها علمت كل ذلك ولكن . . .

نعم - كل ما حدثتنا به تلك الكتب عن ابى ذر انه « كان رجلاً يصيب الطريق وكان شجاعاً منفرد وحده يقطع الطريق ويغير الصرم

في عماية الصبح على ظهر فرسه او على قدميه كانه السبع فيطرق الحي
ويأخذ ما اخذ ثم ان الله قذف في قلبه الاسلام « هذا كل ما حدثنا به
كتب السير ، ولقد دأمني هذا الامر - ولعله هالك ايها القارىء ايضاً -
واوجعت خيفة من هذا الغموض في حياة رجل عرفته الجاهلية شجاعاً
وعرفه الاسلام عظيمًا وعرفته المبادئ صريحاً عمقياً ، وهل لهذا
الغموض والاهمال تعديل فستريح اليه ويستريح اليه القارىء ايضاً ؟
ان كتب السير والرجال غنيت بكثير من رجالات الصدر الاول
عناية كبيرة وان اعترف لهؤلاء بقيمته التاريخية ولكنهم لم يكونوا
اعلى قيمة من ابى ذر صاحب الشخصية الفذة العجيبة ، اذن فما هذه
الظاهرة التي نقف عندها بكثير من الاحتياط والتحفظ آسفين ؟
انى احترم المؤرخين واقدر جهودهم واكبر عملهم ولا يعنى
هذا أنهم احسنوا في هذا الاهمال في اشخاص واصابوا الحقيقة بتلك
العناية في اشخاص .. ولعل هذا النحو من الاهمال وذلك النحو من
العناية يفتح باب الريب والشك في هذه العناية ، ولعله من الهين الوقوف
عند تلك العناية التي عنيتها كتب الرجال في كثير من الاشخاص يقف
عندها متعرضاً لها مقرباً ومبعداً ، فان الفلسفة التاريخية جعلت الكتاب
اكثر صراحة مما سبق ، وجعلته لا يتقيد بالنصوص لاسباب غير
تجهوله والكتاب الصريح يأبى ان ينخدع ويأبى ان يترك عقله للعبث
به ، وقلمه للاسترسال وراء كل شيء ولا يجوز ابداً ان تكون العقيدة

مصدراً تاريخياً تفسر وتأول وتصوب وتخطئ ، ولنقف هنا وتنبه فان المجال لا يستع

ومهما يكن من شيء فان كتب السير حدثنا عن شيء تألهه
 اخر من حياة ابي ذر في الجاهلية فقالت : « ان ابا ذر
 كان يتأله في الجاهلية يقول : « لا اله الا الله » ففي حديث نجيح « كان ابو ذر
 يتأله في الجاهلية ويقول : « لا اله الا الله » ومن حديث عبد الله بن
 الصامت الغفاري عن ابي ذر « .. وقد صليت يا ابن اخي قبل انلقى
 رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بثلاث سنين » فقلت لمن ؟ قال :
 لله فقلت اين توجه ؟ قال ، حيث يوجهني الله اصلى عشاء حتى اذا
 كان من اخر المسحر القيت كائني خفاء حتى تعلموني الشمس » ومن
 حديث ابي ليلى الاشعري عن ابي ذر « .. فقلت ابيك يا ابا بكر . فقال
 هل كنت تتأله في الجاهلية ؟ قلت : نعم . لقد رأيته اقوم عند الشمس
 فلا ازال مطبياً حتى يؤذيني حرها فأخر كائني خفاء ، فقال لي : الى
 اين تتوجه ؟ فقلت : لا ادرى الا حيث وجهني الله حتى ادخل على الاسلام »
 ليس من البدع ان يتأله ابو ذر وليس من الغريب ان ينفر من
 الوثنية الا فنه فان هذا الوجود قد ملء آيات ، وفي الطبيعة نوافذ
 ترشد الى الحكيم القادر ، فخالق الانسان اكبر من الانسان ، وخالق
 هذا الكون اعظم من الكون ، واحق بالعبادة من هذه الاجساد
 المزخرفة التي لا حول لها ولا سلطان

وليس من البدع ان يرقى ابو ذر بفنوذ عقله عن اوهام الناس
وبصفاء ذهنه عن اثام الوثنية الزائفة ، وبقوة فطرته عن هذا العالم
المكدود بفساد الفظم الاجتماعية والاخلاقية ، وعن الجاهلية الحمقاء
التي افنت الاداب ، وافسدت الاخلاق واماتت الاحساس والشعور
بقوة الحق . وعظمة المبدع . وجلال المصور . وقدرة الخالق المهيمن ،
فما نصب قائمه . واحجار منحوته . واصنام منصوبة تلطخ بدماء القرابين
المراقة امامها . ويطاف حولها !!؟؟ فانها لا تتصل بهذا الوجود بشيء
ولا يتصل هذا الوجود منها بشيء فهي لا تبصر ولا تسمع ، ولا تضر
ولا تنفع ، وان في جمال هذا الكون البديع ونظامه المتسق ليل
ونهار وشمس وقمر ونجوم لامعة صيف وشتاء مظهرآ من مظاهر
الحق . وآية من آيات المبدع وجلالا من جلال المصور القادر وعظمة
تستمد من قوة الحق وتتصل بهذا الوجود الكامل ، ولا تتصل بهذا
النصب القائمه والتماثيل المرتفعة على ظهر الكعبة ، وبين القبائل
وفي البيوت ، قد عكف عليها العرب يقدرسونها ويظعمونها ويعبدونها
من دون الله ، انهم غلطوا بذلك وانهم لفي ضلال مبين

ولشد ما يعجب الثقارىء - كما نعجب نحن - من هذه العقلية
الافنة ، فان العربي دقيق الاحساس شديد الذكاء خصب الذهن سامي
الفطره ، قد تنوق جمال الطبيعة وتنعم بمنظر البادية الجميل ، فما هذه

الآية الغريبة الموجه التي دخلت عليه فاعتنفها ديناً؟؟ وما هذه التائيل التي نحتها بيده واخذ يعبدها من دون الله العزيز الحكيم؟؟ واية قيمة لحجرتحت الانسان بيده لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع لتجري من فوقه دم النجور ويطاف حوله؟ لقد غلط العربي وسفل عقله واسف في هذا الضلال، وان ابذر بطل سيرتنا اذكر هذه الظاهرة المخدولة من ضلال قومه وشاهد وثنية وضیعة توبق الروح، ومجوسية أفنه ترهق العقل. وجاهلية حمقاء توثق الاحساس ورأى تفسخاً في الاخلاق، وتدهوراً في الآداب العامة فانسل والى اين؟

ومن يدري مدى الخيرة التي كانت تنتاب ابذر من هذه الفوضى التي كان عليها قومه؟ حياة مرتبكه متشائمة ماجنه تبعث العقل على التفكير طويلاً، فان الدين هو الخطوة الاولى للحياة الهادئة والسمو الاخلاقي، واي عاقل لا يفكر؟ واية نفس سامية لا تفكر فان الناس ليسوا على شيء من الحق، فما اساف وما نائلة؟ وما اللات وما العزى وما هذه الضوضاء التي ترتفع حولها؟؟ انه لشيء عجاب. خيرة من ابى ذر المفكر وتشكيك في عبادة قومه، وتبرم من هذه الوثنية الجافة الحمقاء، فهو يريد الله ويتوجه الى الله ويطوف بعقله حول هذه الكائنات ليصل الى الله، وهو يصلي لله وحده لا شريك له

وهنا تبدأ حياة جديدة وتفكير ملهم، حياة روحية قوية فيها شيء

من الجد اوهى كل الجد ، فيها شيء من الالهام اوهى كل الالهام تسرع
به الى الحق المطلق ، والى النور الساطع ، والفكرة ترشده الى جلال الله
الى عظمه الله سبحانه ، والعقل الصحيح ينطق بتوحيد الله « لا اله الا الله
وحده لا شريك له » والايمان يرشده الى تمجيد الله والى عبادته وحده
فيترك الاصنام ويترك الطواف حول الاصنام ويتوجه الى الله ويصلي
له وحده لا شريك له في العشاء وفي السحر ، وعند طلوع الشمس وانخذلت
تلك الطقوس الفاسقة امام هذه الروحية العالية ، وخلع تلك التقاليد
البالية وترك قومه عاكفين على عبادة الاصنام وتوجه الى الله فاطر
السموات والارض ، اله كل شيء باري والنسمة ومبدع هذا الكون
على اتم نظام وابدع تنسيق ، وبالاخير يكون رابع المسلمين والمثل
الاسلامي الرائع



اسمه ونسبة وصفة

ليس من الهين تصفية النزاع في اسمه واسم ابيه ، وليس من
الهين الجمع بين هذه الاقوال المتضاربة ، فان الاختلاف واقع في ذلك
كثيراً بحيث لا يمكننا غربلة هذا النزاع للوصول الى الحقيقة ،
بل لعل ذلك من المتعسر علينا ، ذلك ان الخلاف في اسمه كاختلاف
في سلسلة ابائه ، ولا يلذ لنا السير وراء هذا النزاع العقيم ، ولا نستطيع

ان نجزم بشيء مما يذكر في هذه الاصول ، وحسبنا ما اشتهر به ، جندب بن جنادة الغفاري ، من قبيلة غفار ، وغفار قبيلة من القبائل العربية الضاربة حول المدينة ، وكانت تحل الشهر الحرام وتحترق قطع الطريق واعتراض القوافل التي تمر من ارضها ، وامه رمله وهى غفارية ايضاً وورد عنه : انا جندب وسماني رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عبد الله واخترت اسم رسول الله ، ولكن لم نر من اطلق عليه هذا الاسم ، وكان اسماً طويلاً خفيف العارفين في ظهره حناء ، وفي الاصابة كان طويلاً اسمر اللون نحيفا ، وعن احنف بن قيس رأيت اباذر رجلاً طويلاً آدم ابيض الرأس واللحية (١) .

بدء أسلامه

كانت الحجاز عش العقائد المضطربة ووكراً للاديان المختلفة ، من وثنيه موبقه تفنن العرب في اقامة شعائرها وطقوسها وتفننوا في نحت الصور والاشكال للانعام والنصب التي لا تقع تحت حصر الباحث واحاطته ، ونصرانيه متخاذله شلت وتزحلق عن درجة الايمان الى الجدل في الصور والركوع لها ما يقربها من الوثنية الاثيمه ، ويهودية خميثة تستأثر بكل شيء وترى الحياة وقفا على الشعب الاسرائيلي

(١) آدم ؛ بالمد اسمر اللون

وليس لسواه حق ان يتمتع بنصيب من الحياة ، ولادينية ابا
حيه تنكر كل شيء حتى وجود البارئ جل وعلا ، والنفس
المتواضعة هى التى تخلد الى هذه العقائد الجافة المنكرة ،
والاخلاق الموبوءة الخليعة والشعور المنحط واما النفس الكاملة
المعالية فلا تسف فى الحياة اسفاً ولا ترهن العقل ، بموبات
الاثام ، ولا تضرع لقيود الميئة الوضيعة ، ولا تستطيع ان
تسترسل مع الشهوات المغمومة التى يغذيها المجتمع الموبوء
وانما تنزع بصاحبها دائماً الى الكمال الروحى ، والى المثل العليا
من الحياة والفضائل والاخلاق السامية ، وتتجه بصاحبها الى
هذا الوجود المطلق الفياض بالخيرات والبركات ، ليتصل بها
اتصالاً صحيحاً بروحه وقلبه ، ولا تعوزنا المثل للتدليل على
ذلك فان نظرة سريعة فى تاريخ الامم العربية تدلنا على مقدار
لتزلزل من عبادة الاوثان ونكرانها والهزء بها والسخرية منها ،
ولقد تحنث جماعة من العرب وانعزلوا ناحية ساخرين من
هذه العبادة الهزيلة المسفة هازئين بهذا الخلق الاثيم ، ينكرون
على الطائفين حول هذه الاصنام منكربين الاصنام نفسها يقولون :
نما حجر تظيف به لا يسمع ولا يضر ولا ينفع ومن فوقه تجرى
م النحور ؟ يا قوم التمسو غير هذا الدين الذى اتم عليه «
لو تبصر الناس لعموان الحق لا يحتاج الى كثير عناية ، ومزيد
بحث والفترة تدفع صاحبها الى الصراط المستقيم ، كما قال

النبى صلى الله عليه واله وسلم كل مولود يولد على الفطرة الا
 أن أبويه يهودانه أو ينصرانه « وصاحب سيرتنا أبو ذر من
 أولئك الافذاذ قد وصل بقوة عقله وصفاء ذهنه الى الحقيقة
 وادرك ما عليه قومه من الجهل والانحطاط والشطط وسوء
 الاخلاق ، وتفكك عرى الاداب ، فانعزل بجسمه وروحه عن
 قومه ناحية واصاح بسمعه وقلبه الى صرخة العقل المدوية ،
 واستظل تحت راية التوحيد ، واخض لله تعالى بقلبه ، خلصت
 نفسه من شرور تلك العقائد النافية والاديان الشاذة التي كانت
 تنخر عقول العرب كيئخر السوس الخشب ، واطمأن الى اليقين من دينه
 والى الصحيح من عبادته وازال بعقله الغشاوة التي نسجتها عنكب
 الاوهام علي عينيه ، فاصبح مؤمنا بالله تعالى موحداً مفكراً
 في آيات الله واية نفس سامية لاتتمتع لتوحيد الله واية نفس سامية
 لانفكر في آيات الله او اية نفس شاعرة لاتتنزه عن عبادة
 الاوثان ولا تخلص لعبادة الرحمن ؟

لم تصل اليها كيفية عبادته لله سبحانه وتعالى والظن انه
 كان يخلو بنفسه ويفرد عن الناس متفكراً في قدرة الله كذلك
 احسب انه لم يكن له اتجاه خاص يتوجه اليه وايضا لم يصلنا
 شيء من الطقوس الدينية التي كان يقوم بهامعبداً ، ولقد راينا
 من قبل الرواية تقول انه كان يصلى في السحر وعند الاشياء
 وليست هذه الصلاة دعاء قطعاً وغير بعيد على ابي ذر ان

يلهم كيفية الصلاة لو اجمالاً فان في صلاته قياماً وسجوداً
كما يظهر من الرواية .

وايضاً لم نعلم انه اتصل باحد من اهل الكتاب ليأخذ
عنهم شعائر الدين او بعض الشعائر التي يمكن للعقل ان يتقبلها
على ان النصرانية واليهودية في عصره تزحلق وهوت الى
هوة سحيقة ، واستسأغت الكثير من العقائد الوثنية فكانت من
جملة عقائدها وطقوسها واكبر الظن انه لم يتصل باحد من
اهل الكتاب ، وانه لم يكن لعبادته شكل خاص ، وانما هي
عبادة روحية قائمه على التفكير ، والتفكير بالوجود المطلق
بأمداداتها والحقيقة العظمى التي تهدي باثارها التائبين وترشد
بأمداداتها الى الصراط المستقيم وبازليتها الى الفيض على
هذه الموجودات لتعترف له بالوجود المطلق الكامل والدوام
اللانهاى ، ويفكر في هذا الكون وفي حركه هذا الكون
القائمة على نظام متسق مستمر لا تحوّل فيه ولا تبديل ، وهكذا
كان ابو ذر في الاسلام فانه يقضى النهار مفرداً مفكراً يقول
الامام جعفر الصادق عليه السلام : « كان اكثر عبادة ابي
ذر التفكير » ولقد رأيناه من قبل لبث أربع سنين يصلى في
عتمة الليل وعند الصباح وفي وضح النهار



ولعل ابا ذر هياء امه واخاه انيساً للاسلام ، وهياءهما

لاعتناق الدين الاسلامي سريعاً ، وهما لمعرفة اله
السموات والارض ومن فيهما وما بينهما ، فان اخاه انيساً كان
يصحبه في رعيه النعم في النهار ويرقد الى جنبه ويراه مفكر
ويراه مصلياً فيقول له :

ما تصنع ؟

— اصلي —

لمن تصلي يا اباذر ؟ — اصلي لله

— اى اله تصلي له ؟ وابن عنك الآلهة مناة إله القبيلة ؟

— اف اى مناة هذ ؟ انا لا اصلي الى مناة ولا اعرف

مناة ، وهل مناة الا صخرة صماء نحتها الانسان بيده ؟ فهو
لا يعي ولا يرشد ولا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، وهو
عاجز لاحول له ولا طول .

— مالك اباك مس من الشيطان ام اصابك مناة فخذلك ؟ ؟

فان مناة الهنا واله ابائنا من قبل اتصلي لاله لا يرى ؟ وتترك
مناة واساف ونائلة واللات والعزى ان هذا شيء عجاب .

— مهلا يا انيس اصلي لله فاطر السموات والارض ومدبر

الكون الذى خلقنا جميعاً بقدرته فأحسن خلقنا ، وميز بين
الليل والنهار بحكمته ، وجعل لكل واحد منهما حداً بقوته

وانا نراه بقلوبنا وبصائرنا وهذه الموجودات كلها دليل على وجوده
وحسن تدبيره ، وما مناة واللات والعزى الا احجار منحوتة ،

واصنام منصوبه لاحول لها ولا طول وما اساف ونائله الازائيان
(١) ؟ ! انحب يا انيس ان اعبد ذاتياً ؟ .

بالشرف المخدول والانسانية المرهقة . فما اعجب ان تكون
حياتنا كلها شروراً . واعجب من ذلك ان نتخذ من انفسنا
عوناً على انتشار الشرور والفساد .

انيس - عجباً أتسفه آلهتنا وتسفه عقولنا وعقول آبائنا؟ -
ما هذا ؟ اني اخاف عليك غضب مناة ارجع الى صوابك
قبل ان يتسامع الناس بك فتخزي وتغضب علينا الالهة .

ابو در - يغضب مناة تغضب الالهة ؟ ! ان هذا لشيء
عجاب ، كيف تغضب صخور صماء لا تسمع ولا تبصر ، ولا تعي
ولا ترشد ؟ واية قيمة لغضب صخور نحن نحتماها بايدينا ونحن
وضعناها في امكنتها ؟ وهى لا تضر ولا تنفع ، وما ذنب
ابي ذر اذا كان اباؤنا لا يفقهون ، واذا كانوا جهلاء يتيهون في

(١) روى ان اسافونائله يمينان وكان اساف يحب نائله وفي
بعض السنين اقبلا الى بيت الحرام حاجين فدخلوا الكعبة على
غفلة من الناس فوجدوا خلوا من كل احد ففجروها فمسخا فاصبح
الحجاج فوجدوها مسخين فوضعوهما الى جانب ليتعض بهما
الناس لئلا يتكرر هذا العمل القبيح المشين في البيت الحرام
فمرت عليهما ايام وعبدت الاصنام وعبد معها اساف ونائله
هذه هى الالهة العرب .

ضلال مبين ؟ ! وان هذا الهيكل الانساني الذي نراه خاويًا
يكابد عوامل البلى ، وصائرًا الى الانحلال اذا لم يصنع بسمعه
الى صرخة العقل الداويه ، والى صوت الحقيقة التى تتجلى
فى كل شىء من الموجودات فى هذا الكون ، فاستجمع يا انيس
رشدك واصغ الى صوت عقلك .

انيس - حسبى كدت اركن اليك وكدت اشكك فى الهتنا
ابو ذر - اريدك ان تشكك ، ان هذا القلب الذى تتوالى
دقاته فى صدرك قد تلون بالتقاليد البالية ، وقد آن للانسان ان
يتجرد من هذا التقليد الاعمى ، فولوجوت صدا قلبك واستمعت
الى صوت العقل لتركت ما كان عليه اباؤك من عبادة هذه الاوثان
والتماثيل التى لا قوة لها ، واتجهت بروحك وعقلك الى عبادة
اله واحد لا اله غيره ، ولا شريك له هو خالق كل شىء ومدبر
هذه الكائنات ، وان من اعجب الاشياء ان يتصاغر الانسان امام
هياكل جامده صنعها بيده .

من الحق ان يكون قد وقع مثل هذا الحوار ، ومن الحق
هذا التخاصم . فان بواذر هذا الانحلال والتفكيك فى عرى
الانسانية المتخاذلة فى عصر الجاهلية اخذت تظهر بشكل واضح
بين الامم ، وبنوع خاص بين العرب ، والوضع كان مرتبكًا
على اشد ما يكون من الارتباك ، ومنحلا على اشد ما يكون
من الانحلال ، واخذت التنبؤات بقرب ظهور نبي من العرب

تظهر من الاديرة والبيع على السنة الرهبان والكهنة من اهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وشاع ذلك بين العرب ، حتى ان امية بن الصلت كان يرجوا ان يكون هو ذلك النبي الذي سيظهر ، وقد كان الشوق يشتد ببعضهم ان يمتهن به العمر حتى يدرك ذلك النبي ، ومن المعقول جداً ان نعتقد ان اباذر كان شديد النهم لاستماع هذا النوع من حديث النبوه ، فان في هذا الحديث الغذاء الروحي للاجسام المنهكة من هذه الفوضى الاخلاقية والاجتماعية وهذا التفكير العميق وفيه اشاع النفس المألومة ، وصيحة ، الرجولة الكاملة وصوت الانسانية الصحيحة ، وصرخة الايمان وقوة العقيدة .



لم يطل زمن هذا الصراع الاليم فقد اظل اباذر زمان نبى يبعث بالشريعة السهلة السمحاء دين ابراهيم الحنيف ، ودقت الساعة ودوت صرخة « لا اله الا الله » وظهر النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم يدعوا الناس الى الشهادتين « اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله » وما كان اعظم سرور ابي ذر حينما مر به رجل من مكة فقال له : « يا اباذر ان رجلاً بكه يقول مثلما نقول : لا اله الا الله » يزعم انه نبي » .

ابوذر - ممن هو ؟

الرجل - من قریش

ابوذر - من ای قریش ؟

الرجل - من بنى هاشم سنام الفخر

ابوذر - ما فعلت قريش ؟

الرجل - كذبوه وآذوه وهم وهو في صراع عنيف وقد منعوا الناس عنه وحذروهم منه

ابوذر - ماذا يقول لهم ؟ والى اى شىء يدعوههم ؟

الرجل - قد جعل الالهة الهأ واحداً ويدعوههم الى عبادة

الله ونبتد الاصنام

ابوذر - وقد خرج الرجل - يقبض بيده لحيته

ويطرق مفكراً كأنه يرجع الى شىء في قرارة نفسه ليتبين

المشكلة بين ما هو عليه وبين رجل مكة - صاحب الدعوة

الاسلامية - ويقول لنفسه : جعل الالهة الهأ واحداً ويدعو الناس

الى اله واحد ، أية غرابة في هذه الدعوة ؟ اليست دعوة الى الحقيقة ؟

اليس فيما نرى ان هذا الكون يسير بظواهره وبكل ما فيه على

قوانين مرسومة سيراً متزناً لا تبديل فيه ولا تحويل ، وسيسير

على هذا القانون الى اللانهاية ؟ وهل تسيره اللات والعزى ومناة

هذه النصب الجامدة ؟ او هو العدل الالهى وحكمة اله السموات

والارض هى التي تدير كل شىء ؟ لاشك ان مبدع هذه الاشياء

ولا شك ان خالقها اعظم منها ، ولا شك ان هذه الاحجار المنحوتة

لا تدفع عن نفسها شيئاً ولا تستطيع ان تجلب نفعا ، حقيقة راهنة

انكارها ضرب من غش النفس وتخاذل العقل ، والحياة شر كلها

مادام هذا الانسان مخذولا في تفكيره ، مخذولا في عقله ، والحياة شر كلها مادام هذا الانسان طائشا جهولا يتضرع الى هذه الصخور الجامدة ، ويركع امامها وينحدر لها ، والحياة شر كلها مادام الانسان بعيداً عن الله قريبا من هذه العقائد الجافة ولا بد لهذا العالم من مصلح قبل ان ينزلق قدمه به الى الهاوية .

ثم يلتفت الى اخيه انيس ويقول له :

« انيس اركب الى هذا الوادي من مكة ، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ثم آتني بخبره » .

يذهب انيس الى مكة ويدخلها ويطوف بالبيت على عادة العرب ويرى جماعة

احدهم - يقول . . هذا الصائبي يتكلم

الثاني - انه ساحر كذاب لا تدنو منه

ثالث - انه كاهن ، رابع انه مجنون

خامس - انه شاعر

سادس - دعوه يتكلم بعاشاء الان يأتي عمه ابو طالب شيخ

الابطح فيغضب لتجمهر كم عليه دعوه وشانه

انيس - يتقدم الى القوم من هذا ؟ وماذا تقولون فيه ؟

احدهم - هذا الصائبي يدعو الناس الى دينه الجديد

انيس - ماهو دينه الجديد ؟

احدهم - جعل الالهة الها واحداً

يتقدم انيس ليسمع مايقوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
رسول الله - ايها الناس قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة
قولوا لا اله الا الله تفلحوا اني رسول الله اليكم وانا لكم نذير
بين يدي عذاب يوم عظيم ، لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم ، ايها الناس اتقوا الله يرحمكم الله ، لقد ضل اباؤكم
في عبادة هذه الاصنام ، فانها لا تنضر ولا تنفع ولا تعي ولا
تترشد .

رأى انيس النبي وسمع منه ، فاعجبه حلاوة كلامه
وفصاحته وداخل قلبه شيء من حبه ثم رجع الى اخيه .

ابونذر - مارأيت يا انيس ؟

انيس - رأيت رجلاً مأرباً بالخير ويضئ عن الشر يأمر بالمعروف
ويمنه عن المنكر ، ويدعو الى اله واحد

ابونذر - مايقول عنه قومه ؟

انيس - يقولون ساحر مجنون كاهن كذاب شاعر وقد
رأيت السحرة وسحرهم ونفثهم وعقدتهم وليس منهم ولا هو كاهن
وقد رأيت الكهنة وسمعت زمزمتهم وسجعهم وليس هو منهم
ولا هو شاعر وقد وضعت كلامه على اقراء الشعر واوزانهم
فليس هو منهم .

ابوذر - ماذا كان يفعل ؟

انيس - رايتہ يصلى عند البيت ويصلى الى جانبه غلام سميح الوجه لم يبلغ الحلم ، قيل هو ابن عمه على بن ابي طالب (ع) ويصلى خافه امرأة جليله قيل لى هي زوجته خديجه

ابوذر - (لم تشفن من الخبر) سأذهب بنفسى انظر اليه واسمع منه

☆☆☆

كانت السنة مجديه والناس في ضنك من العيش فدخل ابو ذر على امه وقال : « قد انجس عنا الغيث واجدت الارض ، واصابتنا السنة ، وما لنا من وجه نذهب الى خالنا ؟ - وكان في نجد .
الوالده - افعل كل ما تريد فليس لى رغبة عن كل ما تراه يا بني » .

خرج ابوذر وانيس وامهما يستحثون مطاياهم وابو ذر ساهم سادر لا يفكر في شيء إلا فيما يراه حوله ، فيرى فيه عظمة الخالق وقدرة المصور وجلال الحق ، ويفكر في هذا الرجل الذى يزعم انه نبي وانه يأتية الخبر من السماء ، ويقول لا اله الا الله ونزلوا على الرحب والسعة من خالهم ، واكرم وفادتهم واحسن ضيافتهم ، وحذب عليهم ، ولكن جماعة من الحى ثقل عليهم هذا العطف والحنان على ابي ذر واخيه والانسان حسود بطبعه وعزموا ان يكيدوا لهما كيداً ليخرجوهما من القبيلة ، وقد بدأ وعدتهم واجمعوا امرهم

واعترضوا الخيلة ودبروا المكيدة ، واختاروا رجلا منهم لينفذها
الرجل . . . يدخل على خال ابي ذرمة طبأ حاجبيه مكفهرآ
مرتعشا كأن الشر يعدو خلفه

الحال - ما عندك هل نزل بالحي نازلة ؟
الرجل - متصنعاً الالم : لا ليس في الحى انما داخل خبائك ، ويجرؤنا على
هذه المصارحة حبنا لك واكبارنا اياك
الحال - افصح فاني لا اعلم داخل خبائى الا العفاف
والشرف

الرجل - انيس - ما اصاب انيس ؟
الرجل - لم يصبه شىء « وانما يخالفك الى اهلك اذا خرجت
ويجلس اليهم » شرف مطعون وكرامة مداسية ، واحسان قوبل
بالاسائة ، فحنق في قلبه ، وتغيرت معاملته لهم وهو واجم
ابوذر - يرى خاله قد تغير عليهم وهو دائم الفكر فقال له :
مالى اراك مفكراً ؟

خاله - لاشيىء انصرف الى عملك !
ابوذر لا عمل لي اذهب اليه واراك كثيراً واراك تبكي
فما سبب بكائك فلعلى اشاطرك ؟

خاله - انيس . انيس
ابوذر - اية جناية ارتكبها انيس
خاله - انه يخالفني الى اهلى ويجلس اليهم ! !

ابوذر - غاضباً « كلمة تملأ الفم . انا نخشى الفاحشة ،
ونخشى الله ، وان كان الزمان اخل بنا ولقد كدرت علينا صفو
ما ابتدأنا به ، من معروفك ولا سبيل الى الاجتماع بك واحتمل
ابوذر امه واخاه وتوجه الى حيث يقصد الى مكة الى الرجل الذي
يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء ، وهذا ما حدا به الى الخروج
من قبيلته وهذه الاماني الذئاب هي التي دفعتة الى ذلك
دخل مكة وطاف بالبيت ، واخذ يبحث عن طلبته وعن
يرشده اليه اذا استرشده ، وهل يأمن كيد اعدائه وغافلة معارضيه
اذا سأل؟ اذن يجلس في المسجد الحرام ويتصفح الوجوه ويسترق
السمع ، لعله يقع نظره عليه ، او يرى من يرشده اليه .
جلس ابوذر داخل المسجد يفكر في امه واخيه الذين تركهم
خارج مكة ، ويفكر في طريق يوصله الى النبي (ص) والشمس
تسرع في انحدارها عن افق مكة ، حتى توارت وارخى الليل
سدوله ، ومدار ديته السوداء على مكة وشعابها وخيم الظلام إلا
من مصباح هناك في زاوية من المسجد ، يرسل اشعة ضئيلة يهتدي
بها المتخلفون ليطوفوا بالبيت وما يطوف به في ذلك الوقت غير قليل
فان قريشا في هذا الوقت تلجأ الى سمرها وخلاعتها وفسقها ، ومرت
علي بن ابي طالب عليه السلام ليطوف بالبيت = وكان قد فرغ
من صلاته خلف النبي = فترأى له شبح في احدى جوانب المسجد
فاقبل نحوه فرأى رجلاً جالساً فقال له :

كأن الرجل غريب ؟

ابوذر - نعم

علي - معى الى المنزل وانطلق علي (ع) ومشى ابو ذر خلفه ، وسارا صامتين لا يسأله علي عن شيء ، وابدور لا يسأل علياً شيئاً وبات ابوذر ليلته ، ولما اصبغ الصبح خرج الى المسجد لعله يقف على خبر النبى وطعامه من ماء زمزم ، واقبل الليل ولم يتصل به خبر النبى ، واقبل علي على عادته فوأتى سواد الشبح فتقدم اليه وقال :

« اما آن للغريب ان يعرف منزله بعد؟

ابوذر « لا »

علي - « انطلق معى الى المنزل » قام ابوذر يمشى خلف علي (ع) وقد ارتاحت نفسه اليه ، وهم ان يسأله عن النبى ، ولكنه تراجع وكيف يسأله ؟ فإنه يخاف على نفسه في هذا الليل البهيم .

علي - « اراك مفكراً أففيم تفكر ، وما أمرك وما اقدمك هذا البلد

ابوذر - « ان كتمت علىّ اخبرك »

علي - « اكنتم عليكم ان شاء الله » انبسطت اسرة ابي ذر وارتاحت نفسه « حيث يسمع ذكر الله ، وداخله سرور عظيم لانه يمشى خلف شاب يذكر الله ، ويؤمن بمشيئة الله واية عناية

لا الهي بان هداني الى من يحب الله ، ويعتصم بالله ، ويعلق اموره
بمشيئة الله ؟

ابوذر - «بلغنا انه قد خرج هنا رجل يزعم انه نبي فارسلت
اخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فاردت ان القاه »
علي - «اما انك قدر شئت هذا وجهي اليه فاتبعني ادخل
حيث ادخل ، فاني ان رأيت احداً اخافه عليك قتت الى الحائط
كأني اصلح نعلي فامض انت »
ابوذر ولماذا ؟ !

علي - ان اهل هذا البلد فقدوا رشدهم ، وران الفجور على
قلوبهم واستولت عليهم غاشية الكفر ، واتخذوا سبيل الشيطان
سبيلا لهم ، وجعلوا اصابعهم في اذانهم عن سماع دعوة الله واستكبروا
استكباراً فانهم الاخسرون .

اهتز ابوذر فرحاً حينما سمع كلام علي (ع) وعرف
انه ذاهب النبي (ص) واحس بجاذب يجذبه اليه ، يا لعظمة الحق يا لجلال
الحقيقة ، لقد وقعت على صفى من اصفياء النبي ، ولعله علي
الذي اخبرني عنه انيس وانه يصلي خلف ابن عمه ، ان سماته
تفصح عن سموه ، وكلامه يعرب عن قدس نفسه وسمو عقله ، وارى
نفسه ترتفع عن هذه النفوس التي رايتها تطوف حول البيت ،
واراها قد ارتفعت عن اوهام قريش ، انه مرشدى الى محمد حيث
شاء الله الى الرشد والهداية .

مضى علي ومشى خلفه ابوذر ، ودخل على النبي (ص) ودخل معه ابوذر فما ان رأى النبي قال : السلام عليك (١) .

النبي - وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من الرجل ؟
من غفار - فرفع النبي يده ووضع اصابعه على جبهته فقلت في نفسي كأنه كره ان اتميت الى غفار لانها كانت تقطع الطريق ؟

النبي - ماتريد ؟

ابوذر - اعرض علي الاسلام

النبي - الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله

ابوذر - وماذا بعد ؟

النبي - ان تمتهي عن الفحشاء والمنكر وتأمر بالمعروف ومكارم الاخلاق وتتجافى هذه الاصنام التي عكف عليها الناس فان عبادتها من عمل الشيطان .

وماذا بعد ؟

ان لا تشرك بالله ولا تزني ولا تسرق ولا تظلم وادفع بالتي هي احسن ابوذر - اسهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله تقول حقاً وتنطق بالصدق ، رضيت بالله ربا وبك نبيا ، يا رسول الله من هذا الشاب الذي ارشدني اليك ؟

رسول الله - هو ابن عمي واخي علي ابن ابي طالب

(١) اتفقت الرويات انه عندما رأى النبي قال السلام عليك

والذي بعثك لأصرخن بها

يلفت نظرنا من أبي ذر هذه الظاهرة من حياته وهي الصراحة وقد تدهشنا هذه الصراحة التي تدفعه إلى المعترك الهائج وحيداً فريداً ، وبالأخير طريداً مشرداً عن دار هجرته إلى قلاة من الأرض ليس فيها أحد من الناس ، ويظهر من مجموعة حياته أن الصراحة عنده لم تكن نظرية تتسع للجدل والمناقشة ، وإنما هي مبدأ أساسي نشأ عليه فلا يفارقه ، وهو حساس دقيق من هذه الناحية إلى أقصى حد وابتعد غاية ، لا تأخذه فيما يريد أن يقول لومة لائم ، لا يجاري عدواً ، ولا يماشي صديقاً ، يندفع وراء مبدئيه في أشد الساعات وأحرج الأوقات ، ولا نريد أن نشكر عليه هذا المبدأ وهذه الصراحة ، فلقد كان لذلك أثر بعيد أدى إلى الغاية التي كان يرمي إليها أبو ذر في صراحته وقد كشف الستار عنها في بدء أسلامه وفي نهاية حياته .

شهد أبو ذر الشهادتين وآمن باليوم الآخر وبكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له النبي (ص) يا أبا ذر أكنتم هذا الأمر وأرجع إلى بلادك فقد رفعت إلى أرض ذات مال ولا أحسبها لإلتهامة ، فأخرج إلى قومك ، فادعهم إلى ما دخلت فيه ، وفي طبقات ابن سعد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت ميلغ قومك عسى الله أن ينفعهم يا جرك فيهم ؟ !!

ولكن أبادر - على مبدئه - لم يشاء ان يكتم ايمانه ويخلد الى السكينة
وكأنه علم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما قال له
اكنتم هذا الامر رافة به واشفاقا عليه من طغاه قريش وعنتاتها
وليس الامر الزاميا .

وقد يخيل لقصار النظر ، ان رسول الله (ص) احوج
الى بقاء ابي ذر في مكة ، ليكون له عوناً على مشركي قريش ، فاته
رجل شجاع ذو سطوة . ولكن هنا يكمن سر الدعوة وسر
التوجيه اليها ، فان لكل دعوة مهما كانت نقطة انطلاق تنفذ منها
الى الميادين الاخرى ، وهناك ظاهرة بنظر النبي (ص) تعتبر
حماية للدعوة الاسلامية هي انفع من بقاء ابي ذر في مكة ، هي
مكان غفار الاستراتيجي والاكثر نفعا للدعوة ، فان ممر قريش
في احدى رحلاتها على غفار .

ورسول الله (ص) يريد امتداد الدعوة ، ولن يتحقق
هذا بين القبائل اذا لم يكن تخطيط كامل شامل لظواهرها وخرورها
من بين جدران مكة ، ليتسرب الخوف الي نفوسهم ، والرعب
الى قلوبهم وفي سبيل الوصول الى هذه الغاية الشريفة يأمر رسول
الله (ص) ابا ذر بالخروج الى قومه لبث الدعوة من جهة ،
وللاحتفاظ بقوتها في مكة من جهة اخرى فيما اذا اسلمت غفار
او اسلم نفر منها وابوذر خير عون على تحقيق هذه الاغراض
للنبيلة لما فيه من صراحة وشجاعة ولمكان قبيلته التي تركز

عليها حر كة قريش في رحلة الصيف . ولذلك قرر ابو ذر ان يبدأ
حر كته في مكة نفسها بان يعلن لقريش ان نور الاسلام قد انبت
وارسل اشعته الى خارج مكة فما هي صانعة ؟ فيقول لرسول
الله صلى الله عليه واله وسلم بلغة المعتز بدينه المنصر له .
« والذي بعثك بالحق نبيا لا صرخن بها بين اظهرهم ولتصنع
قريش ما هي صانعة » .

خرج ابو ذر الى المسجد والايمان يعمر قلبه والاسلام ملء
سمعه وبصره فلما اجتمعت قريش صرخ ابو ذر باعلى صوته
قائلا !

يامعشر قريش اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً
رسول الله ، صرخة دوى منها الحرم ، واخترقت مسامع قريش ، وانها
لصرخة دوت كالرعدة القاصفة احفلت منها قريش ، فان لهذه
الصرخة قيمة في نفوسهم ، ولها قيمتها في التمهيد للاسلام ، صوت
يتحدى قريشا الغاضبة الصاخبة ويغزوها في عقر دارها له قيمته
في بث الدعوة الاسلامية وهذا هو صوت الجريء الباسل الذي
يهاجم اللات والعزى في عاصمتها واستخف بها وحقر شأنها
ويجب ان نلاحظ ان هذه الصرخة التي دوت في الحرم
واخترقت ادمغة الجمهور القرشي هي باكورة الصيحات المدوية
التي كان يجب على قريش ان تحسب لها الف حساب وحساب ،
ومما لاشك فيه ان قريشا اوجست خيفة من هذا الصوت المرتفع

امام هبل ، ولقد علمت ان هبلا قد انخذل امام هذا الصوت
العالي ، وتحطمت قوائمه وتلاشت عظمته ، وانهدم عزه ومجده
فسوف لا يعبد بعد اليوم فان هذا الصوت المعالن تجاوز حدود
مكة وتعدى الى جوانب جزيرة العرب ، وهو اول فأس قاطع
ضرب هبلا على رأسه ، واول طعنة نجلاء اصاب قريشا في الصميم
وقد اطالوا التفكير في هذه الصرخة المدوية تخترق اسماعهم وتمزق
نفوسهم .

وهل يسكت المجتمعون في المسجد والطائفون حول البيت
عن ابي ذر ، وقد حقر آهتهم ، وتحداهم وطعن في دينهم ؟ كلا
لقد مالوا عليه . وصاحوا صابثي . صائبني « وضربوه حتى كاد ان يموت
وخر مغشيا عليه ، واقبل العباس بن عبد المطلب فاكب عليه
وقال :

« ويلكم يا معشر قريش تقتلون رجلا من غفار ومتجر كم
ومر كم على غفار أفلا تخافون قومه ؟ فاقبلوا عنه وارفع
- ابوذر - فاتي زمزم وشرب من مائها وغسل عنه الدماء وخرج
من المسجد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم فقال
له - اين كنت ؟

ابوذر - « في المسجد لقد صرخت بهابن اظهرهم فقال رسول
الله - من اين اكلت ؟

ابوذر - « من ماء زمزم !

رسول الله (ص) « انه لطعام طعم »

ابوذر لم يكتف بهذا الصوت ، وان رغبته كانت شديدة وملحة في ان يصرخ بها ثانية ، ليفهم قريشا ان الشعور الانساني قد ارتفع عن هذه الاوهام المنحطة ، والانسان الكامل الايمان يستعذب الالم في سبيل الله ، ويستطيب العذاب في سبيل الدعوة الى الدين الصحيح ، وتضطرم في نفسه العزائم فلا تؤثر فيه هذه الضربات إلا عزمًا وتصميمًا ، ولذلك خرج ابوذر من عند النبي (ص) وهو عازم على الجهر بالشهادتين ثانيًا

دخل المسجد وقريش متكئة كتلا تشتور في دفع الخطر الداهم ، فان صوت الغفاري يندربا الخطر على اهتهم ، واذا بصارخ يصرخ باعلى صوته يامعشر قريش :

« اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً

رسول الله »

المجتمعون - مدهوشين الغفاري الصابئي يتحدانا ويطعن في اهتنا ويمس كرامتنا اقتلوه « فما لواعليه يضربونه حتى كاد ان يموت وخر مغشياً عليه وادركه العباس فاكب عليه ، واقبل علي قريش وقال :

ويلكم يامعشر قريش اتقتلون رجلاً من غفار ومتجركم

ومررهم على غفار أفلا تخافون ؟ فاقفلوا عنه وتركوه كأنه
 نصب احمر ، وافاق من غشيته واتى زمزم فشرب من مائها
 وغسل عنه الدماء وخرج من المسجد ، وقد بلغ غايته فان قریشاً
 قد فهمت ان صوت الاسلام ارتفع في الفضاء واخترق الاذان
 صرخة ابي ذر في مجتمع كمجتمع قریش الغاضب على
 الدعوة المحمدية ، هي الصرخة الحقيقية للعقيدة والعقديين الذين
 آمنوا بعقيدتهم ، ولا مجال لایراد الحوادث في الصراع
 العقيدى ، وابو ذر من اولئك الافذاذ الذين لا يهابون شيئاً
 في سبيل عقيدتهم ، ويقدمون على المخاطر برباطة جأش وصبر وثبات
 للوصول الى غاياتهم السامية التي يؤمنون بها ، وموقفه من قریش
 الصاخبة على محمد (ص) ظاهرة نفسه معهوده بالطباع النبی تتقبل كل
 صدمة ، مهما كانت في سبيل العقيدة والمبدأ ، ولا تتعرف على
 حدود المجازفة .

لقد اسلم ابو ذر وشهد الله بالواحدية ولحمد (ص) بالرسالة
 وما ان تم ذلك حتى استبسل في سبيل عقيدته ، وانقلب انقلاباً
 عجيباً ، وجعلت منه رجلاً غير ذلك الرجل الذى دخل مكة
 خائفاً بما ظهر منه من روائع الايمان واليقين والصبر والشجاعة
 وخوارق العمل بما يحير العقل والفلسفة ، ومهما حاولنا تفسير
 هذه الظاهرة ، فلا نستطيع تفسيرها بما كثر من انها سر من اسرار
 الاسلام ، وارتباطه بالقلوب والنفوس ، ولسنا نفهم من هذه

الصرخة في هذا المجتمع الهائج إلا ذلك الارتباط ، وتلك العقيدة التي جرت في شرايين جسمه جريان الدم .
وهذه الصفحات من حياة ابي ذر تبرز صورة من هذه العقيدة التي لم تحن رأسها لغير الله ابدا ، وهانت امامها وجوه الولات فكان ينظر اليهم كما ينظر الناس الى الدمى لابسة ملابس الانسان ، والى مظاهر العظمة كما ينظر الى الكلب مطوقاً بالذهب وهذا موقف لابي ذر مؤكد بجسده بسلو كه مع هؤلاء الولاة ولا يغيب عن بالنا ان مواقفهم كانت افصاحاً عن العقيدة العميقة تمزج بالدم والروح .

صاح ابو ذر صيحته الخالدة في مجتمع قريش ولهذه الصيحة مكانها الملحوظ في الاسلام ، ولها مكانها الملحوظ في نفوس القرشيين ، ثم خرج من المسجد يسير الى محمد ، ودخل عليه فسأله النبي (ص) اين كنت ؟

ابو ذر - كنت في البيت ، ولقد صرخت بها ثانية في قريش

النبي - يا ابا ذر « ارجع الى قومك فان ابن عمك مات وترك مالا فخذنه وانتفع به واستغن به على الدعوة الى ما دخلت فيه ، وانى قد وجهت الى ذات نخل فلا احسبها الا يشرب ابو ذر - سأذهب ، وسأدعوا قومي الى الاسلام ، واما قريش فلا ادعهم حتى اثار منهم فأنهم ضربوني .

خرج والأيمان بالله ورسوله يعمر جوانب قلبه
والاسلام ملء سمعه وبصره ، ولقد خلاص من الخواطر الجائشة
والافكار المضطربة ، وهو فرح مسرور بما فتح الله عليه ، ان
هداه للدين الحنيف الذي ترضاه النفوس الطاهرة ، وترشد اليه
الفطرة المستقيمة ويقبله العقل السليم ، وما كان ليتهدي لولا ان
هداه الله ، وما كان ليرشد لولا ان ارشده الله

خرج من مكة وهو يمعن تفكيراً في هذا وامثاله ، ويفكر
فيما مر به من احداث ، وما لاقاه من ايداء قريش له لانه اسلم
وكيف خلاص من الموت ؟ يفكر في ذلك وابتسامة الفرح
ترتسم على شفتيه ، ووجهه يشرق سروراً وقلبه قد عمر بالايمان
بعظمة الله تعالى ، وقدس رسول الله (ص) وامثلاً بعواطف
جياشة اهمها نشر الدعوة الاسلامية بين قبيلته غفار ، وحلفائها اسلم
والانتقام من قريش ، فانهم ضربوه حتى كاد ان يموت لولا ان
تداركه العباس وممر قريش في متجراها على غفار .

وصل الى امه واخيه واستقبله انيس وقال : لقد ابطأت علينا
ما صنعت ؟

اسلمت لما ان رأيت محمداً صلى الله اعليه واله وسلم ، وقد
علمني اصول الاسلام وقواعد الايمان ، افلا تؤمن يا انيس وتترك
عبادة هذه التماثيل الجامدة ؟

انيس - يفكر قليلاً كأنه يجمع تلك الشواهد التي مرت عليه

يوم جاء الى مكة ، وسمع تلك الكلمات العذبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، فانتفض كمن كان في سكرة وقال : « وانا ما بي رغبة عن دينك فانى قد صدقت وآمنت » اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله هيا بنا الى امننا .

يتوجهان الى العجوز الجالسة بفناء البيت ، تنتظر ولدها فقد طالت غيبته ، وهي قلقة مضطربة ، تظن الظنون وتتخبط في الاوهام ، والافكار الغريبة ، والاخلال المتמادية ، وقد استولى عليها جمود شل حركتها وهى في هذه الافكار الهائجة يدخل عليها ابوذر .

ابا ذر . بنى تقدمت بي السن وخانتني قواى ، ولا استطيع تحمل غيابك عنى ، وكانت خواطري تكظ رأسى بدوار لم اعرفه من قبل ، وبمقدار صعود هذه الخواطر وهبوطها يدنو منى شبح الموت ولقد اقلقتنى

ابوذر - اماء صفحا لم يكن هذا التأخير عن قصد

الام - ماذا صنعت وماذا رأيت في مكة

ابوذر - اماء اسلمت وصدقت محمداً فإنه رسول الله حقاً رأيت رجلا سماه اعداؤه الصادق الامين ، النور يتصاعد من جبينه ، والصدق يخرج من لسانه ، والحق يصدر عن برهانه ، يقول حقاً وينطق صدقاً ، ويحكم عدلاً ، الحكمة تفور من

من جوانبه ، والايمان يفيض عن لسانه ، يأمر بالمعروف وينهى
عن الفحشاء والمنكر ، يدعوا الى الله فاطر السموات والارض
ومدبر هذا الكون الزاخر بمجائب قدرته ، فاسلمت وهذا اخي
قد اسلم فاقر الله بالوحدانية ولحمد صلى الله عليه واله وسلم
بالرسالة .

الام - وانا مابي رغبة عن دينكما فاني صدقت وآمنت اشهد
ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله .

آمنت العجوز وانفتح صدرها للاسلام ، دين الرحمة دين
الله الذي لا يريد من عباده غيره ، وكذلك اسلم انيس فتألف
خارج مكة عائلة كريمة مباركة هي اول عائلة آمنت بالله تعالى
واقرت لمحمد (ص) بالرسالة ، وبشرت بالدين الاسلامي ودعت
اليه وجاهدت في سبيله .

وقد يتساءل القارئ عن هذه الظاهرة الغريبة من حياة
ابي ذر ، ويستغرب هذا الانتقال السريع وقبوله الدعوة الاسلامية
بهذه السرعة ، فانه ما ان رأى النبی (ص) وعرض عليه الاسلام
حتى صدق وآمن وخشع قلبه خشوع الزاهد المتعبد ، وحياء بتحية
الاسلام ، واعلن اسلامه في مجتمع قريش الغاضب الصاخب ،
واحتقر الهتهم وسفه احلامهم ، وقد تزدداد دهشتنا انه لم يكن
لامه العجوز التي افنت عمرها وهي عاكفة على عبادة الاصنام

رغبة عن دينه ، وامنت حقاً وكذلك اخوه انيس الشاب
المتحمس لمائة لم يكن له رغبة عن دينه ، فقد لبيا الدعوة طائعين
ونطقا بالشهادتين مخلصين ، وآمنا بالله موحدين ، وبرسوله
معظمين .

وقد يتساءل ايضاً كيف انمحت تعاليم الجاهلية
ونزعاتها بمجرد دخولهم في الاسلام واعتناقهم الدين الجديد
وكيف وصل الدين الى اعماق قلوبهم ، وفهموا الاسلام كما
يريد الاسلام ؟ وهذا يأباه علم النفس كل الابداء ، ولا يسمح لهم
إن يفهموا الاسلام الا بمقدار ما تسمح لهم به جاهليتهم التي نشأوا
فيها وشبوا عليها .

هذا جد في صورته هزل في حقيقته ، وانا لست من الملمين
بعلم النفس واحسن من نفسي عجزاً في هذه العجالة عن معالجة هذا
الجد والهزل ، وقد حاولت ان اوفق بين الحقيقة والنظرية ،
واجهدت فكري وسلكت في تفكيري شتى الطرق ، وعجبت
من نفسي اذ وجدتها في كل هذه الطرق ترجع الى غاية واحدة
ويسلمها البحث الى شيء واحد هو انكار النظرية ، فان الحقيقة
تشجلى امامي وهى تخالف النظرية بشكلها وواقعها ، والنظرية
لا قيمة لها عندي اذا كانت لا تنطبق على الواقع فهى على الاقل
ليست صحيحة ، وليس من اليسير تفسير المقدرة العقلية .

وفي الحق ان هذه الاحكام يتعجل بها اصحابها ويرسلونها

الى الناس ارسالاً على غير هدى ، وبدون تحقيق وتأمل ، ومن المستصوب ان لا نترسل مع هذه الاحكام .

واكبر الظن ان هذه القواعد التى قررها علماء النفس ليست قواعد عامة شاملة ، وان من الممكن ان يشذ عنها افراد خصهم الله بمواهب خاصة وعقل كبير وبصائر نافذة امثال سلمان وعمار وهذه العائلة التى تألفت خارج مكة ، بمن وصل الدين الى اعماق قلوبهم بمجرد ان دخلوا في الاسلام

واذن فمن الخطأ الواضح الاسترسال مع هذه الاحكام ومن الخطأ ان يقودنا علم النفس وعلماءه قيادة عمياء ، الى هدم حقيقة راهنة والى الطعن في اكابر الصحابة ، فان جمهرة المهاجرين الاولين من اكابر الصحابة — اذا استثنينا امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) — قد نشأوا وشبوا وترعرعوا عاكفين على عبادة الاصنام يطوفون حولها وينحرون لها ويعظمونها ، وربما كان بعضهم يقر لها بالعبودية ، وينسب نفسه اليها مقتخرا ، فلو كان علم النفس يابى عليهم ان يفهموا الاسلام كما يريد الاسلام ويابى عليهم ان تتمحى من نفوسهم التعاليم الجاهلية كانت الطعنة نجلاء والضربة قاسية ولا اظن ان باحثا يتحمل مثل هذه المسؤولية نتيجة لاقرار احكام قد يفرضها علماء النفس قرضاً .

على ان ترى ان علم النفس غير خاضع لقواعد واحدة في

في غرائز الانسان فلاحظ ان الشيوعية لها قواعد وللرأسمالية قواعد في علم النفس تختلف بحسب الميول والمبادئ وتأثرت بحسب وجهات النظر ، فعلم نفس شيوعي وعلم نفس رأس مالي يختلفان باختلاف الدولار والروبل . واختلفت وجهات النظر في قواعده باختلاف الشيوعية والرأسمالية ومن الواضح المعلوم ان تركيب الانسان الشيوعي لا يختلف عن تركيب الانسان الرأسمالي وهما لا يختلفان عن الانسان الاخر . وهنا نتساءل كيف اختلفت قواعده ، والانسان في غرائزه وعواطفه واحد لا يختلف الغربي عن الشرقي ؟ ! وكيف ابنتي علم النفس على الشيوعية والرأسمالية ؟ وما يدرينا ان يقوم في هذا العالم المضطرب مبدأ آخر ويضرب تلك القواعد النفسية ليقعد قواعد اخرى تتصل بمبدئه وقد يتطور علم النفس فيؤسس على البيات ويتعدد علم النفس بتعدد البيات .

ومهما يكن من شيء فأني لا اريد ان امنع القارىء من التمسك بقواعد علم النفس . ان كان مؤمنا بعلم النفس وبقواعد علم النفس ، فلعله يجد منفذاً من القول في كثير من الصحابة ، ولعله يجد الشواهد والادلة على ذلك ، ولعله يجد من يؤمن بهذه القواعد ويطبقها ، ولكني لا ارى له مجالاً في صاحب سيرتنا ابي ذر ذلك ان في حديث الرواة الثقات صورة صحيحة صادقة ، تدفعنا

الى الايمان القوي بان اباذر التهم الاسلام يوم اعتنق الاسلام متمشياً في عروقه مخالطاً دمه وفهم الاسلام كما يريد الاسلام يومئذ ، ولم يبق في نفسه آية نزرعة جاهلية وكان مثلاً اسلامياً اعلا ، ذلك انه في اول اسلامه صرخ معلناً بين تلك الجمهرة الطاغية الهائجة من قریش ، وای اسلام اعلا من هذا الاسلام ؟ على انه يمكن ان نتفق مع علماء النفس في ابي ذر ، ذلك انارأينا من قبل تنـ كـر من الاصنام وصفاذنه فتحلل من الاصنام ونبذها ظهرياً ، وانعزل ناحية متخلصاً من الوثنية الا فنه الوضيعة وكان من اشد الناس نفوراً من هذه الوثنية التي عليها قومه ، وكان من اشد ما يكون ميلاً الى هذه الروحية التي يتحدث بها الصالحون من الرهبان واهل الاديرة واهل البيع من اليهود والنصارى ، فمال الى التحنث وعبد الله ونزهه عن الشركاء والامثال ، ولا شك بان الاسلام ضرب على الوتر الحساس من قلبه وابصر منفذاً الى ضميره ، ووجد المشاكلة القوية بين ما كانت نفسه قد اطمأنت اليه من التوحد بين هذه الدعوة ، ولذلك تقبل الاسلام بطمأنينة وراحة ، ومن السهل اذن ان نتصور الاثر الذي احدثته العقائد الاسلامية في نفس ابي ذر ، والروعة التي تركها كلام رسول الله (ص) في نفسه .

وجماع القول انا تتمنى ان ينصفنا القارىء وان نخرج وایاه من هذا البحث الدقيق بخير وعافية ، بما وفقنا الله له من معرفة

السلف الصالح الذين صدقوا بماعاهدوا الله تعالى عليه ، وليسمح
لنا القارى الكريم ان كنا لا نجاريه ولا نماسيه في تطبيق
قواعد علم النفس ، ولا اريد ان ادخل معه في هذا الجدل العنيف
فاعثر العثرة التى لا تقال . وازل الزلة المنكرة واريد ان اترك
- في هذه السيرة - تاريخ الاراء والاديان ، ونظرية علماء النفس
واتحلل منها ، واريد الحقيقة الراهنة التى لا جدال فيها ، والحقيقة
التي ارى انكارها ضرب من غش النفس . والجناية على التاريخ
وخيانته . فان اباذر قد اسلم وجهه لله تعالى . وانشرح صدره
للاسلام واخلص في ايمانه . وكان من السابقين الاولين
وهو رابع المسلمين قوى العقيدة . راسخ اليقين ثابت القدم في
الايمان . والامان يعمر فؤاده . والاسلام ملء سمعه وبصره
من اول يوم اعتنق الدين الاسلامي

وليس معنى هذا انه ليس هناك علم نفس . وعلماء نفس
بل كل هذا موجود . وانما اريد ان اقول : ان نظرية علم
النفس لا تنطبق على نفس ابي ذر لا قليلا ولا كثيرا . بل ولا
على جماعة آخرين ممن اعتنقوا الدين الاسلامي . واخلصوا لله
ولرسوله في السر والعلانية . امثال المقداد وعمار .
وهذا التاريخ يحمل لهؤلاء وامثالهم شارة الخلود . ويرفع لهم
لواء العظمة . والتاريخ لا يسمح لاحد ان يقول : انهم لم يفهموا
الاسلام كما يريد الاسلام . فان الاسلام لم يكن يوما منافيا

منافياً للعقل والفطرة التي طبع عليها الانسان ، وليس فيه ماينافي القدرة والعقلية ، فهو يساير العقل وهو الذى يعرف الانسان ماهية نفسه ، . ومن عرف نفسه فقد عرف ربه .



لم يبق لابي ذر - بعد ان اسلم واسلم اخوه واهله - من حاجة الى الإقامة في مكة او ضواحيها فان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قد اخبره انه ، رفعت اليه ارض ذات نخل وانها يشرب « وقد امره ان يدعو قومه للاسلام » فهو مؤمن كل الايمان بان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سيهاجر من مكة الى المدينة وهو مؤمن بانه سيطيعه الكثير من قومه ، ذلك ان سول الله لا ينطق عن الهوى . ان هو الاوحي يوحى « ركب راحلته ومعه امه واخوه واتجه الى جهة يشرب يغذا السير ويستحث راحلته ، وانيس يحدو للرواحل وابو ذر في معزل عن حدائه ، فانه يفكر في الاسلام ، وفي رسول الله مع قریش الهائجة ، ويفكر فيما سيواجهه من سادات قبيلة غفار اذا انكر عليهم عبادة مناة وسخر منه ، وكيف يدعوهم الى الاسلام ، والاسلام دين جديد لا يتصل بعقائدهم ولا بشيء من اخلاقهم ، وان هذه الاصنام التى عكفت غفار والقبائل العربية على عبادتها تسيطر على كل مظهر من مظاهر حياتها ، فلا تترك مجالاً لاية دعوة ولو كانت حقاً

على طبق العقل فكيف يدعوها وهل يجد عندها اذنًا صاغية ؟ وماذا سيواجه ؟ خطرت له كل هذه الخواطر ، ثم هو يعتدل على راحلته ولا يدع مجالاً لهذه المخاوف ، ولا طريقاً للتردد في نفسه ، ولا يترك سبيلاً للشك يدخل الى قلبه ، فانه سيدعو غفاراً الى الاسلام ، وسينشر الدعوه بين افراد القبيلة مهما كانت الدعوة خطيرة ومهما وقعت من نفوسهم ، ومهما واجه من خطر ، وسيجادهم ما جادلوه ، ويناقشهم ما ناقشوه ، فانه على يقين من دينه ، وبينة من ربه

ألم يقدم لمناة اللبن المقدس فجاءه الثعلب واكله ثم رآه بال على مناة ؟ فقال .

أرب يبول الثعلبان برأسه ؟ لقد ذل من بالت عليه الثعالب فلو كان رباً كان يمنع نفسه ولا خير في رب نأته المطالب برئت من الاصنام فالكل باطل وآمنت بالله الذي هو غالب (١) وصل ابو ذر الى قومه ؛ وحط رحاه وضرب خبائه المناظرة وآوت العجوز الى الحباء وقد اعيها السير وتعبت من السفر ، وكذلك ابو ذر فانه اجهد نفسه كثيراً ، والح عليه التعب ، فهو اشدهما يكون حاجة الى النوم ، فان الليل

(١) ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمان الصوفري الشافعي

صفحه ٢٤ من الجزء الاول من كتابه نزهة المجالس ومنتخب النفائس .

ارضى سدوا ، الى الحى ، وها هم بين سامر وبين مضطجع
قد اوى الى فراشه ، وهناك جماعة يرجعون باحاديثهم الى ذكريات
بعيدة ، وذكريات قريبة .

احدهم - هذه ايام مروت لم نر فيها ابا ذر فارس الحى

ثاني - وكذلك لم نر انيسا شاعر الحى

ثالث - ان ابا ذر كان يتباعد عن مناة ، ورأيت منه

حركات لم نعهدها منه من قبل ، وسمعت منه جدا الامع اخيه
حول مناة لم افهمه

الاول - ان ابا ذر كان يتأله ، وقد بلغه ان رجلا بمكة يتأله مثله
يزعم انه نبي يأتية الخبر من السماء ، ويدعو الى دين جديد ،
فرحل اليه بامه واخيه .

الرابع - لقد سمعت انه رجع ومعه امه واخوه ، فاني رايت
خباءاً يضرب الى الطرف الغربي من الحى ، فسألت عنه فقبل
لى ان ابا ذر جاء ومعه اهله .

الثالث - هيا بنا الى ابي ذر لنرى ما عنده واين كان ؟
فانا في شوق شديد الى فارس حيننا والى شاعرنا انيس .

يتوجهون الى مكان ابي ذر .

ابو ذر - وهو مضطجع يريد النوم يقول لأنيس :

افنى اسمع وقع اقدام واصوات تقترب منا انظر من هؤلاء ؟

يخرج أنيس خارج الخباء ثم يعود .

هؤلاء جماعة من شباننا جاءوا ليسلموا علينا حيث علموا
انار جعنا من سفرنا هذا

ابو ذر - اهلا بهم ، ادعهم فليدخلوا فاني في شوق
لسمرهم وحديثهم ، ولعلنا نرشدهم الى ربنا ، فهذا وقت الجهاد
في سبيل الله .

يدخلون جميعاً انعم مساء يا ابا ذر ويعانقه الجميع ثم يجلسون
احدهم - لقد مرت علينا ايام سوداء وايام جميلة ، كنت في
جميعها مدار حديثنا وكذلك انيس ، فاهلا بكما واهلا بك
يا فارسنا . ابو ذر - انى احمل لكم في قلبي اعظم العواطف ،
واخلص حب وانتم بين سمعي وبصري دائماً .

احدهم - اين كنتم طوال هذه المدة التي غبتم فيها
عن الحى ؟ ابو ذر - كنا في مكة .

ثاني - في مكة . . بنح بنح . . حججت وطفيت بالبيت العتيق
ثالث - نحرت قربان السلامة امام هبل ، من هذه السنة الجديدة ، وسجدت
للات والعزى . . وهذه نعمة عظمت لا يغالها الا ذو حظ عظيم
ومن كان للالهة فيه العناية الكبرى .

ابو ذر - بصوت هادىء ناعم ونعمة ظافرة ساخرة هبل
اللات والعزى الآلهة نصب قائمة لا تملك شيئاً من الحياة ولا
تملك ضراً ولا نفعاً . . لا . . لا . . لم اقدم قرباناً ، ولن اقدم
ولم اهرق دماً ولن اهرق . . ولا سجدت لصنم منذ سنين ولن

اسجد ، واني انقدم بافعالي وسائر اموري الى الله تعالى الى الله وحده لاشريك له ، واسجد لله الذي لا اله الا هو خالق كل شيء ربي وربكم .

يجفلون جمعا بما يسمعون وترتعذرون ائصمهم جميعا ويأخذهم

مثل الافكل

احدهم - ما هذا يا ابا ذر ، أنجعل الالهة الها واحدا ؟

ثم تنكر ما صدر عنها من ايات ؟ !

آخر - انعبد الها لم تره ؟ وتترك الهتما وآلهة اباثنا

ابو ذر - هو ما ا قوله لكم . . وان لم اره ببصري فقد

رأيت به ببصيرتي ، في نفسى وفي كل شيء ، وان هذه الخوارق

التي تمر علينا ، والايات التي نشاهدها في كل يوم انما مصدرها

الله سبحانه الذي هو مصدر كل شيء ورب كل شيء ، وهذه

الاصنام التي تطوف حولها انما هي احجار مذحوتة ، واخشاب

مسنده ، صنعها الانسان بيده وهل ، من الصحيح ان ما يصنعه

الانسان بيده يكون الها له يعبد ويطوف حوله وينحرف له

ويطلب منه حاجاته ، وهو لا يملك شيئا من امره ولا يدفع عن

نفسه شرا ، ولا يجلب لها نفعا ؛ واذا ذهبنا الان الى مناة ونقطناه

من مكانه فهل يستطيع ان يمنعنا من ذلك ؟ بل اذا عملنا فيه

فؤوسنا تكسيرا وتهديا فهل يدفع عن نفسه : ار هل يحس بالمرء

اليس هذا اسفا في العقيدة ، وانزالا للعقل الى مستوى منخفض

ومنحط .

لقد غلط آبائنا في تعظيمهم لهذه الصخور السماء ، وزلت عقولهم اذنزلوها الى مستوى وضع بتعظيمهم هذه الجمادات ، وحادوا عن الحقيقة اذ تخيلوا انها تشفع لنا او تقربنا من الله زلفى وتقضي حوائج المحتاجين .

احدهم - لقد اخبرتكُم انه باغى عن رجل في مكة من قریش يقول بمقالته ويدعو الناس الى آله واحد ، وهو في نزاع عنيف مع قومه ، وقریش اخصام الدعوة من اشد الناس عداوة لهذا الهاشمى المتنبىء وهم الب واحد عليه ، ومن اشد الناس تحريضا للناس عليه ، وعلمت انه سخر من اللات والعزى ، وحقر الاله ، وشيخ الابطح ابو طالب عمه هو الذى يحميه من عدوان قریش وولده على يدفع عنه اذى اطفالهم وهذا ابو ذر على دينه .

ثاني - قوموا نذهب الى خفاف ، فاني اخاف ان يعالن الحي بهذه الدعوة ، ويفسد علينا عيشنا الهادى .

ابو ذر - مهلا . ان الرجل الذى خرج في مكة هو نبى حقيقة ، لقد رسله الله الى الناس كافة ، يدعو اليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، يدعوهم الى الله خالق كل شىء ، ومبدع هذا الكون بما فيه من سماء صافية . وشمس لامعة ونجوم مضيئة ، وقر منير . ليل ونهار ، صيف وشتاء ، حر وقر ، كلها اشارات في السماء .

وآيات في الارض ، تدل علي قدرة الصانع ، الحكيم ، ولا تتصل
بهذه الاحجار المنحوتة ، والخشب المسندة ، والنصب القائمة ،
وانه يدعو لى التحرر من هذه العبادة المنكرة الى ترك عبادة
هذه الاحجار الصماء العمياء .

آخر - اتقول عنها احجار صماء عمياء ؟ اتسخر من الهتنا ،
وتسفه عقولنا وعقول آبائنا !!! . قوموا لنذهب الى خفاف
الجميع - الى خفاف . . الى خفاف . .

ابو ذر - يتمم - كانه يريد ان يقول شيئاً - ولكن .
احدهم - ولكن ماذا ؟ .

ابو ذر - انا معكم الى خفاف . فانه رئيس الحى ، وهو
راجح العقل ثقيل الحصة صاحب روية واثانة ، ولا اراه الا متاففاً
من هذه الاحجار المنحوتة ، واره قد خلصت نفسه من هذه
الاوهام ، وارتفع بقلبه يلتمس الحقيقة العليا ، ولا شك انه
يكبر بعقله عن هذه الاصوات الناعقة ، فاني سمعته مرة يتحدث
عن امية بن الصلت وعن ورقة بن نوفل ، وعن اشخاص آخرين
تأففوا من الطواف حول هذه الهياكل المجسمة ويتحدث عن النبوة
انيس - لا .. لا . لا ادعك تذهب في هذا الليل . . هو
سيدعوك اليه .

يخرج الجميع وينهبون الى خفاف سيد القبيلة .
ويقول احدهم وهم في طريقهم الى خفاف .

هذا - اول الشر

اخر - من انعار علينا ان نسمح لابي ذر ان يستخر بديننا
وأهتنا .

ثالث - يجب علينا ان نطرده من الحى قبل ان يفسد علينا شبابنا
ونسائنا وعبيدنا .

رابع - من يطرده وهو فارس الحى ؟ وكأني ارى انيساً على
دينه .

احدهم - يطرده خفاف واشراف الحى .

اخر - وكان يصغى الى حديث ابي ذر ، وقد رأى فيه حديثاً
شهياً . مهلاً لا بأس عليكم لا اظنه يزعج احداً ولعله يترجع
او يكشف عن هذه الحقيقة ، ويوضح لنا هذا الدين ولقد رأيت
في حديثه طلاء . ها قد وصلنا الى خفاف .

يدخل جميعاً على خفاف .

الجميع - انعم مساء وانعم صباحاً

خفاف يعتدل في مجلسه ويلم اطرافه . . فانه كان في ابتذال
السمر . . اهلاً بكم . . انعمتم . مساء اين كنتم بجمعكم في
عتمة هذا الليل البهيم ؟

الجميع - عند ابي ذر .

- هل عاد ابو ذر ؟

احدهم - جاء بام العجائب وفانحة المصائب جاء والشر

عالم باذيله .

آخر - رأينا منه عجباً وسمعنا شططاً .

خفاف - مذهولا مضطرباً . . ان الالهة تدفع عنكم كل شر . . خيراً رأيتم وخيراً سمعتم

رجل - ان ابا ذر يتصابى ، وهو يسخر من الالهة ويسفه احلامنا ، ويهجن ديننا ، ويدعو الى اله واحمدويزعم انه خرج بمكة نبي يدعو الناس الى عبادة اله واحد ، وقد آمن بهذا النبي ويريد ان يدعو الناس الى هذا الدين الجديد ، ولقد ضلنا اذن وضل اباؤنا من قبل ان نحن تركنا آلهتنا الى هذا اله الذي لانراه آخر - وهو الذي كان يصنع لحديث ابي ذر وقد سال اليه -

انه يدعو الى اله واحد ، يدعي انه فاطر السموات والارض وفي حديثه حلاوة يقرب ذلك الى الاذهان تقريباً جميلاً يكاد ان يجذب اليه النفوس والاسماع والابصار ، واني لارجو من سيدنا خفاف ان يتأمل ، وان لا يضطرب ويتحتم علينا ان ننظر في امره متربصين ، وان لاتأخذنا العصبية الهوجاء فننتدفع مع ابي ذر ويدفع بعضنا بعضاً ، فيفسد علينا امرنا ويشتم شملنا ، ونحن محاطون باخصام من اليهود وغيرهم فنهكون عرصة للاخطار رجل - لقد قلت لكم ان هذا اول الشر .

خفاف - يتصنع القلق والاضطراب ، ابو ذر يدعو الى اله واحد ، ويعبد اله واحد او يترك الالهة ، ان هذا لشئ عجاب ،

شريائه من شريس هذا وقته ، انها كلمة نكراء سوف تضطرب
لها غفار ، ونشغل افكارنا ساعمل الفكر في هذا الامر ، وننظر
في كلام ابي ذر وفي دعواه ، وانكم تعلمون ان ابا ذر قد
شق له طريقا في هذه الحياة ، فهو يعيش وحده ويذهب وحده
ولا يتشيع للذين ولم اره من سنين مضت سجد لصنم وكل ما اراه
منه انه ينفرد لوحده مفكراً ، اما انه يتظاهر بنكران الالهة ،
ويدعو الى دين جديد والى اله واحد لا اله غيره فهذا يجب ان
ننظر فيه ، واني ارجو من الالهة ان توفقنا لدفع هذا الشر الداهم
ثم يتحرك من مكانه كأنه يريد شيئاً ثم تراجع قائلاً هذه النجوم
قد غارت ومالت الى الصفرة ، وانها تأذن بانتهاء الليل وانا تقترب
من الصباح ، والى الصباح ننظر وتنظرون ، ولكن عسى ان يكون
الحق هادئاً والقبيلة كذلك هادئة

يتفرق الجميع ويذهب كل الى خبائه وهو يفكر فيما
رأى وفيما سمع وينظر الى الشبح الاتي فيراه مخيفاً .

خفاف - حائراً مرتبكاً قد خارت قواه مما سمع ، وهو يحاول
ان يفهم هذا الذي يدور في خلدته مما خلفه حديث القوم ، فان
فيه جلالات وفيه عظمة وفيه شراً وسيول الشر :

• يقول لنفسه - : ابو ذر يعود من مكة ، ويقول باله واحد
ويدعوا لاله واحد وينكر الالهة ، ما هذا .. ومن هو هذا الاله
الذي لا يرى ، لعل فيما يقوله شيئاً من الحق .. لعله باطل ..

لعل فيه مسأ . . ان ابا ذر فارس شجاع يسطو كأنه الليث . .
 لا . . لقد رأيت من قبل سنين لا يسجد الى مناة ولا يذكر
 الالهة . . الافكار تدفعه الى الحقيقة : ان هذه الالهة احجار
 منحوتة وخشب مسندة ، لا اثر لها في هذا المجتمع ، ولا تجلب
 نفعاً ولا تدفع شراً . . يتقلب على فراشه لعله يتحول عن هذه
 الافكار بطبق اجفانه ، قد تزلزلت الى الهاوية اريد ان انام . .
 ولكن هذا حكيم العرب قس بن ساعده في سوق عكاظ راكباً
 جملة الاحمر يقول :

ايها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ، ومن مات فات ،
 ومن فات ليس بأث ، ان في السماء خبراً ، وان في الارض لعبراً ،
 ليل داج وسماء ذات ابراج ، وبحار ذات امواج سقف مرفوع ، ومهاد
 مريضوع ، ونجوم تمور ، وليل يدور ، يحلف قس ما هو بلعب والناس
 تلعب وان من وراء هذا العجبا ، اقسام قس قسا لا حائثاً فيه ولا اثماً
 ان لله ديناً هو احب اليه من دينكم الذي انتم عليه ، ونبياً
 قد حان حينه واطل لكم اوانه ، وادر ككم زمانه ، فطوبى لمن
 ادركه فأمن به وهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه ، واواه هذه
 اصوات من عجة تتماوج في اذنى اصوات تتدفق من الافق البعيد
 كما مواج البحر هذه اصوات ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو وعثمان
 ابن الحويرث وعبد الله بن جحش تتماوج في اذنى يقول بعضهم
 لبعض : « تعلمون والله ما قومكم على شيء ، وانهم لفي ضلال

مبين فما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع
ومن فوقه يجري دم النحور ، يا قوم التسوا لكم ديناً غير هذا
الدين الذي انتم عليه « أليس هذا انكاراً للالهة اني احسب ان
اباذر على حق ، نعم ليس به مس هو على حق ، ويدعو الى حق
ساتبعه ولا تهمنى غفار ، ولا بد ان ادعوها الى هذه الالهة

يخرج الى خارج الخباء هؤلاء اهل الحى في سبات عميق ،
ينظون في نومهم ، من سلط عليهم النوم ؟ وهذا الليل يكمد لونه
وهذا البدر المنير يريد ان يخترق هذا الافق ، ويرحل الى مكان
آخر الى اين ؟ وهذا النهار يهاجم الليل ويدافعه وسيذحره . ما هذا
الذى اراه في صفحة السماء نجوم لامعة وهامى شاحبة اللون تصفر
وتريد ان تغور الى اين ؟ وهذا الصباح ابتداء يهاجم الليل والقمر
والنجوم ولا شك انها ستتهزم ولا شك ان القمر والنجوم
ستختفى وتولى منهزمة فالى اين ؟ وبعد قليل ستأتي الشمس
بنورها الساطع ، فما هذا التدافع وما هذه الحرب السجال ؟
محارات الى محارات وايات تلوايات ، وتدافع بين هذه الموجودات
من اسأل عنها ؟ ان هذه الصوامت من حولي لا تجيب ، وهى
لا تسمع ولا تبصر ، أفلا يجب ان اسأل ؟ أفلا يجب ان اعرف
هل تسيرها مناة وهبل واللات والعزى ؟ لا . لا . لا . كلها
اكبر من مناة كلها اعظم من هذه الاصنام البلهاء لا بد لها من
مدبر اخر غير هذه الهياكل التى تقدسها ، هو اولى بالعبادة

والتقديس منها.

ان هذا جهل استولى على العقول والانفس ، فملك عليها تفكيرها
وملك عليها انفاسها ، نحن في غفلة نحن في سبات عن المدبر
الكبير ، الذى له الوجود التام وبيده تدبير هذه العوالم . .
ساترك حيرتي ، سأرجع الى عقلى ان ابا ذر على حق ، ان حكيم
العرب لم يخطأ ، لا بد لهذا العالم من مصلح لا بد من الاله يدبر
هذه الموجودات غير هذه الهياكل الجامدة والخشب المسندة
يا اله ابنى ذرارشدني . . اتقذني من هذا الضلال . .

ينفض الحى من رقده ويلتفت اهله الى جهة مناة حانين رؤسهم
تعظيما له تبرغ الشمس من مشرقها وينتشر الخبر في الحى
بسرعة البرق الخاطف . . جاء ابو ذر واخوه وامهما وهم
يعبدون الها واحداً . . وينكرون مناة

اصوات . . يكشر اللغط ويرتفع الهرج . . أنترك
الهنثا؟ . . أنعبد الها لانراه ؟؟ ان مناة يشفى مرضانا ان مناة
يدر علينا ارزاقنا !! ان الآلهة تحفظنا من بين ايدينا ومن خلفنا
ومن جميع نواحيها ان ابا ذر يدعونا الى اله لانراه يريد ان يفسد
علينا شبابنا ونساءنا وعبيدنا . انه كذاب . انها دعوة باطلة . .
اطردوه من بيننا . . لالا . . انه فارس شجاع . .

اجتمع اجماد غفار وسادتها حول خفاف واحاطوا به احاطة
السوار بالمعصم .

الجميع - أسمعت بما يقول ابو ذر ؟
خفاف - سمعت البارحة عنه مقالة عظيمة - وفي تصنع - انه يمشي
مستطير يجب ان ندفعه

الجميع - نعم يجب ان نقاومه ، انه يسفه احلامنا ، ويسخر من
آلهتنا : انه كذاب مجنون ، لقد سحره هذا الذي يدعى النبوة
في مكة

خفاف - لا تقول ذلك قبل ان نستمع منه . . الان نرسل اليه
ليأتينا . . عليّ بابي ذر
الدعوة الى الاسلام

يذهب الخادم الى ابي ذر واخيه ويقول لهما ان سيدنا خفاف يدعوكما اليه
ابو ذر - انا في الاثر

ثم يقلد سيفه ويخرج ومعه أخوه متوجهين الى خفاف
انيس - لا بى ذر ما نظن بخفاف اني ارى الامر تفاقم واني اسمع لغطا
في القبيلة

ابو ذر - لا اظن إلا خير أفاني اعرف خفافاً رجلاً عاقلاً حكيماً
مفكراً أمكتل العقل ، وعضواً نافعاً في مجتمع غفار ، وطالما رأيته
يتمتع من هذه العبادة ويتأفف من هذه الهياكل التي تقدر
ولا اراه إلا منصفاً

انيس - اني اخاف ان يخشن لنا بالكلام ، أفلا ترى هذا
الهياج ؟ وانا عازم على المقاومة .

ابوذر - لا لا ، لا نقاوم احداً فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يأمرنا بذلك ، وانما ندعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة فان قبلوا دعوتنا فهذا من فضل الله ، وان لم يقبلوا نعتز لهم وما يعبدون ، لهم دينهم ولناديننا ، يا انيس ان الحق ابلج ساطع وأرائني مطمئناً بان دعوتنا سوف تلاقى 'اذنا صاغية وقلوباً واعية ، والامور بيد الله

يدخل ابو ذر وانيس على خفاف فيريان امجاد غفار حافين حوله ملتفين به كالخلة المفرغة

ابو ذر - سلام عليكم ويعانق خفاف الجميع - هياج واضطراب . . ما هذه التحية التي لم نسمعها من احد ان هذا تجد من ابي ذر اخر - انه لمنطق خاسر

ثاني - انه شر خطير - والى آخر بجانبه - الانراه منقلداً سيفه . . لا بأس في ذلك ان الفارس لا يترك سلاحه

ابوذر - لا . لا . لا اريد ان اتحداكم ، وكيف اتحداكم وانتم سادة غفار واجادها فقررة الظهر وناموس الفخر ؟ وانما هي تحية الاسلام الذي ادين الله به ، وهي التحية التي حييت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما رأته ثم يجلس ويجلس اخره الى جانبه

خفاف - لا بى ذر بعنف ممزوج برحمة ، كلمة نكراء بلغتني عنك لم تحسب لها اى حساب واعلمك لم تقدر عواطف قومك ، وهؤلاء اجماد

غفار في نغمه شديدة ، يقدحون زناد الغيظ وهذه القبيلة في لفظ صارخ وهياج مقلق ، ألم تفكر في مقدار الانخزال الذي يصيبك من هذه الدعوى ، وكيف نعبد الهأ لانراه ، ونترك ما كان عليه أبائنا الى هذه الاوهام الفاسدة ؟ ! وكأنك لاتعلم الاثر السيء الذي تحمله الينا مع هذا الحدث الذي فاجأت به قومك لتفسد عليهم دينهم واخلاقهم ، وتفسد شبابهم ، وتفقدهم وجودهم المعنوي بين العرب ، وتحملنا عاراً لا يزول بمرور الايام

انا لاسلك باب شجاعتك ستمهزم امام هؤلاء الامجاد ، ولا نستطيع ان نسمعك تسفه احلامنا وتسخر من ديننا والهمتنا ، وارك محطم القلب امام ناموس هبل العظيم وقديس مناة ، ولذلك ارى لك ان ترجع الى دينك ودين ابائك من قبل

ومن الحق ان نفسح لك المجال لتكشف لنا عن حقيقة هذا الدين الجديد الذي تعتنقه ، فان انت استطعت ان قلمسنا حقاً كأنانسمعه ونراه ، وبرهنت عن دين صالح هو خير مما نحن عليه فاناتبعك لان الدين هو الغذاء الروحي لهذه الاجسام المنهوكة من فرضى الحياة ، والقوة الحاكمة التي تسيطر على الانسان الشرير بطبعه ، وتكفل له حياة ناعمة هادئة ، والدين هو الذي يدفع الشرور والاثام والجرائم ، وهو القانون الذي يحفظ الحقوق بين الناس فيعيش الابداء في ظل ابائهم والقبيلة بهناء وصفاء ورغد من العيش ، فاعرض علينا هذا الدين الجديد وحدثنا عن هذا

الرجل الذى تزعم انه نبي يأتبه الخبر من السماء فانا نعرف فيك
الصدق والامانه والاخلاص لقومك

ابوذر - انصف القارة من راماها ، ولقد انصفني سيدنا وانصفني
قومي اذ ان رائدنا جميعاً هو الحقيقة

نحن مهملاتنا فيما حولنا ، ومهمنا بالغنا في التقشيش ، فسوف
لانشعر بشيء تحسن به هذه النفوس المرهقة باعباء الحياة إلا
مانعنا من اضطرابات نفسيه ، وتفكك في عرى الاخلاق ،
وتفسخ في الاداب العامه فنحن في فوضى اجتماعية وارتباك خلقى
ليس لاحد مناحق على الآخر ، ولا يرتبط احدنا مع غيره بنظام
ولا يفهم معنى للحق إلا بمقدار ما تقصر عنه قوته وقدرته ، وقد
جعلنا انفسنا مسيرة لما تمليه شهواتنا المنهومة ، وليس على الفردي
مسؤولية ، والضعيف مسير للقوى افلا ترون ان الجرائم تنفشى
في مجتمعنا ولا مسؤولية عليها ؟ ونحن لانرى الخير خيراً ولا الشر
شراً إلا بمقدار ما تحدده لنا حياتنا وغرائزنا المتخاذله امام شهواتنا
المنهومة ، وأرى ان الحياة شر كلها مادام هذا الانسان طائشاً
جهولاً ، لا يرتبط بنظام خلقى يقوم على اساس صحيح ، وترتبط
به الافراد ليدحروا هذا السوء الذى يسيطر على روح الافراد
والجماعات ، والحياة شر كماها مادامت هذه الجرائم النفسية بين
افراد الامة مهيمنة على عقل الانسان ، وتجعله شراً مستطيراً
وعضواً اسلاً ، فتقتنى قبيلة وتجها اخرى ، وتزهق انفس وتسترق

اخرى ، وتراق دماء وتهتك اعراض ، وتسلب اموال ، وليس هناك نظام اجتماعي يحفظ النفس ، ويصون الاعراض والاموال ، وقافلة الحياة تسير الى الهاوية مادامنا لا نميز بين الخير والشر ، ومادام الخير والشر نسبين يرتبطان بيمولنا وشهواتنا ، والانسان شرير مادام بعيداً عن الله تعالى ، مرتبطاً بهذه الاحجار ، يعبدها ويقدسها ، ويطوف حولها ويعتقد انها تجاب له الخير وتدفع عنه الشر وهي خرساء بكماء عمياء صماء

أفرايتم لو ان أحداً ذهب الى مناة وخطئه هل يدفع عن نفسه هذا الالم او يحس به ، او هل يدفع هذا الضيم ؟ ولقد قدمت مرة اللبن الى مناة ووضعت امامه فجاء الثعلب فشر به ثم بال على مناة وانا اشاهد ذلك فقلت

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بال عليه الثعالب
فلو كان رباً كان يمنع نفسه ولا خير في رب نأته المطالب
ان هذا الوجود يزدهم بالحوادث الخطيرة ، والمفاجآت اليومية وهو يسير على نظام بديع متزن لا تبديل فيه ولا تحويل ، فمن كوّن هذا الكون ؟ ومن سن له هذه النواميس التي يسير عليها ؟ من يستطيع ان يدرك عظمتة او يقف على نهايته ؟ وهل تعتقدون انه يتصل بهذه النصب الجامدة او انها هي التي تسيره على هذا النظام بهذا الشكل من السير والدوران : أفلا ترون ان هذا ضرب من غش النفوس وكبت العقول وخديعتها ؟ ان الحقيقة

العظمى هي من وراء هذه الاشياء ، وهذه الاشياء كلها دليل
على الحقيقة العظمى والوجود المطلق

ونحن اذا ازحنا هذا الغشاء عن ابصارنا وقلوبنا لا بصرنا مع
المبصرين ، وشاهدنا مع المشاهدين ووصلنا مع الواصلين الي هذه
الحقيقة وعلما انها هي وحدها التي تهدينا باثرها ، وتفيض على هذه
الموجودات بامداداتها ، فهذه الموجودات تتصل بالقوة الالهية ،
وتستمد من فيوضها ولا تتصل بهذه الجوامد التي نقدها ونعبدها
من دون الله القادر الحكيم

لا شك بان خالق الارض اكبر من الارض وخالق السماء اكبر من
السماء ، وخالق هذه الموجودات اكبر من هذه الموجودات كلها
واكبر من مناة واللات والعزى ، فلا يصح عقلا ان تكون مناة
هي التي تسيرها ، واما ان مناة تقربنا من الله زلفى فهذا منطوق
خاسر ، فهي لا تدفع شرّاً عن نفسها ، ولا تجلب لها نفعاً فكيف
تقربنا الى الله زلفى وفاقد الشيء لا يعطيه

ليس من المنطق ولا من الصواب ان نقدر هذه الاصنام ،
ولا من الصحيح ان نطوف حولها ونحجر لها ، وخالقنا وخالق
هذه الموجودات احق بالعبادة ، واجدر بنا ان نتوجه اليه بقلوبنا
وحاجتنا

ولقد رآيت محمداً رسول الله حقاً بعث للناس كافة ، يأمر بالخير
وينهى عن الشر ، يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى

عن عبادة الاوثان ، وهو نبي ينزل عليه الوحي من الله يقول
حقا وينطق صدقا صادعا بأمر الله معرضا عن الدنيا وما فيها ، يأمر
بالمعروف وينهى عن الفحشاء والمنكر ، ويدعو الى سبيل ربه
بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل بالتي هي احسن ، رؤف
عطوف ، رحيم بار يتصاعد النور من جبينه قد سماه اعداؤه
الصادق الامين

اصوات مختلفة - ما اجمل هذا الحديث . . انه شهي
. . نعم مناة حجر اصم . . ابو ذر افسد علينا ديننا . . انه
سخر بالهتنا . . انه صوت حق . . ليخرج من بيننا
صوت انه كلام اجوف

ثاني - هذا كلام ساحر فقد سحره رجل مكة
صوت - انه كلام حكيم انه حق والحق احق ان يتبع
صوت - مارأيت رجلا جاء قومه بافضل مما جاءنا به ابو ذر ،
فلا بد للعرب من مصلح ولا بد من نظام خلقي يدفع عنا شر
هذه الفوضى الماحقة قبل ان تبعد الامة العربية كما بادت امم
من قبل

صوت - كلام مشفق على قومه
رجل بصوت عال رن في الاسماع - يا ابا ذر انا اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمداً رسول الله

خفاف - بعد تأمل وتفكير يلتفت الي من حوله :

يجب ان ننظر في كلام ابي ذر ونأمله ويجب ان نفكر فيه ،
واراه كلاما عذبا أفلا ترونه حقاً ؟ وكلكم يعلم ان الاخلاق
الغيبيلة قد انزمت من مجتمعنا ، وتفككت عرى الاداب وكثرت
الجرائم بين العرب فالناس في هرج ، ومرج ، القوى يأكل الضعيف
وميزان الخير والشر بيد القوة العاشمة ، ولقد ذكرني كلام ابي ذر
بكلام حكيم العرب ابن ساعده ، ولا بد انكم رأيتموه في عكاظ
وسمعتهم يقول : « ان في السما خيراً وفي الارض لغيري يحلف قس
ما هو بلعب والناس تلعب وان من وراء هذا لعجباً . . يحلف
قس يمينا غير كاذبة ان لله دنيا هو خير من هذا الدين الذي انتم
عليه ، ونبياً قد حان وقته واطللكم اوانه »

ولا اكنتمكم اني طالما جلست الى نفسى مفكراً في مصيرنا
ان دام الوضع على هذا الحال الذي نحن عليه ولم تتداركنا
السما بمصلح يرشدنا الى الخير ، ويربطنا بنظام اجتماعى اخلاقى
يربط الافراد بالجماعات ، والقبائل بعضها ببعض ، ويجعل منا
وحدة مترامه يأمر بالخير وينهى عن المنكر والفحشاء الشائعين
بين العرب فان العرب الى زوال واحسب ان الزمان قرب لظهور
هذا المصلح الانساني الذى يصلح العرب ، ويرفع كلمتهم وهذه
الرهبان تلجج بذكر نبي يخرج من العرب ، انا لست شاكاً بان
ابا ذر صادق فيما يقول ومن الخير لنا ان نوافقه على دينه فاني
اشهدان لا اله الا الله واشهدان محمداً رسول الله ، فمن شاء منكم

ان يصدق بما صدقت ويؤمن بما امنت فله مالنا وعليه ما علينا ومن
لم يشاء ذلك فهو في حل
اصوات . لغط . هرج اسلم خفاف اسلم خفاف وقد تابعه اكثر
غفار فاسلموا ، وتجاوزت صرخة الاسلام من غفار الى اسلم ،
فاسلم منهم جماعة وارتفعت الاصوات بتمجيد الله واهتزت القلوب
بذكر محمد



نصر عظيم احرزته ابو ذر ، فقد اسلم خفاف سيد غفار
واسلمت غفار إلا القليل منهم واقام ابو ذر بين قومه فرحاً بهدا
للنصر العظيم والفوز المبين مغتبطاً حيث لم يلق عناء في دعوته
ولم يسفك دمًا ، وليست الدعوة الاسلامية بما يتعاصى على العقول
ادراكها او يقف العقل عندها حائراً مرتبكاً ، وكل ما هنالك
ان تتنبه العقول الى النظر فيما حولها من آيات هي بصائر للناس ،
فمن ابصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها ، والمشاهدة والتفكير
هما اكبر وسائل المعرفة ، وليس على طالب المعرفة إلا ان يرجع
الى عقله مفكراً في آيات الله تعالى ، ولقد كان هذا هو شأن ابي
ذر في دعوته الى الله ، وهذا هو كل ما حاوله ولقد كان نجاحه
عظيماً وفتحته مبيناً

وانصرف ابو ذر في تفكيره الى نصرة الدين الاسلامي
والانتقام من قريش ، وهذه غفار اسلمت وانقادت له وهو الفارس

الشجاع ، فأى مانع يمنعه ان يقود النخبة الممتازة من قومه ليشأر
 لنفسه ؟ فان قريشا عدت عليه وضربته حتى كاد ان يموت لولا
 ان تداركه العباس بن عبد المطلب ، ولم يكن له ذنب عندها
 إلا انه صدق محمداً صلى الله عليه واله وسلم وآمن برسالته ،
 واعلن هذا الايمان ، وابو ذر يرى من اعجب العجب ان يكون
 ايمانه ذنباً يستحق عليه هذه البادرة الجريئة من قريش ، وممرها
 في متجرها على غفار ، وها قد دقت ساعة الانتقام ، وواتته الظروف
 وشباب غفار ايضاً غاضبه على قريش لانها عدت على صاحبها ،
 ولانها لاتزال مستمرة في ايدائهم المحمدية هذا وحده يكفى لان
 يكون مبرراً لها فيما اذا قطعوا الطريق عليها ، يقول ابن سعد
 في طبقاته . . . جاء ابو ذر الى النبى صلى الله عليه واله وسلم
 وقال يا رسول الله اما قريش فلا ادعهم حتى اثار منهم فانهم
 ضربوني »

وهكذا كان فانه خرج بجماعة من رجاله واقام بعسفان ،
 وكلما قبلت غير قريش تحمل الطعام ينفر بهم على ثنية الغزال ،
 ويلقي احمالها ويقول لا ارد لكم منها شيئاً حتى تشهدوا ان
 لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله فان فعلوا رد عليهم ، وان لم يفعلوا
 لم يرد عليهم شيئاً ، وكان على ذلك حتى هاجر النبى صلى الله
 عليه واله وسلم الى المدينة
غفار غفر الله لها

اقام رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعد خروج ابي ذر في مكة يدعو قريشاً الى دين الله ويجد في الدعوة ، ولكن قريشاً تصامت عن سماع دعوته حتى كان في اذانها قرأ ، وعنت عن امر ربها ، وامعنت في ايداء رسول الله (ص) ، وكان الأمويون اكثر الناس خصومة واشدهم عداوة لله ولرسوله وتحريضاً للناس على ايدائه ، فاذوه بما استطاعوا وتحمل اذاهم بما استطاع حتى اذن الله له بالهجرة الى يثرب

امر وزيره - كما سماه - امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ان ينام على فراشه لثلاث شعير قريش بخلو مكانه وخروجه فيدر كونه ، وامره ان يرد الامانات التي عنده الى اهلها ثم يوفي دينه ويلحقه بالفواطم ، وخرج رسول الله عليه وآله السلام ليلاً فرأى ابا بكر في طريقه فصحبته معه الى الغار

مرت الايام بطيئة متناقلة على ابي ذر وهو ينتظر قدوم رسول الله الى يثرب ، فانه اخبره «انه رفعت اليه ارض ذات نخل وانها يثرب ، وانه مهاجر اليها» وهو الصادق الامين ، فلا بد انه مهاجر ، ولكن متى يكون ذلك فهذا لا يعلمه ، ولذلك كان قلقاً مضطرباً يحسب لتأخير الف حساب وحساب ، وكان ابو ذر يكثر من السؤال عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيخبره الناس عن امعان قريش في ايدائه ، وكانت هواجسه تتعاضم وتتلاطم كلما سمع خبراً او حديثاً من هذا القبيل ، بيد انه

لا يستطيع ان يقوم بنصرته ، فهو يهيم ان يذهب لمكة ثم يتراجع
لانه وعده انه سيهاجر من مكة فيقسم له الامل بان محمداً صلى
الله عليه واله وسلم في حصن حصين من ادى قریش مهاتصافت
على ايدائه ، وان الله سبحانه سينصر محمداً ويغلب قریشاً معها -
كانت عدتها وعددها ، وكان ابو ذر بين هذين الصراعين يغالب
عقله وارادته ، وكانت حرب عوان بين عواطفه الجياشة -
وعقله الراسخ

ولقد شئت الصدفة ان يعلم بخروج رسول الله صلى واله سلم
من مكة فتلهل وجه فرحاً واشرق توراً لهذه البشرى ، وانتشر
الخبر بين قبيلة غفار ، واخذوا يراقبون الطريق الاعظم لان
مره عليهم ، وما اشد فرح ابى ذر اذ يشاهد رسول الله ونوره
يسعى بين يديه ويدل عليه ، فهرول مسرعاً واخذ بزمام الناقة
مستبشراً وفرحاً ، واخبره بان غفراً اسلمت ولم يبق منهم الا القليل
ينتظرون قدوم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وانتشر الخبر
بين القبيلة فاقبلو على رسول الله وقالوا : « يا رسول الله ان ابا ذر
علمنا ما علمته فاسلمنا وشهدنا انك رسول الله » واسلم الباقيون لما
شاهدوا رسول الله والنور يتصاعد من جبينه ، وتقدمت اسلم
فقالوا انا قد اسلمنا ودخلنا فيما دخل فيه اخواننا وحلفائنا ،
فقال رسول الله : غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله (١) ثم ارتحل

(١) عقد كل من البخاري ومسلم لكل من غفار واسلم بابا في الدعاء

رسول الله الى المدينة واقام ابو ذر في قومه حتى مضت بدر -
والاحزاب ، وليس بين مضارب غفار وبين المدينة مسافة بعيدة
فانه كما رأينا من قبل ان غفار ضاربة حول المدينة ، وكما
حاولنا ان نعرف اسباب تأخر ابي ذر بين قومه وعدم لحوقه
بالنبي صلى الله عليه واله وسلم فلم نعثر على شيء يكشف لنا اسباب
التأخير والله ورسوله اعلم .

حياته في الاسلام

لانشك بان الاديان جميعها تتجه بالبشرية الى تمجيد الله سبحانه
وتعالى مهما تغايرت طرقها ، واختلفت طقوسها ، وتباينت نزعاتها
ولكن ليس فيها جميعها ما يساير العقل والفضيلة كالدين الاسلامي
فان الاسلام يسايرها في ادق الميول واجلها على اختلاف الامم ،
في مختلف البيئات وفي مختلف الازمان . يقول الاستاذ جيلمان
« . . ان الاسلام كثير البساطة حقا ، فهو لا يعدو الايمان
بالله لا اله الا الله هو الواحد الاحد ، وان محمد صلى الله عليه واله وسلم
عبده ورسوله ، واقامة الصلاة . وابتاء الزكاة . والصدق في المعاملة
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاسلام في خصائصه
دين عملي ليس له مثيل بن الاديان جميعها ، بسيط في عقائده جميعا
خفيف في اوامره ، جميل في فروعه » بهذا يعلن الاستاذ جيلمان
وبهذا يصارح قومه ، وانها كلمة مختصرة ارسلها الى المستشرقين
المتبردين على الحقيقة وطعنوا في الاسلام تعصبا .

حقاً ان الاسلام اكثر الاديان بساطة واسهلها واسمحها ، ليس فيه ما يقيد العقل ويوبق الروح ، وبهذا امتاز على سائر الاديان السماوية وليس فيها ارى - دين يضارع الاسلام في هذه المميزات البارزة ، وليس هناك دين يساير العقل كالدين الاسلامي ، فانه حيك على احسن منوال ، وفك العقل من القيود الثقيلة التي كانت ترهقه بها الاديان الاخرى ، فالعقل يساير الدين والدين يساير العقل ، وهو دين اجتماعي اخلاقي جمع كل ما يحتاجه الانسان ببساطة وسماحة ، والتشريع الاسلامي ضمن للناس كافة حقوقهم فيما بينهم ، والناس بنظر الاسلام سواء لا فرق بين ابيضهم واسودهم وكل انسان واجدموله ورغباته فيه ، فمن اراد الروح فانه يجد المتسع فيما يتصل بصلاحتها وتهذيبها على اكمل وجه ، حتى يعرج بها الى الملاء الاعلى ، متجردة عن كل مادة ترهق الروح وتوبقها ، ومن اراد الجسم وجد في الاسلام وتعاليمه ما يضمن له خير الدنيا وسعادة الحياة . ومع ذلك لا يعدم حياة اخروية تلحقه بالابرار من عباد الله الصالحين .

والتشريع الاسلامي هو المنبع الفياض الذي يستقى منه علماء التشريع ، ولا يزال كذلك بدوام هذا الانسان ، وما دام في هذا الوجود عقل وقلب ، وما دامت الشمس تسبح في هذا الفضاء وبعد - فانا نرى ابادر قد تكونت عناصر حياته في الاسلام من هذه الانسانية الكاملة المشبوبة لم تمسها ضراوة الغرائز الجاحمة

ولا شهوات النفس المنهومة، وابو ذر هو الرجل الذي وجه حياته
توجيها كاملا في دور الانتقال من دين الى دين، فمادخل في الاسلام
حتى اصبح كأنه قطعة انفصلت من جسم الاسلام لتعطي الاخرى
صورة مثالية صحيحة عن الاسلام، فكأنه خلق في الاسلام على احسن
صبغة، وانمحت من نفسه كل عقيدة كان يحملها في جاهليته
واخلص لله في عمله، وللمسلمين بالمواساة والمحبة، فكان من
اورع الناس وازهد الناس، وأعبد الناس، وصدق الناس واقواهم
ايمانا، واكثرهم اتكالا على الله، ولقد كان قوته على عهد رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم « داما من تمر فلم يزد عليه حتى
مات » وكان من اصرح الناس حتى قال « ما زلت في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر حتى ما ترك لي الحق صديقا »

هذا ولم ترفي سيرته مأخذاً جاهلياً ولا يهودياً ولا نصرانياً
او ما ينافي العقل، حقا انه كان مثلاً عالياً للاخلاق الاسلامية،
وعبقرياً امتاز بفضله ونبله وسمو مبادئه، حتى قال رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم : « ابو ذر منا هل البيت » وهذا شرف
تفرد به سلمان الفارسي وابوذر الغفاري سلام الله عليهما .

قال ابو نعيم في حليته : « . . العابد الزهيد ، القانت الوحيد
رابع الاسلام ، ورافض الازلام قبل نزول الشرع والاحكام
تعبداً قبل الدعوة بالشهور والاعوام ، ولا تغزعه سطوة الولاة
والحكام ، اول من تكلم في علم البقاء والفناء ، وثبت على المشقة

والعناء، وحفظ العهد والوصايا وصبر على المحن والرزايا، واعتزل
مخالطة البرايا الى ان حل بساحته المنايا ابو ذر الغفاري رضى الله
عنه، خدّم الرسول، وتعلم الاصول ونبذ الفضول... وكان
لرسول الله صلى الله عليه - واله - وسلم ملازما وجليسا وعلى
مسأله والاقتباس منه حريصا، والقيام على ما استفاد منه انيسا،
وسأله عن الاصول والفروع وسأله عن الايمان والاحسان،
وسأله عن رؤية ربه تعالى، وسأله عن احب الكلام الى الله تعالى
وسأله عن كل شيء حتى عن مس الحصافي الصلاة، تخلى عن
الدنيا وتشمر للعقبى، وعانق البلوى الى ان لحق بالمولى « وكان
رضوان الله عليه احد الحواريين الذين مضوا على منهاج رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم ووفوا بما عاهدوا الله عليه، وتابعه
في سيره يقتفى اثره ويتبع سنته، ولازم امير المؤمنين على عليه
السلام، ولم يفك عنه، يسير بسيرته ويقتدى به ويتبع اثره
ويقتبس من نور علمه ».

وذكر غير واحد من اهل السير ان رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم قال : « في امتي ابو ذر شبيه عيسى بن مريم في
زهده » وفي رواية من سره ان ينظر الى تواضع عيسى بن مريم
فلينظر الى ابي ذر وفي عيون الصدوق عن الرضا عليه السلام عن
ابائه عليهم السلام قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم :
ابو ذر صديق هذه الامة.

الحديث ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن امير المؤمنين علي عليه السلام والمصنوعين من ذريته ، وللحديث قيمة كبرى في التشريع الاسلامي لا تقل عن قيمة القرآن المجيد ، ذلك ان الاوامر القرآنية مطلقة او عامة او مجملة لم يبين فيها تفصيل الاحكام والوقائع ، فجاء ، الحديث وقيد المطلق وخصص العام وبين الجمل وفصل احكام الوقائع ، فهو مصدر من مصادر التشريع ونشرو الثقافة الاسلامية ، مصدر التفكير في كثير من الامور العقلية والفلسفية والتاريخية ، بل في السياسيات ايضا ، وجماع القول ان الحديث منبع فياض يستقى منه الفقيه والفيلسوف والمؤرخ والاخلاقى والسياسى والقضصى على السواء ، ولم يدون شىء من الحديث في عصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب خاص واعتمد الصحابة علي الحفظ والذاكره فنشأ عن ذلك الخبط والارتباك وقد تعتمد بعض المنافقين وضع الحديث ونسبته الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاختلط الامر

ولقد تلمح وانت تقراء كتب الحديث والاثار النبوية احاديث كثيرة نسبت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تشك ، ونحن نقرؤها ، بانها موضوعة اخذت عن اليهوديه والنصرانية كالذى تقراء جانباً منه في حديث ابى هريره ، وهناك احاديث كثيرة كانت تملئها السياسة المتلوثة حسب الميول والاغراض والظروف

الخاصة وتنسبها بسند صحيح صريح الى رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم كالذي رواه عمرو بن العاص ان رسول الله (ص) قال
آل ابي طالب ليسوا لي باولياء . . . والخبر الذي روى ان رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم قال في معاوية : اللهم قه العذاب
والحساب وعلمه الكتاب الحديث ، الى كثير من امثال هذه
الاحاديث من مختلفات السياسه ، فترسلها الى الناس بطريق واضحة ،
وتفرضها عليهم فرضاً بسند صحيح لتخدعهم عن دينهم ، وتصرفهم
عن اهل بيت نبينهم عليهم الصلاة والسلام

وبعض من صحب النبي صلى الله عليه واله وسلم كان يجلس
في مهب الريح السياسية يستطلع ارادتها تحت مساومة
معلومة : فهو يضع الحديث وينزجه بين احاديث رسول الله
ولا يجد حرجاً ولا يشعر بمسؤولية امام الله عز سلطانه

وعلى الاجمال يظهر لمن تتبع كتب الجرح والتعديل ان
بعضهم كان يعتمد وضع الحديث ، ولا يرى حريجة في ذلك او
مسؤولية ، بعد ان كانت السياسة تفرض عليه ذلك ، ولا يرى
بأساً في هذا الوضع مهما كان نوع الوضع ، وكتب الحديث
مشحونة بهذا النحو من الموضوعات ، فارجع لايها شئت وقد
الف العلامة السيوطي في ذلك كتاباً ضخماً اسماه اللآلئ المصنوعة
في الاحاديث الموضوعه

واما ابا ذر فقد كان ابر واتفق من ان يقتري على رسول

الله صلى الله عليه واله وسلم، من ان يتعمد الكذب عليه، فيروي عنه ما لم يقله، وانت اذا قلبت الصحاح وغيرها، وقلبت ما ورد من حديث أبي ذر حديثاً فحديثاً، فلا تجد له ما خذاً يهودياً ولا نصرانياً ولا جاهلياً، ولا تجد حديثاً صح عنه هو مفترى على رسول الله والسياسة لم تتخذعه ولم تتخذة اداة لاغراضها المسفة، ولم تسخره لشهواتها المنهومة

ولقد كان ابو ذر من الحزب العلوى وكان من المجاهدين في الدعاية لأمير المؤمنين على عليه السلام، وكان من رجال المؤامرة ضد مؤتمر السقيفة، ولقد عدت السياسة عليه فاضطهدته وشرده عن عقرب داره ومهاجر نبيه، ولقد اكلت لحم فخذه، وبالاخير اماتته في ابغض بقاع الارض عليه الربذه، وما ادراكهم ما الربذه ومثل هذا الانغماس الحزبي يكون على الاكثر مدعاة لوضع الحديث

وفي على عليه السلام نواح جليله تسمح للواضع ان يضع، وللحدث ان يحدث وتسمح لابي ذر ان يسير في هذه الطريق المتفسخة المتتوية، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، فانه كما قال رسول الله ما اقلت الخضراء ولا اظلت العبراء اصدق لهجه من ابي ذر» لم يقتر حديثاً ولم يضع ولم يسلك هذه الطريق الوعرة الخافة، ولم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم إلا ما سمعه وحدث به، ولم يرو عنه إلا كل فضيلة هي المثل الاعلى

للاخلاق السامية ، فهو يروى لنا وصيته الكبرى ذلك القانون
الاخلاقي الاجتماعى ، ويروى لنا عن رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم امثال قوله

«١» ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكهم
ولهم عذاب اليم

قلت : يا رسول الله : من هم ؟ فقد خسروا الدنيا والاخرة
فقال المنان والمسبل «١» والمنفق سلعته بالخلف الفاجره

«٢» امرنى خليلى صلى الله عليه واله وسلم بسميع : امرني بحب
المساكين والدنومنهم . وامرني ان انظر الى من هو دونى ولا
انظر الى من هو فوقى ، وامرني ان اصل الرحم وان ادبرت ،
وامرني ان لا اسأل احداً شيئاً ، وامرني ان اقول الحق ولو كان
مرأ ، وامرني ان لا اخاف في الله لومة لائم ، وامرني ان اكثـر
من قول لاحول ولا قوة إلا بالله فانهن كنز تحت العرش

«٣» خرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال
اتدرون اى الاعمال احب الى الله عز وجل : قال قائل
الصلاه والزكاة . وقال قائل : الجهاد قال - يعنى رسول الله «ص»
احب الاعمال الى الله عز وجل الحب في الله والبغض في الله
«٤» قد افلح من اخلص قلبه للايمان وجعل قلبه سليماً ولسانه

(١) فى النهاية : المسبل هو الذى يطول ثوبه ويرسله الى الارض اذا

مشى وانما يفعل ذلك كبراً واختيلاً

صادقاً ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وجعل أذنه مستمعه وعينه ناظره

«٥» لا تزال امتي بخير ما عجلوا الافطار واخروا السحور
 «٦» ما يسرنى ان لى مثل احد ذهباً موت يوم اموت وعندى منه دينار
 او نصفه إلا ان ارضده لغريم «٧» ايها الناس لو صمتتم حتى تكونوا
 كالآوتار وصليتتم حتى تكونوا كالخنايا، وعبدتم حتى تقطعوا
 ارباً ثم ابغضتم على ابن ابي طالب اكبكم الله في النار . .
 يا على ان الله اختارنى واياك من شجرة انا اصلها وانت فرعها ،
 فمن قطع فرعها اكبه الله على وجهه في النار ، على سيد المسلمين
 وامام المتقين يقتل الناكثين والمارقين والجاحدين على منى بمنزلة
 هارون من موسى إلا انه لانيي بعدى
 «٨» . . على قائد البرره وقائل الكفره منصور من نصره

مخدول من خذله

هذه الاحاديث هي نموذج صغير مما يرويه ابو ذر عن رسول
 الله «ص» ، ولم نجد فيما تتبعناه وعيننا به من البحث اتجاهاً
 يشذ به عن حدود التشريع الاسلامى ، او مأخذاً غير اسلامي ،
 ولعل فيما قدمناه وما يأتى يتبين القارى الكريم عناية ابي ذر
 بالناحية الاخلاقية ، حتى كاد ان يقصر حديثه على هذه الناحية
 وكذلك كان هذا الصحابى الجليل مثلاً عالياً في الاخلاق
 حتى كأنه قد تخصص لهذه الناحية ، ولعله لا يفوت القارى

قيمة هذا الاتجاه ؛ ونحن نعلم ان الاخلاق السامية هي الغذاء
الروحي للإنسانية جمعاء في تعاقب عصورها
ومن الحق ان نقول ان هذه الناحية كانت بنظر الرسول
الاعظم «ص» من اهم النواحي التي يجب ان يعالجها معالجة صحيحة ،
ذلك ان الصحابة خرجوا من جاهلية حمقاء تفسخت فيها الاخلاق
وتفككت عراها ، ولذلك كان النبي «ص» يوجه الكثير
من عنايته الى الناحية الاخلاقية ، ويغذى هذه الروح في اصحابه
الذين يعلم منهم القدرة على تطبيقها علمياً وعملياً واستخداها في الظروف
المناسبة ، وكان من اظهر اصحابه تغذية لهذه الروح وانجحهم
فيها دراسة وتطبيقا صاحب سيرتنا ابو ذر سلام الله عليه ، ولشدهما
نلمح هذه الظاهرة من حديثه وسيرته ، ومن الوصية الكبرى التي
اوصاه بها النبي صلى الله عليه واله وسلم - حيث طلب ابو
ذر ذلك - فكانت القانون الاساسي الذي يسير عليه في كل
ادوار حياته ، وسنقدمها بين يدي القارى في خاتمة هذه السيرة
ان شاء الله تعالى

علمه

لم يكن للامة العربية - كما لجارتها الفرس والرومان - حضارة
واسعة تنبعث منها الحركة العلمية ، فان الحضارة هي مصدر هذه
الحركة ونحن اذا تتبعنا حياة العرب قبل الاسلام لرأينا الامة

كانت متفشية بين افراد الامة ، وجاء الاسلام ولم يكن هناك حركة علمية بالمعنى المعروف اليوم ، وانت جد عليهم بان الامة العربية كانت منصرفه عن هذه الناحية من الحياة تتلهم بالتجارة والغزو وما الى ذلك من الحياة الجافة ، التي تفرضها البيئة وطبيعة الصحراء ، وقد يطول بنا الحديث ثم نخرج عن موضوعنا فيما لو اردنا شرح ذلك ، وبيان حال الامة العربية قبل الاسلام أو أردنا مقايستهم مع غيرهما من الامم المجاورة لها ، وليس معنى هذا ان العرب كانوا بمعزل تام عن الثقافة ، كيف وقد كان منهم من ضرب بقسط من العلم ، وتغذى افذاذ من العرب يومذاك بثقافة اليونان والرومان والفرس ،

ان الحركة العلمية دخلت على الامة العربية مع الاسلام ، والاسلام هو المؤسس لهذه الحركة ، وكان لهذه الحركة اتجاهات ثلاث : حركة دينية . حركة تاريخية . حركة فلسفية ، ولا نغنى بهذا انها كانت حركات واسعة وعلوماً منظمة ، ذات معاهد ومدارس تضم بين جدرانها رواد العلم ، وانما نعني النواة التي تكونت حولها هذه العلوم (١) والحركة الدينية كانت اوسع تلك الحركات نطاقاً ، وذلك لاقبال الصحابة على تفهم القرآن والحديث ، فانها كما رأينا من قبل كانا مصدر التشريع ، وكان المشرع الاعظم يحض اصحابه على تعلم الدين الاسلامي الجديد ، ويرغبهم فيه

بانواع الترغيبات ، ويحضهم على التفكير ليصل بهم الى جوهر الدين وماهية الاسلام ، ثم هو يتوسل الى ذلك بشتى الوسائل والحق ان الصحابة اختلفت درجاتهم العلمية اختلافاً كثيراً نتلمسه من ارائهم المبثوثة في الكتب الموثوق بها ، ومن المعقول جداً هذا التفاوت العلمي ، لاختلافهم في المواهب والتفكير وفي ملازمة المشرع الاقدس آنذن النبي صلى الله عليه واله وسلم ، ولا نريد الا ان بيان ايهم افضل ؟ وايهم اعلم ؟ وقد يكون ليس من الهين البحث في هذه الافضلية والاعلمية ، فان ذلك يحتاج الى دراسة خاصة دقيقة نحتاج معها الى التثبت العلمي الصحيح والجرأة الكافية فان السياسة دخلت على الصحابة حتى من هذه الناحية ، والذي نريد ان نقوله الآن : ان ابا ذر كان من اعلام الطبقة الاولى ، ومن الذين امتازوا بفضلهم وغزارة علمهم ، وكان من الملازمين لرسوله صلى الله عليه واله وسلم ، لم يشغله الصنف في الاسواق ، قال صاحب الدرجات الرفيعة : ... وكان من اكابر العلماء والزهاد كبير الشأن . . . ومن اعظم الصحابة وكبرائهم الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه ، وهو احد الاركان الاربعة ، وفي حلية الاولياء ، ابو ذر اول من تكلم في علم البقاء والفناء وتعلم الاصول والفروع ، وابو ذر يقول . تر كنار رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً

ويلوح لنا انه كان يتصدى للفتيا بين الناس فقد روى
الحافظ في حليته بسنده عن ابي ذر : ان رجلا اتاه فقال : ان
مصدق (١) عثمان ازادوا علينا أن نغيب عنهم بقدر ما ازادوا علينا ؟
فقال لا قف مالك وقل لهم : ما كان لكم من حق فحذوه ؟
وما كان باطلا فذروه فما تعدوا عليكم جعل في ميزانك يوم
القيامة ، وكان واقفاً على رأسه فتى من قريش فقال : أمانك امير
المؤمنين عن الفتيا ؟ فقال له : أرقب على انت ؟ فوالذى نفسى
بيده لو وضعتم الصمصامة هذا - وأشار الى عنقه - ثم ظننت انى
منفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل
ان تحزوا لانفدتها » واذا اخذنا في سبر هذه النادرة بمسبار
الحقيقة من الناحيتين : ناحية الزيادة من الجبابة . وناحية الضغط
الشديد على ابي ذر لعلمنا ان هناك اموراً تحاك في البلاط الاموى
ودسائس تتشعب على الملك والخلافة وتعتد بمأرب الاحزاب
والافراد ، تريد ان توجه السياسة توجيهاً خاصاً تريد ان تزرع الزعامة
الاسلامية الحققة لتمر كز الزعامة الاموية على اساس رصين من
الملك والرياسة المطلقة

وعلى كل حال فان هذه الرواية تدلنا بصراحة على ان ابا ذر
كان ممنوعاً عن الفتيا وانه كان عليه رقابة سديدة من السلطان ،
ونهي شديد عن مجالسته سواء أكان في المدينة ام في الشام ، قال

الواقدي - كما في شرح التهيج - : ثم ان عثمان حضر على الناس ان يقاعدوا ابا ذر ويكلموه كذلك اياماً ، قال الاحنف بن قيس اتيت المدينة ثم اتيت الشام فجمعت ، فاذا انا برجل لا ينتهي الى ساريه الاخر يصلي ويخف صلاته جلست اليه فقلت له : يا عبد الله من أنت ؟ فقال ابو ذر من أنت ؟ قلت : انا الاحنف بن قيس قال : قم غني لاعدك بشر . قلت كيف تعدني بشر ؟

قال : ان هذا - يعني معاويه - نادى منادية الايجالسني احد

وعلى كل حال فقد كان ابو ذر من عليّة الصحابة الذين امتازوا بفضلهم وغزارة علمهم ، وسمو مداركهم ، وكان له الميزة على كثير من الصحابة وقد تشاجر هو وعثمان في مسألة من مسائل الزكاة فتحكما الى رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم فحكم لابي ذر على عثمان ، ونظن انه لوتشاجر مع آخرين منهم لحكم له ، وهذه القصة وغيرها تفسر لنا بوضوح ميزته العلمية ومواضع كفايته الشخصية .

وحسبنا في التدليل علي ذلك ماورد عن امير المؤمنين علي عليه السلام - وقد سئل عن ابي ذر - فقال « ذاك رجل وعي علماً فعبز عنه الناس ، ثم اوكاء عليه ولم يخرج منه شيئاً » وفي هذه الرواية صورة من ميزته العلمية ، وهي تعبر لنا بوضوح عن

مكانة في المجتمع العلمي ، وفيها دراسة عن العلم الذي اكتنمه
ابو ذر وعجز عنه غيره ، وفيهم كبار الصحابة وشيوخهم
وساستهم

والرواية تشق لنا طريقاً واسعاً للبحث في هذه الناحية من حياته
يجب ان نستفيد منها من الرواية نفسها ، والرواية تعطينا صورة
صحيحة وامثلة عن حياة ابي ذر العلمية فلا نحتاج معها الى
تجشم الطرق في الاستدلال وهي صريحة ان عند ابي ذر علماً عجز
الناس عنه اضعفت عقولهم عن ادراكه ، وان السياسة الراهنة
- وطالما اخذت السياسة بالحناق - حالت بين الجمل الغفير من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وبين تعلم هذا العلم الذي
اكب ابو ذر على تعلمه ، وتركه غيره ، اللهم ! الا اولئك
الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه ، وتمسكوا بالعروة الوثقى من
ولاء اهل بيت النبوة ، سفن النجاة وباب حطة وامان اهل
الارض ولم يرتدوا على اعقابهم ، فكانوا من الفائزين برضى الله
ورسوله والمؤمنين

بقي للقارى حق التساؤل عن هذا العلم الذى علمه ابو ذر
وعجز عنه الناس ، واى شىء هو حتى اعجز الناس ؛ وهل
عجزوا عنه حقيقة ؟ ! فلم تساعدتهم افهامهم على تعلمه ، وانهم
لم يعجزوا عنه وانما لم يشاؤهُ ، فان السياسة الارتجالية لها
منحى خاص غير ما يريد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

المعلم الاكبر ، وهذا ماسيطر البناية القارى الكريم ، بعد ان رأى للروايه نظرة عامة شاملة ، ورأها تشق الطريق ، واسعاً سهلاً منبسطة لا التواء فيه ، وقد تكون الرواية اكثر صراحة مما يخالجنوا ويخالجه من الحقيقة ، لان السياسة ايضاً لها اثرها على وصولنا الى الحقيقة .

حق للقارى ان يقف هنا ، وحق له ان يسأل سوألاً ملحاً فان للصراحة صورة في نفوس الناس اليوم غير الصورة التى كانوا عليها قبل قرون ، والمجال اليوم اوسع منه بالامس ، ذلك ان الاعتبار الاجتماعية تبدلت تبعاً للتغيرات السياسية وتحول كل شىء بتحول النظم الاجتماعية

نعم - وكان من حقنا ان نتوغل في حياة ابي ذر ونبحثها من جميع نواحيها السياسية والاجتماعية بحثاً دقيقاً ، ونقف عند هذه الرواية لتبين ما ترمي اليه ونشرحه مفصلاً ولكن ليس من مصلحة الاسلام اليوم الاندفاع في هذا المهيح الافيح ، ذلك انه سوف لا يشك القارى باننا سنصطدم بشىء غير قليل من الاعتراضات الملتوية المسفة ، وسوف يضيق التاريخ ذرعاً بهذه الهجمات الباسلة وسوف لا نقف عند هذا النزاع الصارخ المتمرد ، ولا يكفيننا الوقوف عند هذا العلم الذى تعلمه ابو ذر ، بل لابد ان ننحدر عنه الى شىء آخر من التصرفات العامة التى وقعت بعد لحوق النبى صلى الله عليه واله وسلم بالرفيق الاعلى ، وكذلك لا يكفيننا بيان

القليل من الخصومة مع امير المؤمنين على عليه السلام صاحب الحق الشرعى فيما دلت عليه الا دلة القطعية وإلا فالعلم ملك مشاع ، ومرفق مباح لا يمكن ان يعجز عنه الناس فكيف بالمهاجرين الاولين ولا يصح ذلك ابداً

واذن فلا نعدو الصواب اذا قلنا ان الساسة - والسياسة لها اثرها في التفكير - هي التي اعجزتهم عن تعلم هذا العلم ، وايضاً يلوح لنا ان هذا العلم ، الذي تفرد به ابو ذر ونفر قليل من حوارى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يدور حول الخلافة ، وحول اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فان المبدأ الذى كان عليه ابو ذر يسمح له بكثير من اليسر ان يعلم كيف ينحدر عن على عليه السلام السيل ولا يرقى اليه الطير الذى يحاق في الجو ، ويسمح له مبدؤه السامى الصريح ان يعلم كيف سيمنى الناس بخبط وشماس وتلون واعتراض

وبعد هذا - فانه يمكننا ان نقيم كلامنا في علم ابي ذر على ناحيتين

« ١ » ناحية الخلافة الاسلاميه وما يتصل بها من صفات الخليفة ، والشروط التى يجب ان تجتمع به ، من عصمة واعامية وافضلية وما الى ذلك من المباحث التى نسميها اليوم - المباحث الكلاميه - وهذه الناحية هي التى عجز عنها الناس ، ولم تسمح لهم

السياسة المحلية ابن يفهموها من ابي ذر ، ونحن نترك التحدث عنه من هذه الناحية كما ترك هو نفسه ذلك ، والجمعة السياسية وكبت فاه ، وبالاخير شردته عن عقور داره ، وحمل هجرته ، حتى لفظ نفسه الاخير ، ونستنزف دمة جارة على علم ابي ذر الذي دفن معه ، وعلى ابي ذر نفسه ، ونقول كما قال الاشتهر رحمه الله حينما فرغ من دافنه ووقف على قبره يؤبنه « اللهم هذا ابو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عبدك في العابدین ، وجاهد فيك المشركين ، ولم يغير ولم يبدل ، ولكنه رأي منكرو آفغيره بلسانه وقلبه ، حتى جفي ونفي وحرم ثم مات وحيداً غريباً ، اللهم فاقصم من حرمه ، ونفاه من مهاجره وحرم رسولك » .

« ٢ » ناحية الاحكام الفرعية التكليفية ، وهو ما نسميه - علم الفقه - وهو في هذه الناحية من البارزين بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وتفوق تفوقاً جعله من اكابر العلماء ، ومصدراً من مصادر القتيا ، ومرجعاً يرجع اليه ، ووعاء من اوعية العلم وحملة الحديث ، ولا نريد الافاضة في هذه الثروة القيمة التي تملكها ابوذر ، وليس على القارى إلا ان يرجع الى كتب السنن والمسانيد ليفهمه فهما صحيحاً من هذه الناحية .

والى جانب هذا نراه برع في ناحية اخرى ، هي الناحية الاخلاقية او ما نسميه - علم الاخلاق - فانه اوشك ان يكون

المثل الاعلى بين اصحاب النبى صلى الله عليه واله وسلم ، والدرة
اللامعة في التاج الاسلامى ، فان اباذر حرص الحرص كله على
تنفيذ الاحكام الاخلاقية وطبقها تطبيقا عاما على مقدار بواعثها
من طباع الناس في عصره ومن قوانين الاجتماع ، وفي مناسباتها
الخاصة ، عندما شاهد الفساد يسرع الى القلوب والنفوس ، وعندما
شاهد الترف تغشى بين الناس ، ورأى ان المصلحة الشخصية تتمثل
امام عين كل شخص له مسؤولية في الدولة ، والاسلام واحكامه
منبوذان ظهريا ، وعندما رأى ان اموال المسلمين تجرف الى
خزائن بنى امية فكان صوتا مدويا في المدينة وفي الشام ، وكان
مثلا من الامثال الرائعة حتى سئم منه عثمان في المدينة ومعاوية
في الشام ، ولا نريد الان الافاضة في شيء من ذلك فان له مكانه
الطبيعي من هذه السيرة

ويجب ان لا يفوتنا ان نشير الى ناحية اخرى ، فان اباذر لم
يقصر في مسألة النبى صلى الله عليه واله وسلم عن الاصول
والفروع فحسب ، بل وجد الى جانب ذلك الناحية التاريخية
فانه سأل عن الانبياء والرسل وعددهم ، وعن خلق الدنيا وما
الى ذلك مما يتصل بالتاريخ اتصالا اكيدا ، واذن فهو فقيه
اصولي متكلم اخلاقي قصصي تاريخي وسياسي ايضا فان له خطبة
طويلة يشرح بها الاحوال بعد النبى ونحن نسوق لك ما ذكره
ابو نعيم الحافظ الاصبهاني للتدليل على ما ذاهبنا اليه

قال أبو ثور - كما في الحلية - دخلت المسجد وإذا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في المسجد وحده فجلست إليه فقال يا أبا ثور إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان قم فاركعها قال : فقم فركعتها ثم عدت فجلست إليه فقلت يا رسول الله إنك امرتني بالصلاة فما الصلاة ؟

خير موضوع استكثر أو استقل
- يا رسول الله فأي الأعمال أفضل ؟
- إيمان بالله عز وجل وجهاد في سبيل الله
- فأي المؤمنين أكملهم إيماناً ؟
- أحسنهم خلقاً

- يا رسول الله فأي المؤمنين أسلم ؟
- من سلم الناس من لسانه ويده
- يا رسول الله فأي الهجرة أفضل ؟
- من - هجر السيئات

- يا رسول الله فأي الصلاة أفضل ؟
- طول القنوت

يا رسول الله فما الصيام ؟
قرض مجزى وعند الله اتصاف كثيرة
- يا رسول الله فأي الجهاد أفضل ؟
- من عقر جواده وأهريق دمه

يا رسول الله فاي الرقاب افضل !

- اغلاها ثمناً وانفسها عند ربها

يا رسول الله اى الصدقة ؟ افضل - جهد من مقل يسير الى فقير

- يا رسول الله فاي آية مما انزل الله اعظم ؟

- آية الكرسي يا ابا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا

كحلقة ملقاة بارض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل
الفلاة على الحلقة

- يا رسول الله كم الانبياء ؟

- مائة الف واربعة وعشرون الفاً

- يا رسول الله كم الرسل ؟

- ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيراً

- كثير طيب

- من كان اولهم ؟

- ادم

- يا رسول الله انبي مرسل ؟

- نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلاً يا ابا ذر

اربعة سريانيون : آدم وشيث وخنوخ - ادريس - وهو اول من

خط بالقلم ونوح واربعه من العرب : هود . وصالح . وشعيب .

ونبيك يا ابا ذر

- يا رسول الله كم كتاب الله تعالى

- مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيت خمسون صحيفة
وانزل على خنوخ ثلاثون صحيفة وانزل على ابراهيم عشر
صحائف وانزل على موسى قبل التورات عشر صحائف وانزل
التورات والانجيل والزبور والفرقان

يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم عليه السلام ؟
- امثالا كلها : ايها الملك المسلط المبتي المغرور ، فانتى لم
ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عني
دعوة المظلوم ، فانتى لا اردها ولو كانت من كافر ، وكان فيها امثال :
على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله ان تكون له ساعات ،
ساعة يناجي فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يفكر فيها في صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها بحاجته من
المطعم والمشرّب ، وعلى العاقل ان لا يكون صانعاً إلا لثلاث :
تزود لمعاد وفرقة لمعاش ، اولذة في غير محرم ، وعلى العاقل ان
يكون بصيراً لزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه ومن حسب
كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه

- يا رسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟
كانت عبراً كلها : عجبت لمن ايقن بالموت ثم هو يفرح عجبت
لمن ايقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن ايقن بالقدر ثم هو
ينصب ، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها ثم اطمأن اليها
عجبت لمن ايقن بالحساب غداً ثم لا يعمل

- يارسول الله اوصني
 - اوصيك بتقوى الله فانه رأس الامر كله
 - يارسول الله زدني
 - عليك بتلاوة القرآن فهو نور لك في الارض وذكر لك في
 السماء

- يارسول الله زدني
 - اياك وكثرة الضحك فانه يمت القلب ويذهب بنور الوجه
 - يارسول الله زدني
 - عليك بالصمت لإمن خير فانه مطردة للشيطان عنك وعون
 لك على امر دينك ، يارسول الله زدني - حب المساكين وجالسهم
 - يارسول الله زدني
 - انظر الى من تحتك ولا تنظر الى من هو فوقك فانه اجسر
 ان لاتزدري نعمة الله عندك ، يارسول الله زدني - عليك بالجهاد
 فانه رهبانية امتي

- يارسول الله زدني
 - صل قرابتك وان قطعوك
 - يارسول الله زدني - لا تخش في الله لومة لائم
 - يارسول الله زدني
 - قل الحق ولو كان مرأاً
 يارسول الله زدني

- يردك عن الناس ما تعرف من نفسك ، ولا تجد عليهم فيما تأتي وكفى به عيباً ان تعرف من الناس ما تجهل من نفسك او تجد عليهم فيما تأتي

قال ابو ذر ثم ضرب بيده على صدره وقال :
يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسن كحسن الخلق
ومارواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال له :
أعبد الله كأنك تراه ، فان كنت لا تراه فانه يراك ، اول عبادة
الله المعرفة به ، ان الله الاول قبل كل شىء فلا شىء قبله ،
والفرد فلا ثانى له ، والباقي لا الى غاية ، فاطر السموات والارض
وما بينهما

حسب القارىء ان تكون هذه التعاليم هى سجل حياته وهى التى تعطينا
صورة صادقة عن شخصية ابي ذر لانها اشتركت في تكوينه وتحريكه
نحو غاياته السامية

ان هذه المرويات التى رواها ووعاها صدره الكبير كنزاً
وذخائر هى التى نفخت في قلبه من روحها فانارت ، وهى تجلو
لنا نفسيته التى ارتفعت به في مدارج الكمالات ، والمثل العليا ،
فكان في الرعيلى الاول من السابقين الاولين من صحابة محمد (ص)
ثاقب النظر رابط الجأش امام الكوارث التى قحل بثله مؤمناً
برسالته الاخلاقية ، حريصاً على ان لا يفوته شىء منها مهما وقفت
في طريقه العقبات

وما هذه الحياة ؟ وماذا فيها ؟ غير هذه الاخلاق السامية ،
والتعاليم الرفيعة التى هى نعمة الله على الانسان يشع نورها
فيضىء له طريق الحياة ، ويهديه سبيل الرشاد ، وبالاخير يكون
خالدًا مع الخالدين

على ان قاريء سوف يقف في المباحث الاتية على الشئ
الكثير مما يوضح لنا شخصية الفذة ومكانته من العلوم الاسلامية
ومركزه المرموق بين الصحابة

سيرته

من العجب ان نحاول التحدث عن سيرة ابي ذو في الجاهلية ،
وليس من العدل ان يطالبنا القارى بشئ من ذلك ، ذلك انه لو
وقف معنا على الكتب التى عنيت باحوال اصحاب النبى صلى
الله عليه واله وسلم لرأى الاهمال شائعاً في احوال الكثير من
كبار صحابته من نواح عديدة ، ولرأى انها لم تسمح للباحت
بشئ يتشبه به في نواح مهمة جداً ، فهى تطنب في نواح قد
لا يكون لها اى قيمة ، وتهمل نواحى لها قيمتها بنظر الباحت
اليوم ، وقد تنشط في صحابي وتفتري آخر ، ولقد رأينا القارى
من قبل انا انكرنا على كتب السير هذا الاهمال وذلك النشاط
ولعله من المعقول القول بان اهل السير والمؤرخين لم يوفقوا الى
اقامة التاريخ على ميزان منطقي ، وقاعدة نقدية تهيب ظروف
التاريخ وعوامله ، وتبين اتجاهاته الخاصة والعامة ، وتوضح

نواحيه المختلفة ، ليتسنى للباحث المتأخر زماناً ان يعلم باوضاع كل زمان تقدمه ، واتجاه الجماعات والافراد من المناسبات التي تتصل بجوهر العصر ، او تكون على الهامش ، وان من واجب المؤرخ ان يحيط بكل المناسبات والاتجاهات التي هي علة سرد الحوادث العامة والخاصة ، ولكنه رغم ذلك طالما سخر واهمل ، وتسامح في الشيء الكثير من هذه الشؤون القيمة المهمة كما اسف كثيراً في الحديث عن الحوادث التاريخية الثابتة ليست هي من مهمات التاريخ ولا من مهمات المؤرخ ولا هي من الحقيقة بشيء ولقد رأيت من قبل ما وصل اليها عن ابي ذر في الجاهلية وايضا حدثنا عن شيء آخر يتصل بسيرته في الجاهلية وانه كان يقول : « كنا في جاهليتنا قبل ان ينزل علينا الكتاب ويبعث فينا رسول الله (ص) نوفي بالعهد ، ونصدق الحديث ونحسن الجوار ونقري الضيف ، ونواسي الفقير » وهذه الصفات النبيلة مصدر كل خير ونبل وعبقرية ، تدفع صاحبها الى الذروة العالية من المجد ، والى المكان الاسمى من النبل والى المثل العليا من الخير والصلاح ، وتحشره في زمرة النبلاء العباقره ، لكنها لاتعين الباحث ، ولا تكون مصدراً لتسيير دفعة الحوادث التاريخية ، واذن نرجو ان يوسعنا القارى عذراً اذا ما اهملنا هذه الناحية من حياه ابي ذر

واما سيرته في الاسلام فحسب القارى ان تكون هذه الفصول

التي نكتبها والتي يقرؤها القاري هي سيرة أبي ذر واحسب هذه الفصول
انها تبحث عن سيرته في سائر ادوار حياته وتكوينه الاسلامي
العجيب وليست سيرة الانسان الاوضاع الخاصة به ومبادئه التي
قرت كزعليها مبادئه الخاصة والعامة ، وانسانية الكماله والناقصة ،
ومناهجه في الحياة الجدية او الساخرة ، وتصرفاته من خير او
شر على ضفتي هذا الوجود الجبار ، من اول يوم تشبت بهذه
الحياة الى اخر ساعة تفلت من يديه وتدفعه الى الحياة الثانية ،
وهذه الفصول قد عنيت بذلك عناية تامة على قدر ما تساعدنا
النصوص الثابتة ، وبمقدار ما وصل اليه علمنا عن طريق تلك
النصوص الصحيحة

وبعد - فان كان ولا بد من هذا العنوان بفصل مستقل نتعرف
فيه على سيرة أبي ذر على ضوء النصوص التي ندرس فيها نفسية الملاكيه
وتعطينا عنها صورة صحيحة مثالية صادقة سمت به الى اعلى مثل
تربوى ، فليس من الصحيح ان نترك القلم يذهب يمنة ويسره
ويتبع مبادئ القبيلة او العقيدة ، او شيئا من شواذ ذلك العصر ،
بل الخير كله ان نستوحى ذلك من رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم ، ومن أمير المؤمنين على عليه السلام ومن
معاصريه

وان من وقف معنا على كل ما وقفنا عليه عند مطالعتنا فانه
يقف على المثل العليا التربوية ، والزهادة المقدسة التي اخذ بها

ابوذر نفسه ، ونرى انه كان مثلاً رفيعاً من المثل الاسلامية الرفيعة »
وكان خير مثال للتربية النبوية الساحرة ويجب ان نقتصد في
النقل

قال رسول الله (ص) : في امتي ابو ذر شبيه عيسى بن مريم
في زهده وقال : ابو ذر صديق هذه الامة ، وقال : ابو ذر
يمشي على الارض في زهد عيسى بن مريم ومن حديث مالك بن
دينار ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال : أيكم يلقاني على
الحال التي افارقه عليها ، قال ابو ذر : انا يا رسول الله فقال صلى
الله عليه واله وسلم : صدق ما اضلت الخضراء ولا اقلت الغبراء
على ذى لهجة اصدق من ابي ذر ، من سره ان ينظر الى زهد
عيسى بن مريم فليتنظر الى ابي ذر وعن علي عليه السلام لم يبق
اليوم احد لا يبالي في الله لومة لائم غير ابي ذر وعن ابي - الحسن
الرضا عن اباقه عليهم السلام ان ابا ذر بكى من خشية الله حتى
اشتكى عينيه ، فخافوا عليها فقليل له يا اباذر لو دعوت الله في
عينيك فقال : اني عنهما لمشغول وما عثاني اكثر فقل له :

وما يشغلك عنهما ؟ قال

العتيمتان الجنة والنار

وكان يقول من جرى الله عنه الدنيا خيراً فجزاها الله عني
مذمة بعد رغيفي شعير اتغدى باحدهما واتعشى بالآخر ، وبعد
شملتني صوف أترز باحدهما وارقد بالآخرى ، ومن حديث

عطا بن ابي مروان رأيت ابا ذر وعليه نمرة مؤتزرأ بها قائماً يصلى
فقلت يا ابا ذر أمالك ثوب غير هذه النمرة ، فقال لو كان لى لرأيت
على فقلت انى رأيت عليك منذ ايام ثوبين فقال : يا ابن اخى
اعطيتهما من هو احوج اليهما منى ، قلت والله انك لمحتاج اليهما ،
قال : اللهم غفر انك انك لمعظم الدنيا أليس ترى على هذه البردة ولى
اخرى للمسجد ؟ ولى اعنز نحتلبها ، ولى احمر نحتمل عليها ميرتنا
وعندنا من يخدمنا ويكفيننا مهمة طعامنا ، فإى نعمه افضل مما
نحن فيه ؟ وفي ذيل رواية ابي شعبة انى اخاف ان احاسب بالفضل
وابو ذريقول : ذو الدرهمين اشد حساباً من ذى الدرهم ، ويقول
كان قوتي على عهد رسول الله (ص) صاعاً من تمر فلا ازيد عليه :
ومر بابي الدرداء وهو يبني بيتاً فقال له : لقد حملت الصخور
على عواتق الرجال ، فقال : انما هو بيت ابنيه ، فقال ابو ذر
مثل ذلك - اى اعاد كلام ابي الدرداء منكراً عليه فقال
يا اخي لعلك وجدت على فى نفسك من ذلك ؟
قال : لو مررت عليك وانت فى عذرة اهلك كان احب الى
ما رأيتك فيه . .



نعم — والى جانب هذه العناصر القوية التى تكونت منها سيرة
ابى ذر نرى ظاهرة اخرى خطيرة جداً لاثارها فى حياته المرتبكه
وفى تنقلاته من المدينة الى الشام ، ثم منها الى المدينة ثم الى المنفى

القاحل الوضع «الربذة» حيث لفظ نفسه الاخير ، ولا شك بان هذه الظاهرة كانت تتحمل نصيباً كبيراً من الشدة والعنف ، ذلك ان تصرفات السلطة الزمنية في آخريات عهد ابي ذر لم تكن منطبقة مع حياة الاسلام ومع المبادئ الاسلامية ، ولم تكن لتتصل مع سماحة الاسلام ، ولا بتصرفات العاهلين الذين تقدموا عثمان ، ولا هي متزنة ولا رشيدة ، وانما قامت على اسس قبلية ، وعناصر جاهلية لها طابعها الاموي الذي كان يعمل ضد الهاشميين قبل الاسلام وبعد الاسلام ، يقول ابو ذر : « والله حدثت اعمال ما اعرفها ، والله ما هي في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه واله وسلم ، والله اني لارى حقاً يطفء وباطلاً يحيا . وصادقاً مكذباً ، واثرة بغير تقوى ، وصالحاً مستأثر أعليه » هذه الاثرة وهذه الباطل وغيرهما « هي التي كانت تهيج ابا ذر فيثأر للحق بعنف ولهجة شديدة يقول المؤرخون : ان ابا ذر كان يقول بين الناس وفي الشوارع والطرق : « وبشر الكافرين بعذاب اليم ، والذين يكمزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » فرفع ذلك الى عثمان فارسل اليه ان انته عما يبلغني عنك فقال ابو ذر : أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى ، وقال عثمان يوماً والناس حوله : ايجوز للامام ان ياخذ من المال شيئاً قرصاً فاذا ايسر قضى ؟ فقال كعب الاحبار : لا بأس بذلك !! فقال ابو ذر يا ابن اليهوديين أتعلمنا معالماً ديننا ، وقال عثمان لكعب الاحبار

وكان يقسم اموال عبد الرحمن بن عوف ، ما تقول فيمن جمع
 هذا المال فكان يتصدق منه ويفعل الخير؟ قال كعب : اني لارجو
 له خيراً ، فعضب ابو ذر - وكان حاضرا - ورفع العصا على
 كعب الاحبار وقال : وما يدريك يا ابن اليهودية : يود صاحب
 هذا يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه ، ويقول
 لعثمان مرة : اعتزموا دنياكم ودعونا وربنا وديننا ، والحق ان
 هذه صراحة عنيفة من ابي ذر ولكن ماذا نقول : والصراحة لها
 صورة بارزة في حياته فهو لا يعرف صديقا يماشيهِ ، ولا عدواً قويا
 يجاريهِ ولا يرعى الاعتبار الخاصة ، ولا يعبأ برضى من رضى
 لا بغضب من غضب ، فلا تأخذه فيما يراه حقاً لومة لائم وانما
 يخضع للمبدأ الذى نشأ عليه .

لم يكن من قصدنا ان نتعرض لهذه الظاهرة الآن ، وانما لها محلها
 الطبيعى من هذا الكتاب ، وهناك نبدي رأينا فيها وانما اوردناها
 هنا لانها اساساً بسيرة ابي ذر ، وعلى ضوءها يمكن للقارى ان
 يتعرف على سيرته فان الحشونة في ذات الله وفي نقطة الارتكاز
 المبدئى كان لها صورة بارزة في حياة ابي ذر ، ولذلك مررنا بها
 ليكون للقارى على علم ومعرفة تامة من سيرته بجميع
 اتجاهاتها

الى هنا واحسب ان ما نقلناه يكفى للقارى ان يلم بسيرته ،
 ولا يعنينا في هذا الفصل إلا ان نتلمس ابا ذر بالسمع والبصر ، وما

أوردناه يلمسنا ذلك ، ويصل بنا الى حقيقة حاسمة تحمل له شارة
الخلود والعظمة وتدفعنا الى الايمان بمعجزة الجهاد النفسى الاقدس ،
واكبار المثل العليا من الزهادة ، والامثلة الرائعة من صميم
التربية الاسلامية العالمية التى اخذ ابو ذر بها ، وعاهد نفسه على
السير وراءها يخذو خذو مصلح البشرية الاعظم - الى الله عليه واله وسلم
وحقاً كان كما شاء له رسول الله صورة صادقة ، فيها روعة الاسلام
وجلال التربية الاسلامية .

فسلام عليك حيا وميتاً ابا ذر ورحمة الله
اخوه في الاسلام

لم تكن فكرة المواخاة بين المسلمين نظرة سريعة او سياسية
هزيلة جاءت على هامش الحياة الهادئة ، فان كل منلقى نظرة
عامة على مكة وضواحيها يرى السحب القائمة تحلق في سماءها ،
ويرى الجو مكفهر متكهربا بسياسة مكة التقليدية ، القائمة على
الصراع العنيف بين الاسلام الجميل والوثنية الآفنة الحمقاء ، ويرى
المؤامرة ضد محمد صلى الله عليه واله وسلم وهذا النفر اليسير الذين
اعتنقوا الدين الاسلامى تعقد تباعا بين رجالات مكة تتلمس الرأى
لدفع الخطر الداهم ، وتشترى في هذا الاضطراب الداخلى والصراع
العنيف ، وفي المناهج التى يجب اتباعها لتستقسم لهم وتنبتهم ،
فان محمدا صلى الله عليه واله وسلم سخر منها ، وسخر من آلهتهم
واستخف باصنامهم ، ونال من اللات والعزى وهبل ومن كل

صنم و كل وثن ، وقریش تخشى ان يتعاضم الاسلام ، ويفسد عليهم هؤلاء المستضعفين الذين في اطراف مكة ولعل مواليهم يعتنقون دين الاسلام ويتمردون عليهم ، ولعل شبانهم ايضا ينقسمون عليهم ويميلون الى النبى (ص) فان صوت الاسلام دوى في اطراف مكة وفي الحجاز وتسامع الناس بالاسلام وجماله وبمحمد وفصاحته هذا ما تفكر فيه قریش وتحسب له كل حساب ، ورسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يملك يومئذ قوة لدفع خطر قریش الهائجة الغاضبة ، وقریش من هذه الناحية كانت متهادية في خلالها متمردة الى حد بعيد ، ولا شك بان هذه الاوضاع المرتجلة في مكة كانت تدعوا الى كثير من القلق ، وتدعو الى التفكير الجدى الحاسم ، لما لها من شأن كبير في حياة المسلمين الدينية والسياسية ولما لها من دلالات عميقة في توجيه الاسلام والمسلمين ، فان سياسة مكة الداخلية طغت وامتدت الى الخارج بعد اعلان الدعوة ودعوة العشيرة الاقربين ، وانقلبت الى بركان هائج يريد ان يلتهم محمداً ومن تابعه ، وهذه ظاهرة خطيرة الاثر على الدعوة الاسلامية ، ولها اثرها في مستقبل الحياة الاسلامية وفي توجيه المسلمين سياسيا .

دور سياسى خطير ، وازمة سياسية جالحة تحتاج الى دراسة عميقة وتفكير جدى ، فان الموقف خطير تحوطه مشاكل اجتماعية لها اثرها في المجتمع الاسلامى في اول ادوار تكوينه ، وسياسة

مرهقه تسف الى طعن الروحية الهادئة التي تريدان تقلب صفحة جديدة من التاريخ البشرى ، فيها كل خير وصلاح للبشرية المعذبة ، سيفتحها محمد صلى الله عليه وآله وسلم المصلح العالمى ، والسياسى الحنك ، والقائد العسكرى الفاتح ، الذى يجاهد في سبيل الله وفي سبيل اعلا كلمة « لا اله الا الله » وفي سبيل نصرة الحق وتخليص الانسانية من الوثنية الافنة ، والتثليث المرتبك ، واليهودية اللئيمة .

في هذه الساعة الحرجة والدور المرتبك كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يفكر عن كتب ، ويرقب وضع قریش الشاذ ، وهياجها المتمرد ، وغنمها الزائد بقلق عظيم على هذا النفر اليسير ، من بين هذا الطغيان الحاقد والاضطراب المتزايد ، دقت الساعة واوحى الى رسول الله «ص» بالموأخاة بين افراد المسلمين ، ليجعل منهم وحده متراصه يشد بعضهم بعضاً ويأزر بعضهم بعضاً ، كأنهم بنيان مرسوم ، يرف عليهم علم الوحدة والاخوة ، ومشى الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم الى المسلمين حاملاً الفكرة السامية على كفه ، في طريق من الحق الواضح ، ودعاهم ليتأخوا في الله عز سلطانه اخوين اخوين ، فدعى مسلمى مكة واخى بينهم واختص من بينهم بوزيره - كما سماه - وخليفته ووصية - كما نص على ذلك يوم الدار - يعسوب الدين على امير المؤمنين عليه السلام ، ولم يكن ابو ذر في مكة فانه كما

رأينا من قبل انه رجع الى قومه فور اسلامه بامر من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ليكون داعياً ومرشداً لقبيلته غفار ومن اليها .

ولشدهما ندهش للحادث الاليم الذى نزل بساحة المسلمين وداهم النبي صلى الله عليه واله وسلم وبذل جلال الصورة وروعته الى حزن عميق فى الساعه الحرجة . . فقد مات ابو طالب عم النبي عليه السلام وماتت خديجة زوجه عليها السلام نصراء رسول الله بالمال والجاه فى سنة واحدة ، فالتاع النبي صلى الله عليه واله وسلم وغم وحز الالم فى قلبه وسماه « عام الاحزان » وابتهجت قريش لهذا الحادث المزعج وحسبت ذلك فوزاً عظيماً ، ونصراً مبيناً ، لللات والعزى ، وتنمرت فى سبيل وثنيتهما ، واسترسلت فى الاذى الدامي ، وتمادت فى المأساة المروعة ، وتنكرت مكة لابنها البار بما تنكر حتى ضاق النبي (ص) ذرعاً بمكة ورجال مكة ، حتى نسائها وصبيانها ، فقد مات ابو طالب الذى كان يدفع عنه كل اذى وعادية ، وكان نصيره فلا يجسر عليه احد من قريش ان يناله بسوء ، فلما مات تمادت قريش فى غيها واذوه بكل انواع الاذى ، وصبر حتى لم يبق للصبر منزع وارتبك لذلك ارتبكا عظيماً

ولا يصح فى عرف السياسة الصحيحة ان يقف سلبياً حذراً امام هذا الهياج الشديد ، وليس للاسلام - بعد - فى مكة قوة

توقف في وجه قريش الغاضبة الساخطة الهائجة بل ولم يبق لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم امل في تبليغ رسالته ونشر الدعوة فقد تغيرت الوجوه ، وتغير عليه بعض الذين تابعوه ، ممن صغرت نفوسهم ، فلم يتذوقوا غايات الاسلام النبيلة ، فامرهم ربه بالهجرة الى المدينة ، فهاجر اليها وتبعه مسلمو مكة .

وسبب آخر للهجرة :

لا شك بان رسول الله (ص) يريد انطلاق الدعوة الاسلامية ، وواقع الامر ان مكة تجهمت لرسول الله ، ولم تعد صالحة لان تكون مركزاً لانطلاق الدعوة بعد موت نصيره ابو طالب وخديجة (ض) لان التوتر كان حاداً وعلى اشده بين رسول الله ومن معه وبين قريش المتمردة على الدعوة الاسلامية ، واذا ما ظل النزاع مستحراً ولا يمكن ازاحته عن طريق العقل والوعى فان قريشا لاتعي ولا تعقل وهي متمردة في سبيل او ثأنها وعيدتها في اصنامها . ومن ثمّ فان حل المشكلة لا بد ان يكون عن طريق الهجرة ، ذلك انه باستطاعة رسول الله (ص) فيما لو خرج من مكة مهاجراً ان يضرب شبه حصار عسكري قبلي على مكة ، لان عدد المسلمين تزيد خارجها ، واخذت الدعوة الاسلامية طريقها الى مضارب القبائل ، ولاقت عطفاً واستعداداً لقبولها من الكثيرين اذ فهموا بعض اغراض السامية بعض الفهم ، باعتبار ان هذه الاصنام خشب مسندة ، لاتمدهم بالعون على تجنب هذه الفوضى الاخلاقية ، ولا تغنيهم عن الله شيئاً

ويجب ان لا ننسى ان هؤلاء الناس لم تكن لديهم الجرأة الكافية على مجابهة قريش العداء ، مضافاً الى عوامل غرضية تلجئ اصحابها على المداراة ومضافاً الى فقدان التضامن الاجتماعي ما دام القائد الموجه بعيداً عنهم . واذن فالهجرة مصلحة ملحة ، ولم تكن نافلة من النوافل التي تمر على حواشي الصراع والعقيدة وانما هي الفتح الاكبر من فتوح الدعوة المحمدية ، ومن هنا نرى قريشاً ذعرت من هجرة النبي (ص) واختل توازنها ، ودب الخوف في اوساطها ، ويأست من الدفاع عن اصنامها ران تجللت امام الحادث المفزع

ومهما يكن من شيء ، فان فكرة المؤاخاة كانت تزدد وضوحاً واختاراً في نفس رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهناك آخى بين مسلمي مكة - المهاجرين - وبين مسلمي المدينة - الانصار - واختص ايضاً لنفسه من بينهم بوزيره وخليفته علي امير المؤمنين عليه السلام ، واعتصم المسلمون بسبب موالاتهم بوحدة متراصة منعتهم من اى اذى يصيبهم من مشركي المدينة ومنافقيها ، ومن اليهود واستظلوا بلواء الوحدة معتصمين بحبلها وحبل من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه واله وسلم .

حقاً ان هذه المؤاخات كانت الثمرة الاولى للجهاد النبوي في حقل الانتصار ، والمرحلة الاولى من مراحل سلسلة الانتصارات الاسلامية : ، وبدأت قريش تحس بقوة هذه السياسة الرشيدة ،

وعلمته خطر أدامها لامر منه ، وحسبت له كل حساب ، ولكن
الله بالغ امره

كانت المؤخات في المدينة في السنة الاولى من الهجرة وأبو
ذر لا يزال بين قومه غفار لم يهاجر !! ولم نعلم نصيبه من هذه المواخاة
ولكن ابن سعد في طبقاته يقول قال محمد بن اسحاق أخى رسول
الله « صلى الله عليه واله وسلم » بين أبى ذر والمنذر ابن عمر
أحد بنى ساعده ولا يريد ان انكر هذه الرواية ولكن لا يريد
ان اعتمد عليها وقد ذكرنا في كتابنا - سلمان القارسى -
مانصه « . . ويلوح لنا من مصادر أخرى عثرنا عليها في مطالعتنا
الطويلة ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أخى بين أبى ذر
وبين سلمان ولعلنا لانعدو الواقع اذا ذهبنا الى هذا القول ، فانا
رأينا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كثيراً ما يراعى المناسبة
في هذه المواخاة وسلمان وأبو ذر اشد الصحابة اتصالاً وأكثرهم
مناسبة « وعن مسعدة بن صدقة عن الصادق عليه السلام « لقد
أتى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بين أبى ذر وسلمان ، وفي
الكافي . . . عن صالح الاحول سمعت ابا عبد الله عليه السلام
يقول : أخى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بين سلمان وأبى
ذر واشترط على أبى ذر ان لا يعصي سلمان »
اخلاقه

« لاشرف اعلى من الاسلام ، ولا كرم اعلى من التقوى »

ولا معقل احرز من الورع ، ولا شفيع احسن من التوبة ولا مال
اذهب للفاقة من الرضا بالقوت »

بهذا يوصي امير المؤمنين على عليه السلام ولده الحسين عليه
السلام ، وكان ابا ذر كان المعنى بهذه الوصية ، فتلسمها بالسمع
والبصر وكانت القانون الذي يسير عليه جنباً لجنب فلا يفارقها
ويطبقها تطبيقاً عملياً ، وعن هذه الوصية تأخذ صورة انعكاسية ،
تمثل لنا ابا ذر الزاهد الورع قد اختمرت في نفسه المثل العليا من
الاخلاق النبوية العلوية ، وجعلت منه اخلاقاً علمياً عملياً

ولو بحثنا عن الناحية الاخلاقية في حياة ابي ذر من الوجهتين
العلمية والعملية ، لرأيناه يسير على القانون النبوي يطبقه تطبيقاً
عملياً صحيحاً ، وينفذه تنفيذاً كاملاً بكل دقة ، يقول صدقه :
« اتيت ابا ذر فوجدته محتباً بكساء اسود وحده ، فقلت يا ابا ذر
ما هذه الوحدة فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم يقول : الوحدة خبر من جليس السوء ، والجليس الصالح خير
من الوحدة ، واملأ الخير خيراً من السكوت والسكوت خير من
املأ الشر » ولقد سمعناه من قبل يقول : « اوصاني خليلي بسبع امر في بحب
المساكين والدينومهم ، وامرني ان انظر الى من هو دودي ولا انظر الى من
هو فوق ، وامرني ان لا اسأل احداً شيئاً وامرني ان اصل الرحم
لو ادبرت ، وامرني ان اقول الحق ولو كان مرأاً وامرني ان
لا اخاف في الله لومة لائم ، وامرني ان اكثر من قول لا حول ولا

قوة إلا بالله فانهم كنز تحت العرش »

ومن عرف ابا ذر عرف ان هذا هو برنامج حياته الخصب
بالاخلاق العالية ، بعث اليه الحارث القرشي - وقد بلغه ان به
عوزاً - بثلاثائه دينار فقال : ما وجد عبداً لله تعالى هو اهون
عليه مني ، سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول :
« من سأل وله : اربعون فقد الحف ، ولال ابي ذر اربعون درهماً
واربعون شاة » وقيل له الاتخذ ضيعة كما اتخذ فلان وفلان
قال : وما اصنع بان اكون اميراً ؟ وانما يكفيني كل يوم شربة
ماء ولبن وفي الجمعة قفيز من قمح

وفي هذه المثل التي ذكرناها ما يعطينا صورة عن اخلاق
ابي ذر من الوجهتين العلمية والعملية ، وترضي حاجة الباحث
ولاشك بان هذا الجهاد العملي له قيمته في ذلك العصر الذي تنوعت
فيه الميول النفسية وهزلت فيه الاخلاق الاسلاميه ، فان الشباب
الاموي في عهد عثمان احتلوا المراكز الامامية في الهيئة الاسلامية
وكان الفرصة سنحت لهم فارادوا ان يشبعوا نهمتهم الملتبهة ،
فعمدوا الى العمل ورأوا اغراضهم وشهواتهم ، وعملوا على المكشوف
فسحقوا الخلق الاسلامي ، ونسجوا لهم صورة من الاخلاق
الهزيلة الفاسقة فحل الخداع والمكر محل الصدق والاخلاص ،
وحل الغدر والخيانة محل الامانة ، وحل الاستمثار محل المواساة ،
وحلت القبلية محل سماحة الاسلام ، وتفشى النعيم والترف

بين طبقة خاصة من الاستقراطيين كادت ان تززع نظم الاسلام
وتجلب على الخلق الاسلامي لولا هؤلاء الصفوة الصفوة ، واللباب
اللباب من العباقرة الذين كانوا مرتبططين بذلك الشعور النبيل ، وفي
طليعة هؤلاء ابو ذر ، فانه كان يصيح على باب معاوية اتكلم القطار
تحمل النار ، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له ، اللهم
العن الناهين عن المنكو المرتكبين له ، ومعاوية يتناول بعزة
السلطان وجرأة المنتصر فيقول لابي ذر الصحابي الجليل الذي
يحببه الله ورسوله ، يا عدوا الله وعدو رسوله تأتينا كل يوم
فتصنع ماتصنع وابو ذر الذي لا يخاف في الله لومة لائم يجيبه
منتصراً لله ولرسوله صلى الله عليه واله وسلم ، بل انت وابوك
عدوان لله ورسوله ، اظهرتما الاسلام وابطنتما الكفر ، ولقد
لعنك الله ورسوله ، ودعا عليك مرات ان لا تشبع ، وسمعت رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم يقول : اذا ولى الامة الاعين الواسع
البلعوم ، الذي ياكل ولا يشبع ، فلتأخذ الامة حذرهما منه ، فقال
معاوية ما انا بذلك الرجل فقال له : بل انت ذلك الرجل اخبرني
بذلك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

رحمك الله يا اباذر فقد جاهدت في الله حق جهاده ، وعلمت
بكتابه واتبعت سنة نبيه ، وسرت بسيرة اولياء الله الصالحين ،
وعباداه المخلصين ، فكنت مثلاً عالياً للاخلاق النبوية العلية ،
ويجب ان تكون القدوة الصالحة للعاملين في هذا الخلق الانساني

ليرفعوا الامة الى المستوى الرفيع الذى خلقت الامة له
وسلام عليك يوم ولدت يوم مت وسلام عليك يوم تبعث حيا
فضائله ومناقبه

لقد كان للاسلام اثر عميق في تجهيز النفس الانسانية بالفضائل
والكمالات ، وتوجيهها الى السعادة الابدية في مدرج هذه الحياة
وكلما اتسعت مدارك الانسان ومقدرته على حفظ وجوده
الكمالي ازداد ما يتحلى به من فضيلة وكمال ، والفضيلة مهما اختلفت
موضوعاً بنظر الفلاسفة والامم الحية فهي - علمياً - تعبير صادق
عن الملكات النفسية التى تسيّر بالانسان نحو الخير المطلق والسعادة
المطلقة ، وانبعثت النفس نحو الصفات الكمالية ، وليس هذا متاعاً
يعرض في الاسواق بين تهريج البائعين ، وغرغاء المتفرجين
والمشتريين بالدرهم والدينار

الفضيلة اعلى من ذلك قدراً ، واغلى قيمة ، واعظم شاناً من ان
يزاحم عليها الغنى الفقير ، والقوى الضعيف ، وانما ثمنها جهاد
النفس الامارة بالسوء ، وتطهيرها من اوساخ الحياة الماجنة ومن دنس
الردائل التى تملئها الشهوات الجاحمة ، والعواطف الفاسقة ،
ومراقبتها عند تجاذب القوى الفعالة الطموحة ، ومحاسبتها على
اعمالها اليومية من خير او شر ، وحرام وشبهات ، لتكون
صافية كزجاجة المصور نقية كقلب الطفل فتتقدم الصفات النبيلة
والاخلاق الفاضلة ، لتتوءمركزها من النفس النقية فتسمو الى

الدروة العلويين الانسانية الكاملة الى عناية الخالق الى رضى الميامين
الى قوة الحق الى سدره المنتهى

وابوذررسم الدائرة ، وجعل نقطة الارتكاز هو الله سبحانه ، ثم
دارت نفسه حولها ، فأهل السماء يعرفونه اكثر من اهل الارض
روى الكليني عن علي بن ابراهيم بسنده عن ابي عبد الله الصادق
عليه السلام ان ابا ذر اتى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
ومعه جبرائيل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وقد استخلاه
فلما رأهما انصرف عنهما ولم يقطع كلامهما فقال جبرائيل : يا محمد
هذا ابوذر قد مربنا ولم يسلم علينا ، اما لو سلم لرددنا عليه السلام
يا محمد ان له دعاء يدعو به معروفاً عند اهل السماء فأسأله عنه
اذا عرجت الى السماء ، فلما ارفع جبرائيل جاء ابو ذر الى النبي
صلى الله عليه واله وسلم فقال له رسول الله (ص) ما منعك يا ابا
ذر ان قد سلمت علينا حين مررت بنا ؟ فقال ظننت يا رسول الله ان
الذي عندك دحية الكلبي وقد استخيلته لبعض شأنك ، فقال :
ذا جبرائيل وقال لو سلم علينا لرددنا عليه فلما علم ابو ذر انه كان جبرائيل
دخله من الندامة - حيث لم يسلم - ما شاء الله ، فقال له رسول
الله (ص) : ما هذا الدعاء الذي تدعو به ؟ فقد اخبرني جبرائيل
ان لك دعاء تدعو به معروفاً في السماء فقال نعم اقول اللهم اني
اسألك الامن والايمان بك والتصديق بنبيك والعافية من جميع
البلاء والشكر على العافية ، والغنى عن شرار الناس « وفي حديث

ابن خديجة الجمال ان جبرائيل قال : « اما انه في السماء اعرف منه في الارض ، وسأله عن كلمات يقولها اذا أصبح .

وحسب ابى ذر من المناقب والفضائل ان يعرفه اهل السماء اكثر من اهل الارض ، وان يكون له دعاء تعرفه ملائكة السماء ، وليست الفضائل دنيا تزخر بالمال والجاه وزهو الحياة ، وانما هي ذلك السمو والكبر المتجسمان في انسانية مشبوبة ارتفعت الى سدرة المنتهى

وفوق هذا انا نسمع صوتاً يرتفع فيمتجاوب صداه مع الاجيال ويصعد بهذه الانسانية الى اعلى القمة الى الذروة العالية من الكمال فيخلق لها كياناً معنوياً ، ويجعل لها مركزاً يعلمو ويرتفع على كل انسانية ، حدثنا الثقات عن رسول الله (ص) انه قال « امرني ربى بحب أربعة واخبرني انه يحبهم ، على وابو ذر والمقداد وسلمان (١) هذه هي الفضائل التي تعنو لها الوجوه ، وتخضع لها القلوب وتطامن لها الرقاب ، وما عسى ان نقول فيها ، وما عسى ان ندرك بافهامنا وعقولنا من معانيها ، فان هنا صوتاً يرتفع فوق كل صوت ، وحكماً انفذ واقدس من كل حكم ، هما صوت

(١) اخرج هذا الحديث الكشي في رجاله وابو جعفر القمي في خصائله وعبد الله بن جعفر الحميري في قرب استاده والمفيد في اختصاصه والعياشي في تفسيره وفي عيون اخبار الرضا والاستيعاب واسد الغايه والطبقات وكل طريقة صحيحة

الله في انسانية مشبوبة ، انطلقت في طريقها الى الخير المطلق
والطهر المحض ينبض قلبها باحاسيس التقوى والصلاح .
ولا اظن بعد هذا انا في حاجة الى نقل شيء من فضائل الكثيرة ،
وان كان لابد من نقل ما ورد فيه من الاثار فاقول . قال العلامة
الحديثي المعتزلي : قد ورد في الاخبار الصحاح ان رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم قال : الجنة تشتاق الى اربعة على وعمار
وابي ذر والمقداد ، وروى الصدوق في العيون وغيره ابو ذر صديق
هذه الامة ، والكشي في رجاله في ترجمة سلمان عن علي عليه
السلام انه قال ضاقت الارض بسبعة بهم ترزقون . وبهم تنصرون
وبهم تظرون وعد منهم ابا ذر ، وعن الكاظم عليه السلام : اذا
كان يوم القيامة نادى منادي اين حواري محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله
وسلم الذين لم ينقضوا العهد وضوا عليه ؟ فقام سلمان والمقداد
وابو ذر وفي الاستيعاب قال رسول الله «ص» في امتي ابو ذر شبیه
عيسى بن مريم في زهده ، وفي رواية اسد الغابة انه قال ابو ذر
يمشي على الارض في زهد عيسى بن مريم ، وعن ابي هريرة قال
رسول الله «ص» ما اظلمت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذی لهجة
اصدق من ابي ذر ومن سره ان ينظر الى تواضع عيسى بن مريم
فلينظر الى ابي ذر ، وفي رواية الترمذي - كما في حلية الاولياء
اصدق او في من ابي ذر شبیه عيسى بن مريم ، فقال عمر بن
الخطاب «ض» افنعرف ذلك له ؟ فقال نعم يعيش وحده ويموت

وحده ويبعث وحده ويدخل الجنة وحده» (١)

حسبنا من النقل ما قدمناه فان فيه صورة لابي ذر تسيره الى الخلود والعظمة ولا يعترضها شيء واحسب انا اعطينا القارى صورة مجسمة تلتهب بحرارة العقيدة وقوة اليقين ، ورسوخ الايمان ، وقدر النفس ، وسمو المبادئ وعصبية الدين وعظمة الحق ، صورة مثالية متشعبة بروح المثل العليا للحياة الكريمة والمبادئ الاسلامية ، والاخلاق الفاضلة ، وقد اتصلت بالله اتصالاً وثيقاً باحاسيدها ومشاعرها ونبرات قلبها اتصلت بحبل من الولاء والخالص للنبي ولاولياته من اهل بيته الطيبين الطاهرين ، فعرف هذه النفس الزكية اهل السماء اكثر مما عرفها اهل الارض

فسلام عليك اباذر وعلى جسدك الطيب وروحك الطاهرة وسلام على مبادئك السامية وانا على تلك المبادئ نجيا ونموت ونبعث ان شاء الله تعالى

كن اباذر

تمت كلمة ربك ودخل العرب في دين الله افواجا ، ودانت القبائل بدين محمد صلى الله عليه واله وسلم وانتشر الاسلام في شبه جزيرة العرب واستتب الأمر له في شمال المدينة الى حدود الشام استتباً با جعل الروم في اشد الوجل ، واضطربت احوال

(١) يعيش وحده من رواية الحمودى قلت وحديث ما اظلت الخضراء من اثبت الاحاديث

الدولة الرومانية اضطراباً جعلها تحسب الف حساب «وحاصروا حيصة
الحمر» واخذوا يمدون العدة ، ويحشدون من الروم ونصارى
العرب الجيوش لمهاجمة المسلمين قبل ان يستفحل الاسلام ويغزوهم
في عقر دارهم ، وتتابعت الاخبار على رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم بان الروم جمعوا للمسلمين الجموع واعتزموا غزوهم ،
وفي الوقت نفسه كان رسول الله «ص» يحاول ان يجعل من
الامة العربية قوة الى جانب قوة الروم والفرس ، وسطوة الى
جانب سطوتهم ، والى جانب هذا كان يحاول ان يحلل الامة
العربية من تلك النظرة التى كانوا ينظرونها الى الفرس والروم ،
فان العرب كانوا ينظرون اليهم كسياد ، يبذلون لهم الطاعة
ويؤدون الخراج ، وهو يريد منهم فأنحين ، حاكمين ، وقد آن
للنبي صلى الله عليه واله وسلم ان يبعث فيهم هذه الروح الحساسة
وقد آن للعرب ان يفهموا ان الدولتين قد تقلص ظلمها ، وان
الاسلام يريد ان ينشر رسالته المدنية والاخلاقية على هذا العالم
المجهد ، والهيكلى البالى ، والاخلاق المتفسخة ليحل محلها حضارة
تهذب النفوس ، وثقافة تحرر العقل ، ومدنية ترفع المستوى
البشري الى الذروة العالية ، وسلطان ينشر العدل والسواسية
بين الناس

لهذا وذلك دعى النبي «ص» الى الجهاد ، واعلمهم انه يريد
بوجه هذا تبوك على خلاف عادته وامرهم بالتهيؤ لغزو الروم في

زمن عسرة وشدة حر وجذب من البلاء حين طابت الثمار «
فاجنلوا من هذه المفاجئة ودهشوا من اقدامه على هذا السفر
الخطير الى هرقل ملك الروم ، فان سطوة بني الاصفر تملء قلوبهم
رعبا وهما ان يقعدوا ولا ينفروا في الحر ، واخذ المنافقون
يخذلون الناس » وقال بعضهم لبعض انحسبون جلاد بني الاصفر
كقتال العرب بعضها بعضا ؟ والله لكأنا بكم غداً مقرنين
بالحبال » وكانوا يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يشبطون الناس
وجاء جماعة من الاعراب يعتذرون من رسول الله ولكنه « ص »
جمع رأيه على المسير ، ولم يقعه عن السفر الحر ولا المنافقون ،
ولا الاعراب المعتذرون ، وعسكر خارج المدينة وامر الناس
بالجهاز وحض اهل الغنى على النفقة وتجهز المسلمون ، وتخلف
عبد الله بن ابي وجماعة من اهل الغدر والنفاق .

تخلف هؤلاء خلق للنبي مشكله تستدعى الاهتمام والتفكير ،
ذلك انه لا يصح سياسياً ان يترك المدينة عاصمة الاسلام وحصن
المسلمين وفيها هؤلاء المنافقون ثم تخلو منه او من رجل مثله
يكون عنده حزمه وعزمه ومرونته وما يمنع المنافقين ان يعيشوا فساداً
ونفوسهم تمنيمهم احتلال المدينة وقتل من فيها من النساء والصبيان ثم يتصلون
بالروم ليتولوا المسلمين من قبلهم ، هذا ما عرض لـ « ول الله صلى
الله عليه واله وسلم ، هذه هي المشكلة ، ولا نريد ان نتف لاستعراض
المشكلة من وجهات رسول الله بالقوة التي لا يتسقى للبشر ادراكها

حلبها سر يعاذا اسند الامرة على المدينة الى وزيره واخيه على عليه السلام ولم يبق ثمة ما يدعو الى التشاءم ، واصبحت المدينة في حصن حصين لا يطمع طامع في اقتحامها ، وهى الصعبة بقيادة بطل الاسلام على من يرومها ، تنقطع دونها الاسباب وتنبو العزائم وتتقاصر الاعناق ولما سار رسول الله «ص» بجيشه وعلم المنافقون انه استخلف وزيره علياً على المدينة ثقل عليهم ذلك وعلموا ان الامر افلت منهم فارجف به المنافقون وقالوا ، « ما خلفه إلا استثقالا له وتخففاً منه ولما سمع على عليه السلام بذلك اخذ سلاحه وخرج حتى لحق رسول الله وهو نازل بالجرف وقال : يا نبي الله زعم المنافقون انك انما خلفتني لانك استثقلتني وتخففت مني فابتسم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في وجهه قال : « كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي - خلفتك لتحفظ المدينة وتحميها من مكر هؤلاء المنافقين - افلا ترضى يا علي ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لاني بعدى » ١

(١) هذا الحديث نص قاطع على امامة علي امير المؤمنين عليه السلام وخلافته بعد رسول الله عليه واله وسلم وقد تكلمنا فيه مفصلاً في كتابنا « تحت رايه الحق » ولا بد لنا هنا من المامة عجل في فاقول انه حديث متواتر فقد رواه البخاري في غزوة تبوك من صحيحة ومسلم في فضائل علي (ع) من صحيحة ، واخرجه اصحاب الصحاح والمسانيد ، وصرح السيوطي في كتابه قطف الزهار بتواتره ، وكذلك الامام النيشابوري وصاحب الفتاوي الحامدية نصاً على ذلك وغيرها ، وفي الاستيعاب هو من اثبت الآثار واصحابها ، رواه عن النبي سعد بن ابي وقاص وطرق سعد فيه كثيرة ، وراها ابن عباس وابو-

قال : نعم رضيت ورجع .
مضى رسول الله «ص» سائراً ، فجعل يتخلف الرجل فيقولون
يا رسول الله تخلف فلان فيقول لهم ، : دعوه فان يك فيه خير
فسيلاحظه الله بكم ، وان يك غيره فقد اراحكم الله منه حتى
قالوا يا رسول الله :

- سعيد الخدري وام سلمة واسماء بنت عميس وجابر بن سمرة وزيد بن ارقم
والبراء ابن عازب ، واخرجه صاحب الجمع بين الصحاح الستة وصاحب
الجمع بين الصحيحين والحاكم في مستدركه واحمد بن حنبل في مسنده
والطبراني - كما نص عليه ابن حجر - واخرجه ابن ماجه في سننه في
مسنده والترمذي في صحيحه

ولكن الامدي انكر صحة الحديث ، وهذا على مبني الجمهور يعتبر
هفوة منه بعد ان رواه البخاري ومسلم واهل السنن وتعددت طرقه كما
رايت ومما اعتذرنا للامدي فلا نجد له عذراً سوى انه من جهالة علم العربية
واصول الفقه وحينما رأي ان الحديث يدل بصراحة على عموم المنزلة بلا حطة
الاستثناء - الا انه لاني بعدي - ويثبت لعلي عليه السلام جميع ما لقارون الا
النبوة فيكون صريحا بثبوت الخلافة والامامة لعلي ، لان الاستثناء يأبى
كل تأويل ، وقراراً من هذه الحقيقة استراح الى عدم صحة الحديث .

وهناك من قال ان الحديث لا عموم فيه وانه خاص في مورد ويمنع
هذه الدعوة استثناء النبوة علي انهم صرحوا ان اسم الجنس المضاف يفيد
العموم بحكم الاضافة ، والمورد لا يخصص الوارد . وقالوا ايضا ان العام
المخصص لا يكون حجة في الباقي وهذا في الحقيقة نفي لحجية العام لانه
ليس في الكتاب والسنة عام سلم من المخصص اللفظي او العقلي ولا سيما في
ابواب المعاملات وقد شاع علي لسان الاصوليين انه « ما من عام الا وقد
نخص » والعلماء قديما وحديثا تمسكوا بالعمومات المخصصة

تخلف أبو ذر - وكان راكباً بعيراً هزيراً اعجب ادبر قابطاً به -
 فقال النبي (ص) : دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم
 وان يك غير ذلك فقد اراحكم الله منه ، واستمر الجيش في سيره
 وترك ابا ذر : فجلس حزينا كئيباً لا يدرى ما يصنع ؟ هل
 يعود الى المدينة ويتخلف عن السير ؟ وهيهات من ابي ذر ذلك
 فانه افضل له ان يمت قبل ان يتخلف عن رسول الله «ص» ،
 وكما استحث بعيره وكما ازجره لم يجده نفعاً ، ولم يره حركة
 فحمل متاعه علي ظهره ثم راح يتبع اثر النبي «ص» ماشياً واخذ
 منه التعب والعطش ، ولكن نفسه الملمنة وایمانه القوی يستحثانه
 على السير بعزيمة لانعرف الخوار وانتهى الى صخرة فوجد عليها
 ماء بارداً فاقه فرجده عذبا فقال لا اشربه حتى يشرب منه
 جبین رسول الله «ص» واستأنف السير .

ونزل رسول الله في بعض منار له ، فلما ارتفع النهار نظر بعض
 المسلمين فقال : يا رسول الله

ان هذا الرجل يشي وحده على الطريق .

فقال النبي «ص» - كن ابا ذر - .

فتامله القوم ولما اقترب منهم صاحوا .

هو والله ابو ذر

قال رسول الله «ص» - ادر كوه بالماء فانه عطشان -

فادر كوه به .

وتقدم ابو ذر ومعه اداة فيها ماء ، فقال رسول الله «ص» :

يا اباذر معك ماء وعطشت .

- نعم يا رسول الله بايى انت وامى انتهيت الى صخرة وعليها ماء السماء فذقته فادا هو عذب بارد فقلت لا اشربه - حتى يذوقه رسول الله «ص»

فقال رسول الله الله عليه واله وسلم : « يا اباذر رحمك الله ، تعيش وحدك . وتموت وحدك . وتبعث وحدك ، وتدخل الجنة وحدك ، ويسعدبك قوم من اهل العراق يتولون غسلك وتجهيزك والصلاة عليك ودفنك » .

وكان رسول الله يشير بذلك الى انه سينفى من بين المسلمين الى فلاة من الارض ، فيموت فيها وليس فيها من يغسله ويجهزه ويصلى عليه ويدفنه فيرسل الله جماعة من اهل العراق فيقومون بذلك ، وتناهم هذه السعادة الكبرى .

ونحن نعلم ان بين اصحاب النبي «ص» من كان كثير الفضول يسأل عن التافه من الامور فها سألوه عن معنى هذا ، وكيف يموت وحده واين عنه المسلمون حتى يسعد بتجهيزه والصلاة عليه ودفنه قوم من اهل العراق ؟ والعراق يومئذ تحت سلطة الاكاسرة .

وهلا تذكروا المسلمون هذا الحديث يوم اخرج ابوذر الى ذلك المنفى الوضيع والقلابة من الارض ؟ وجاءوا اليه اولياء الامر لينذروهم بيقام ابي ذر يوما قاله رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في مسيرهم

الى تبوك ولعلمهم جاءوا . ولعلم قالوا لهم . . .
المأثور من كلامه

لقد كان للخطابة في عصر ابى ذر منزلة سامية هي اسمى من منزلة الشعر ، وهي في ذلك العصر - كما هي في هذا العصر - لسان الاحزاب الناطق ، وسيفها القاطع ومجنها الحصين تلجأ اليها في ساعة العسرة ، والخطابة وسيلة الاحزاب لتفهم العامة مقاصدها واهدافها ، فتصل بافهام عامة الناس سريعا لسهولة مأخذها فيفهم العامة الخطيب فهم صحيحا دون الشاعر لان للشعر لغة خاصة مقيدة بالاوزان والقوافي وغيرها ، والخطابة لا تريد شيئا من ذلك ويصح لنا ان نسمى الشعر لسان الادباء والخطابة لسان العامة ، وعلى مقدار قوة الخطيب وبراعته يتأثر المجتمع ويندفع مع عواطفه التي اثارها الخطيب .

وعلى الاجمال فان الخطابة هي اكبر دعامة تستند عليها الدعاية السياسية والحزبية ولسان الراغب والمرشد ، ولسان اولئك الذين لهم اهداف ويحتاجون الى الانصار ليكونوا عوناً لهم على اهدافهم .

حقاً ان الخطابة في كل عصر تعطينا مقاييس السمو في ذلك العصر ، كما وانها تعطينا فكرة عن الاوضاع السياسية في العصور المختلفة ، وايضاً تعطينا صورة عن التزلزل الدينى والاخلاقي ، وترقفنا على مقدار قوة المعارضه في السياسة ومقدار التزلزل

الدينى والتفسيخ الخلقى ، فالخطابة صرحت صارخ يرن صدها في الدهر
فتسممه الاجيال التالية جيلا بعد جيل .

وبعد - فمن يحبل علينا ان اباذر كان من صميم الحزب
الهاشمى العلوى وانه كان منغمسا في السياسة العلوية حتى ضاق
به عثمان ذرعاً فنفاه الى الشام ، فضاق به معاوية ذرعاً فكتب
الى عثمان : ان كان لك في الناس قبلي حاجة فاقدام ابا ذر اليك
فانه افسد الشام ، ومن ينكر علينا ان ابا ذر كان واعظاً ومرشداً
وداعية الى الله من الطراز الاول ؟ واظن انه احداً لا ينكر ان
الصراحة كانت اضخم دعامة تركز عليها حياته ،
في عصر كان الاستبداد هي الدعامة التي تركز عليها السلطة
والعصر يعج بالاشراف ، واصحاب الامتيازات في الدولة الاموية
وهل ينكر علينا احدان ابا ذر كان ذرب اللسان ، صلت المقول
غير هيلب ولا وجل ، يواجه الحوادث بقلب كزبر الحديد ؟ قال
في اسد الغابة : « ... وبابع - ابو ذر - النبي (ص) على ان
لا تأخذه في الله لومة لائم وعلى ان يقول الحق وان كان مرا »
واذن لابد ان يكون لابي ذر مجالس وخطب سياسية وغير
سياسية ، مادام هو انغمس في السياسة ، وهل يصح في - عرف
السياسين - ان يكون تخاصم سياسى وتخاصم حزبى ولا يكون
كلام ولا خطاب ؟ وقد حدثونا - ويا سوء ما حدثونا به - انه
كان اشتراكيا مزدكيا وقد اجتمع عليه الفقراء والعامه من الناس

حتى شكاه الاغنياء لولا الامر ، وحدثونا ايضاً انه كان يقرأ
في الشوارع والطرق قولة تعالى : « الذين يكثرزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بمذاب اليم .
ومن طبائع الناس ان يتساءلو في مثل هذا عن خطبه ومجالسه
وكان مثل هذا التماساً لصلحاً وحقاً وبماذا نجيب على هذا السؤال
او يجيبنا التاريخ الذي حفظ على صفحانه كثيراً من الخطابات
والمراسلات الموضوعة ، فإين خطبه وإين المأثور من كلامه الذي
كان يلقيه على الناس الذين تابعوه ، وكانوا من الكثرة بحيث
شكا منهم الاغنياء ؟ وهل من الصحيح ان هذه الاجتماعات كانت
خرساً صامتة ؟ أصحيح ان ابا ذر كان يفسد الناس الفقراء على
الاغنياء وهو صامت ؟ .

وهل يجيبنا التاريخ ! كلا والاف كلا !!

والجواب الصحيح ان العواصف التي نزلت في الحزب العلوي
هي التي مزقت هذه الثروة القيمة ، فما لنا لا نتحرر من هذه القيود
ويكون لكل انسان حق في ان يصور العصر الذي يريده في
حدر المصادر العلمية والنصوص الصحيحة والاستنتاجات الصريحة ؟
وعلى كل حال فقد ذكر اصحابنا ان لابي ذر خطبة طويلة
يشرح فيها الاحوال بعد النبي صلى الله عليه واله وسلم وكلما بحثنا
عنها في مضانها فلم نعثر عليها ، وكل ما عثرنا عليه مما يتصل
بذلك احتجاجه يوم بويج ابو بكر وتراه في محله من هذا الكتاب

كما ذكرنا كروا كلامه يوم اخرجه معاوية من الشام ولحقه الناس الى
دير مران، وايضاً تراه في محله هذا كل ما عثرنا عليه على شدة
ما عنيامن البحث والتنقيب ، وايضاً له كتابات قالها مؤبناً ابنه
وكتاب ارسله الى حذيفة بن اليمان - ولم نجد تاريخاً للكتاب ،
ولكنني احسب انه ارسله اليه من الربذة وهناك موجزات ارشادية
تتصل بالموعة ونحن نقدمها للقارى ليتبين مركز ابي ذر الادبى قال
الكلىنى في الكافي : « لهما ذر ابن ابي ذر مسح ابو ذر القبر
بيده ثم قال : رحمك الله يا ذر انك كنت بى باراً ، ولقد
قبضت واني عنك لراض ، اما والله ما بى من فقدك وما على من
غضاضة ، ومالى الى سوى الله من حاجة ولولا هول المطلاع لسرنى
ان اكون مكانك ، ولقد شغلنى الحذر لك عن الحذر عليك ،
والله ما بكيت لك ولكن بكيت عليك ، فليت شعرى ماذا قلت
وماذا قيل لك ، اللهم اني وهبت له ما افترضت عليه من حقى ،
فهب له ما افترضت عليه من حقك ، فانت احق بالحق منى .
واما كتابه الى حذيفة فذكره الشريف المرتضى في فصوله فقال
بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد يا اخى فخف الله مخافه يكثر منها بكاء
عينيك ، وحرر قلبك ، واسهر ليلتك وانصب بذلك في طاعة الله
فحق ان علم أن النار مثوى من سخط الله عليه ، ان يطول بكؤه
ونصبه وسهر ليله ، حتى يعلم انه قد رضى الله عنه ، وحق لمن
علم ان الجنة مثوى من رضى الله عنه ان يستقبل الحق كى

يفوز بها ، ويستصغر في ذات الله الخروج من أهله وماله ، وقيام
ليله وصيام نهاره ، وجهاد الظالمين الملاحدين بيده ولسانه ، حتي
يعلم ان الله اوجبها له ، وليس بعالم ذلك دون لقاء ربه ، وكذلك
ينبغي لكل من رغب في جوار الله ومرافقة انبيائه ان يكون .

يا اخي انت ممن استريح الى التصريح اليه ببشئ وحزنى ،
واشكو اليه تظاهر الظالمين على ابنى رأيت الجور يعمل به بعينى
وسمعه يقال فردته ، فحرمت العطاء ، وسيرت الى البلاد ، وغربت
عن العشيرة والاخوان وحرم الرسول صلى الله عليه واله وسلم ،
واعوذ بربى العظيم ان يكون منى هذا شكوى وأن ركب منى
ماركب ، بل أنبأتك أنى قد رضيت ما احب لى ربى وقضاه على
وافضيت ذلك اليك لتدعوا الله لى ولعامة المسلمين بالروح والفرج
وبما هو اعم نفعاً وخيراً مغبة وعقبى والسلام .

واما ما يتصل بالموعظة فقد سأله رجل ما لنا نكره الموت ؟
فقال له : لانكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ، فتكروهون ان
تنتقلوا من عمر ان الى خراب ، فقال له : كيف قدومونا على الله ؟
فقال ؟ اما المحسن منكم فكان لعائب يقدم على اهله ؛ واما المسيء
فكان لآبق يرد على مولاه ، قال : فكيف ترى حالنا عند الله ،
قال . اعرضوا اعمالكم على الكتاب ، ان الله يقول : « ان
الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم » فقال الرجل فاين رحمة
الله ؟ قال رحمة الله قريب من المحسنين ، وكتب اليه رجل اطرفنى

بشيء من العلم فكتب اليه ان العلم كثير ولكن ان قدرت على
 ان لا تسبيء الى من تحب فافعل ، فقال له الرجل : وهل رأيت
 احداً يسبيء الى من يحبه ؟ فقال نعم نفسك احب الانفس اليك فان
 انت عصيت الله فقد اسأت اليها ، وقيل له كيف اصبحت يا صاحب
 رسول الله ؟ قال : اصبحت بين ذنب مستور وثناء من اغتر به فهو
 مغرور ، وقال لمن اسرف من اصحاب رسول الله (ص) : يخضمون
 ونقضهم والموعود الله ، ان الله قد فضلك فجعلك انساناً فلا تجعل
 نفسك بهيمة ولا سباعاً ، واحذر سرعة الكثرة وسرف البطنة ، وفي
 « الحلية » قام ابو ذر بباب الكعبة فقال : ايها الناس انا جنذب
 ابن جناده الغفاري هلموا الى الاخ الناصح الشفيق فاكتنفه الناس
 فقال : أرايتم لو ان احدكم اراد سفرأ ليس يتخذ من الزاد ما
 يصلحه ويبلغه ؟ قالوا : بلى . قال : فسفر طريق القيامة ابعد
 ما تريدون فها بالكم لا تتزودون له ما يصلحكم فيه ؟ قالوا وما
 يصلحنا قال : حجوا حجة لعظام الامور ، صوموا يوماً شديداً
 حره لطول يوم النشور ، صلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة
 القبور ، كلمة خير تقولها ، كلمة سوء تسكت عنها ، لوقوف
 يوم عظيم ، تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها اجعل مجلسين
 مجلساً في طلب الآخرة ، ومجلساً في طلب الحلال والثالث يضرك
 ولا ينفعك لا تريده اجعل درهين درهما تنفقه على عيالك من حله
 ودرهما تقدمه لآخرتك ، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده ،

وفي الدرجات الرفيعة واجعل الدنيا ساعة من ساعتين ساعة مضت بما فيها فإلست قادر أعلى ردها وساعة آتية لست على ثقة من ادراكها والساعة التي انت فيها ساعة عمالك ، فاجتهد فيها لنفسك ، واصبر فيها عن معاصي ربك ، فان لم تفعل هلكت « ثم نادى بأعلى صوته يا ايها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه ، قتلني هم يوم لا ادركه .

على عهد الخليفةين

«وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا» .

لقد مات رسول الله (ص) ، وارتجت المدينة واصيب المسلمون بدهشة وذعر ، وكان المؤمنون من الفزع والذعر كأنهم في يوم القيامة ، قد اعترتهم الحيرة والدهشة من عظم المفاجعة ، وقد تسرب الشك الى بعض اصحابه ، والحج به الشك حتى راح ينكر موت النبي (ص) وكان فنده اول المصائب التي نزلت بساحة المسلمين واعقبها الانقلاب والاضطراب يقول البخارى : « ولم يخلص منهم - يعنى المسلمين - إلا مثل همل النعم واستخدمت الوسائل المتنوعة لبسط النفوذ ، ولا تريد ان تتعرض لذلك الدور الذى كانت تمده العصبية ، وتغذيه المطامع والانانية ، ولكن لا بد

ان نقول : ان سقيفة بنى ساعده احدثت اثرأ عميقاً نتلمس خطره
في الوسط الاسلامي حتى الان

وكان العباس عم النبي (ص) يرى للهاشمين ان يقتحموا
المعركة ، ويذكر والناس بيعة الغدير ، فانهم قريبو العهد بها ،
ولكن عليا عليه السلام والهاشمين وشعيتهم من الصحابة كانوا
حافين بجنائز النبي (ص) تضطرم قلوبهم حسرة واسى على الفقيه
الغالي المدرج في كفانه المقدسة بين ايديهم والناس مشغولون
عنه يشغلهم التدافع في سبيل السلطان والحكم

وكان بعضهم يتطلع الى النتيجة الحاسمة بين هذا التدافع العظيم
يقول البراء بن عازب : « لم ازل لبني هاشم محباً فلما قبض رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم ، خفت ان قتما لأقريش على اخراج
هذا الامر عنهم ، فاخذني ما يأخذ الواله العجول . . فكنيت اتردد الى
بني هاشم واتفقد وجوه قريش ، فاني كذلك اذ فقدت ابا بكر
وعمر ، واذا بقائل يقول : القوم في سقيفة بنى ساعدة ، واذا قائل
اخر يقول بويج ابو بكر ، فلم البث واذا انا بابي بكر قد اقبل
ومعه عمر وابو عبيدة وجماعة من اصحاب السقيفة . . ولايمرون
باحد الا قدموه فمدوا يده فمسحوها على يد ابي بكر يبايعه شاء
ذلك او ابي ، فانكرت عقلي وخرجت اشد حتى انتهيت الى
بني هاشم والباب مغلق ، فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت :
بايع الناس لابي بكر ابن ابي قحافة ، قال العباس : تربت

ايدىكم الى آخر الدهر اما اني امرتكم فعضيتوموني
ومن الواضح ان مثل هذه الاجراءات تثير المعارضة ، ولاسلطان
لها على العقيدة ، والعقيدة هي التي تملك القلوب ، ولا نستغرب
اذن أن رأينا ابا ذر قد استولى عليه الذعر والدهشة ، اذ يشاهد
هذه الاجراءات من المسلمين ، فانهم بالامس بايعوا عليا عليه
السلام بالخلافة ، وقال قائلهم : بنح . بنح لك يا ابن ابي طالب .
اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، وبالامس سمعوا رسول الله
(ص) في غدير خم يقول « انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن
تضلوا كتاب الله وعترتى اهل بيتى ، ونبأني اللطيف الخبير انهم ان يفترقا
حتى يردا على الخوض ، فلا تدموهم فتهلكوا ولا تتأخرو عنهم فتهلكوا
ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم ، ثم رفع بيده عالياً (ع) حتى بان بياض
ابطيه وقال الست اولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ قالوا جميعاً بلى
يا رسول الله ، فقال : من كنت مولاه فهذا على مولاه ، اللهم
والي من ولاء وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله
(١) وما كان ابو ذر ليتصور ان قوة تغلب قوة رسول الله ، وان
صوتاً يرتفع فوق صوت رسول الله (ص) .

(١) هذا حديث تواتر نقله وصح سنده ، رواه الثقة ، وتناقلته
الرواة وقد نص على تواتره السيوطى وصاحب الفتاوى الحامدية
وافردله ابن جرير الطبرى كتاباً واخرجه من خمسة وسبعين طريقاً
وكذلك اخرجه ابن عقده عن مئة وخمسة طرق - كما في غاية

فكان من الحق ان يستولى على ابي ذر الذعر والدهشة ، وتأخذه
 الحيرة ، وليس من الغريب اذ ارأىناه يوم أمر ضد السقيفة يقول البراء
 بن عازب « ورأيت في الليل سلمان وابا ذر وعبادة بن الصامت
 وابا الهيثم بن التيهان ، وحذيفة وعمار ، وهم يريدون ان يعيدوا
 الامر شورى بين المهاجرين » فانت تري هذه الثلة من اجلة الصحابة
 يتحسسون ويتأمررون في هذا المحدث الخطير ، ولا احسب ان الحزبية
 هي التي كانت تبعثهم الى هذه المؤامرة ، ولكن هنا صوتا
 مقدسا وحكما مقدسا ، هما صوت الله وحكم الله يبلغهم رسول
 الله (ص) وهو على احداج الابل . مرتبة على هيئة المنبر في غدير خم
 وتبصر قليلا ترى ان هذا هو الذي دفع المسلمين وجعلهم يستمدفون هذه
 الضراوة في سبيل الحق ، ولكن ما يصنع هؤلاء المؤمنون وقد تحيز
 الكثيرون ووجهت السقيفة المسلمين اتجاهاً سياسياً لم يكن منتظراً
 من بعد ذلك الموقف الذي وقفه المسلمون في غدير خم
 ومع ذلك فان ابا ذر لا يتمتع عن ان يعلن رأيه في هذا المجتمع

المرام - وافرد له الذهبي كتاباً وعلى شدة تعنته فقد صحح
 كثيراً من طريقه .

وقوله (ص) الست اولى بكم من انفسكم فقالوا بلى تفسر
 قوله فوراً من كنت مولاه فعلى وليه أمن كنت وليه فعلى وليه
 اى ان المولاية التي اهي لى عليكم هي لعلى والقرينة اكبر من
 جبل احد واوضح من الشمس

المتغلب ، ولا تمنعه القوة والسلطان ان يتقدم الى قریش باحتجاج صارخ فيقول : .

« يامعشر قریش اصبتم قناعة وتركتم قرابة ، والله لترتدن جماعة من العرب ولتشكن في هذا الدين ، ولو جعلتهم الامر في اهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان ، والله لقد صارت لمن غلب ، ولتطمحن اليها عين من ايس من اهلها ، ولتسفكن في طلبها دماء كثيرة ، ولقد علمتم وعلم خياركم ان رسول الله (ص) قال : ان الامر بعدى نعلي ثم لابنى الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي ، فاطرحتم قول نبيكم وتناسيتم ما عهد به اليكم . فاطعتم الدنيا الفانية . وشريتم الاخرة الباقية التي لا يهرم شبابها ، ولا يزول نعيمها ، ولا يحزن اهلها ، ولا يمت سكانها . بالحقير التافه الفاني الزائل . وكذلك الامر قبلكم كفرت بعد انبيائها ونكصت على اعقابها . وغيرت وبدلت واختلفت . فساويتموهم حذو النعل بالنعل والقذو بالقذو وعما قليل تذوقون وبال امركم ، وتجزون بما قدمت ايديكم وما الله بظلام للعبيد »

بهذا اللون من الاحتجاج يرفع عقيرته ابو ذر في مسجد رسول الله (ص) ، وبهذا الصوت المدوى مع الاجيال يعالن المسلمين وفيهم ابو بكر ووزيراه عمر وابو عبيده ، فلا يحامل ولا يماشى - وهو لا يعرف المجاملة ولا المماشات - كما عرفناه من يوم اسلم الى ان مات

وتراه في احتجاجه قد وصل الى نقطة حساسة ولما اتخذ الحيطة لنفسه ولا اعرف له حافزاً يدعو به الى الاخذ بهذا اللون من المنطق إلا انه يريد ان يرضى ضميره ، وهو لا يرعى لشئ مما دام الحافز له هو الضمير المنطبع على طاعة الله

وموقف ابى ذر كان حساساً الى حد بعيد في هذا الجو المضطرب والمهب الساخن ، ولم يكن المجال له فسيحاً فان السياسية تسمح لاولياء الامر ان تحطم المعارضة مهما كانت ومهما كلفها الامر ، فان الوضع على مفترق الطرق يودع عهداً مليئاً بالجلال والجمال ، ويستقبل عهداً محفوفاً بالمخاطر ، قلقاً مضطرباً تزدهم فيه الاغراض السياسية المتضاربة ، وتعبير ادق يستقبل عهداً انتقالياً ونظماً انتقالية يتصلان بعهد جديد وصورة من الحكم جديدة ، يشقان طريقهما في جو متلاطم بامواج القتن ومختلف النزعات والاحزاب والميول النفسية المتزمنة ، ولا نريد ان نستعرض هذه الاحزاب واسبابها ونشأتها وميولها ولكنها على الاكثر لا تعدو (آ) حزب الهاشميين (ب) حزب الخلافة (ج) حزب الامويين (د) جماعة سعد رئيس الخزرج (هـ) حزب المنافقين (و) اهل الردة ، ويجب ان لانشك بان في هذه الاحزاب شخصيات لها قيمتها وهي تحافظ على مبادئها ، وتغذيها وتسبغ عليها من نعمها واغراضها بمقدار ما تسمح لها الظروف ، ومن هؤلاء ابو ذر فانه كان من صميم الحزب الهاشمي .
ونحن نعلم ان رجال العهد الانتقالي لا بد لهم ان يقفوا بوجه

الاحزاب والمتمزتين من الشخصيات المؤثرة وهذا سياسياً من الحزم المعقول في عرف السياسة المتلونة ولكن سياسة العمرين كانت رشيدة تجاه ابي ذر ، فقد عرفوا له زهده وورعه وتقواه ومكانته من رسول الله (ص) وسابقته ، واخلاصه للمسلمين ، فالحقه عمر باهل بدر الحاقاً بالعطاء - مع انه لم يحضر بدرأ - تشريفاً لقدره وتقديرأ لفضله واعترافاً بسمو منزلته .

وكان من الممكن لابي ذر ان يطمئن الى هذه السياسة ، ويستهو به هذا الاحسان كما يطمئن الناس ، وكما يستهو بهم الاصفر الرنان ، ولكن هيهات ذلك منه

فانه القوى بنفسه ، المعتز بدينه الراسخ بحب الشيخ على امير المؤمنين عليه السلام الثابت على ولائه له المجاهد بين يدي الداعي له ينشر فضائله بين الناس وفي كل مكان المنضوي تحت لوائه يهتدى بسنانه ، ويقتبس من مشكاة علمه ، ولكنه حيث رأى التيسير على الناس ، وصراحة في مواجهة الشؤن العامه اخذ الى السكينة ولا شك بان هذا النمط من الحكم الدستوري وسير الادارة يدفع الاحزاب الى السكوت وهضم الحكومة والتعارف بين رجال الحكم والرجال لاختين الذين لهم مكانتهم الاجتماعية المرموقة وهكذا كان فقد اخلص على عليه السلام واخلص ابو ذر والمؤمنون حقاً في الرأي للتخليفتين ، حتى صرح عن عمر « لا بقيت لمعضلة ليس لها ابو الحس » وصرح عن عمر انه الحق ابا ذر بالعطاء باهل

بدر تشریفآله و كذلك سلمان الفارسی

على عهد عثمان

تمخضت الشورى عن خلافة عثمان، وكان من اسهل الطرق عليه ان يسلك سبيل الخليفتين من قبله في مراجعة شئون الحياة والتيسير على الناس وتدير شئون الخلافة، ويحذر الشباب الاموى الخليع المنهوم، ويحول بينهم وبين اغراضهم المفضوحه، وكان عمر «ص» قد تفرس في عثمان انه اذا ولى الخلافة سيحمل آل ابي معيط وبني امية على رقاب الناس فتثور عليه العرب ويقتلونه ولقد صدق في فراسته!! واصاب في حدسه، فانه كان ضعيف السياسة ضعيفا لبنى امية قومه، وحملهم على رقاب الناس واعطى مروان ابن الحكم - الوزغ بن الوزغ طربد رسول الله (ص) - فدكا وهو الذى منعت منه الزهراء عليها السلام بدعوة ان الانبياء لا يورثون ذهابا ولا فضة، وترك لمعاوية خراج الشام فاحتجبه لنفسه ومنعه عن المسلمين

انا لا اريد ان اتابع حياة ابي ذر فى عهد عثمان هذه الحياة المضطربة المعذبة لان الزمن قد لا يتحمل تتابع الحوادث بدقة فيما لو اردنا ارجاع الاسباب الى مسبباتها

واى واقف على سيرة ابي ذر في هذا العهد لا يحزن لابي ذر؟ ولا يتلمس الاضطهاد والعسف اللذين لحقا به في تنقلاته بين المدينة والشام وبين الشام والمدينة، وبين المدينة والربذة - وما ادراكهم

ما الربذة - وكيف يخفى العنف والشقاء اللذان اصاباه في هذه التنقلات في ذلك العهد؟ ومهما بالغ الطبرى في كتم الحقيقة وقال للامام ان يؤدب رعيته فان هذا التكتم يستلقت النظر ويسترعى الانتباه ، واعتقد ان هذه مداورة مفضوحة لا يخفى منطقتها المتزمت عن القصد المكتوم ، وهل من المنطق ان يقال ابو ذر غير مؤدب ؟

ومن المستصوب ان نعرض لشيء من الخصومة بين الهاشمين وبين الامويين ، لنستطيع ان نرجع هذه الاضطهادات التى توالى على ابي ذر الى اسبابها الحقيقية ، لاننا نرى ان هذه الخصومة كانت من المصادر التى تستقى منها الاضطهادات ، وتتصل بها اتصالا اكيدا ، والمرجح عندنا ان الشباب الاموى هو الذى كان يحمل عثمان على ارتكاب هذا الشذوذ مع هذا الصحابى الجليل الذى احترمه العمران مع ما رأيناه من احتجاجه الشديد تجاهها

وارى من الخيار ان اكون في بيان هذه الخصومة سلبيا ، وارجع الى كلمات المؤرخين واهل التحقيق من الباحثين ، وارسلها ارسالا بدون اى تعليق لتكون توطئة وتمهيدا للبحث عن حياة ابي ذر في عهد عثمان

قال الاستاذ العلائلى : « .. نعلم ان بين الاسرتين الهاشمية والاموية خلافا تاريخيا يتصل بعهد جاهلي ، ثم اخذ شكلا اكثر عنفا بعد الدعاوة الاسلامية التى ظهر بها الرسول الهاشمى ، فجهد

الامويون بوضع الصعاب في سبيل نجاحها، بيدان صاحب الرسالة شق طريقه بين الجلامد والصخور ومتغلباً على كافة الحواجز المعترضة، ناجحاً في اطراد مهود، وبذلك غدوا فئة مستضعفة عديمة القيمة، ثم لا وزن لها سياسى، فعمدوا الى العمل سرّاً لكي يستعيدوا مجدهم المفقود - وقال الاستاذ العقاد

كانت الحوادث قد جمعت اسباب التنافس والخصومة منذ اجيال وكان هذا التنافس . . يرجع الى كل سبب يوجب التفرقة . . من العصبية الى التراث الى السياسة ، الى الشخصية الى اختلاف الخليفة والنشأة والتفكير .

«تنافس هاشم وامية على الزعامة . . فخرج امية ناقماً الى الشام وبقي هاشم مفرداً بزعامة بنى عبد مناف في مكة فكان هذا اول انقسام وتقسيم بين الامويين والهاشميين . . ثم علا نجم ابى سفيان بن حرب بن امية في الحجاز فاصبحت له زعامة مرموقة الى جانب الزعامة الهاشمية ، فلما ظهرت الدعوة المحمدية اخذته الغيرة على زعامته ، فكان في طليعة المحاربين للدعوة الجديدة ، وندرت غزوة من الغزوات لم تكن فيها لابي سفيان اصبع ظاهرة في تأليب القبائل وجمع الاموال . . . وبلغ من تغلغل العداء في هذه الاسره للنبي عليه الصلاة والسلام ان ابا لهب عمه وكان اوحده اعمامه في الكيد له والتأليب عليه ، وانما جاءه هذا من بنائه بام جميل بنت حرب اخت ابى سفيان . . جمالة الخطب . . ولم

تنتقطع قط سلسلة هذه المنافسة منذ اجيال وان غلبها الاسلام في عهد النبوة وفي عهد الصديق والفارق .

وقال المقرئ في كتابه - النزاع والتخاصم - بعد ان عد رجال الامريين : . . وما احدث من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم الا وقد بذل جهده في عداوة رسول الله (ص) ، وبالغ في اذى من اتبعه وآمن به ، ونالوا منهم من الشتم وانواع العذاب . . وهم ا بقتل رسول الله (ص) ، وتماظروا في امره ليخرجوه من مكة . . وبالغ كل واحد منهم في ذلك بنفسه وماله واهله وعشيرته ؟ ثم ان المقرئ يخصص هذه الخصومة التي بين الهاشمين والامويين في هذين البيتين .

عبد شمس قد اضرمت لبتى ها - شمس حربا يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى ، وابن هند لعلى وللحسين يزيد
وقال المقرئ ايضا : « هذا رسول الله (ص) قد ابعد بنى اميه واخرجهم من ذوى قرباه كما اخرجهم الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رء في كتاب الخس من الجامع الصحيح فقال : « حدثنا عبد الله بن يوسف . . عن جبير ابن مطعم قال : مشيت انا وعثمان بن عفان (ض) الى رسول الله (ص) فقلنا . يارسول الله اعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة ، فقال رسول الله (ص) « انما بشوا المطلب وبنو هاشم شىء واحد .

هذا شيء من النزاع بين الهاشميين والامويين عرصناه على
القارى الكريم ، ومن الضروري ان تتولد من هذه الخصومة
تيارات قوية تلعب دورها بالجماهيم من الناس ، وهل يظن احد
ان هذه الخصومة انقطعت بعد الاسلام ؟ والذي يظهر للمتبع
انها لم تنقطع بالاسلام » وان غلبها الاسلام في عهد النبوة وفي عهد
المعمرين « وانما ركبت كجمر تحت رماد ، وكان الامويون
يعملون سرّاً تحت ستار صفيق « لكى يستعيدوا مجدهم المفقود
ومكانتهم الضائعة » ولعلنا انفسح امامهم طريق العمل بما تولوه من
الاعمال في عهد الخلفيتين ، فكانوا يعملون لمصالحهم على مناهج
خاصة يستخدمون لها نفوذ الحكومة بالرغم عن يقضة عمر ، حتى
قامت خلافة عثمان بن عفان فاتتصر بها الامويون ايما انتصار ، لانه
رأس من رؤسهم وابن عم قريب لزعماء بيوتهم ، واصبحت
الدولة الاسلامية اموية لا يطمع في خيراتها ولا ولاياتها الا من كان
من بنى امية او من حزبها ، فمروان ابن الحكم وزير الخليفة الاكبر
يغدق العطاء على الاقرباء ويجبسه عن سائر الناس ، ومعاوية بن
ابى سفيان والى الشام يجتذب اليه الاقرباء والاولياء . ومن يرجى
منهم العون ويخشى منهم الخلاف « فان عثمان ترك لمعاوية
خراج الشام فاحتجبه ولم يوزعه على المسلمين . وانما ادخره
للاولياء والاقرباء يقول الاستاذ العلائلى « والذى يدل على ان
الحزب الاموى كان يعمل لاهداف ثابتة . تغير السياسة دفعة

واحدة ومن اساسها ايضاً في عهد عثمان الذي ترك لهم سياسة الامور العامة ، واطلق يدهم في كل المقدرات . . فالحزب الاول كان يعمل بوحى خاص ولئارب خاصة على منح مقرر . . »

وبعد الذى عرضناه عليك من هذه الخصومة فالصراع معروف الغاية ، معلوم النهاية ، فلا يحتاج الى تحليل ، واذا كان القارى يحتاج الى ذلك فاننا نعتذر منه فان المجال لا يتسع لامثال هذه البحوث .

وهنا يجب ان لا نغفل عن اعمال الاحزاب بعضها مع بعض وماتر كه من ارزاع و عواصف هو جاء ، ويتضح ذلك من النوازل التي نزلت بابى ذر في هذا العهد المملوء بالتغيرات ، ونكون من السذاجة بمكان البلهاء اذا اعتقدنا ان ابا ذر كان متأثراً : بعوامل نفسية او عوامل ثورية ضد خلافة عثمان ، او بعامل اشتراكى مزدكى جاءه من عبد الله ابن سباء - الرجل الخرافى المدهوم - كما يزعمون ، فان كل هذه العوامل ليست من المنطق الصحيح ، ولاهى من التفكير الناضج فى شىء ، وانما ذلك من وحي الاغراض تصوغها العصبية فى منطق معتدل ولهجة قاطعة ، بيد ان كل من تتبع هذه الحوادث علم ان هذه مداورة مفترجة ، وان ذلك كان نتيجة للخصومة بين الهاشميين والامويين وناشئة عن ضعف عثمان فى تسيير الدفة السياسية واصبحت الدولة . واعمالها بيد

بيد الشباب الاموى الطامح « والانسان اذا فقد ارادته
القويه فقد وجوده المعنوى » وكان عثمان مغلوباً على امره يسيره
مروان بن الحكم خصم رسول الله اللدود
وابوذر نفسه يقول لعثمان : « . . اتبع سنة صاحبك لا يكن
لأحد عليك كلام ، فقال له عثمان :
« مالك وذلك لا ام لك ؟ .
فقال ابو ذر :

ما وجدت لى عذراً إلا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .
فغضب عليه عثمان وقال لمن حوله :
اشيروا علىّ في هذا الشيخ الكذاب ، اما ان اضربه او احبسه
او اقتله ، فانه فرق جماعة المسلمين او انفيه من ارض الاسلام ! .
في المدينة .

ارجع ببصرك الى ما قدمناه في هذه الفصول لترى ادوار حياة
ابى ذر كلها ، فهل تقع عينك في عهده الاسلامي على شيء
تسميه الثورة او ما يشبه الثورة ؟ ؟ او انك تقف على حياة هادئة
زاهدة حافلة بالفضائل ومكارم الاخلاق ، وسامى الصفات ، وقوة
الايمان والاخلاص لله ولرسوله وللإسلام والمسلمين ،

ومن تابع سيرته بدقة مجرداً عن الميول عرف انه
لم يمل مع هوى ولم يستزله غرض ولم يشطط بقول بل كان يسير
على هدى رسول الله «ص» هذه حياة ابى ذر منذ دخل
الاسلام وعرف له ذلك سائر الصحابة ورأيناه في

عهد العمرين كذلك؛ ورأينا عمر «ض» عرف له صدقه فأكبره ، وزهده فقدمه والحقه باهل بدر ، وكانت هذه بادرة تدلنا على اتجاه عمر السياسي وعلى كفايته السياسية ، وقد عرف كيف يواجه الحياة والناس ، وكيف يسير دفقة الحكم السياسي ، وكان يستمد سلطانه ونفوذه من هؤلاء النفر الذين شاركوا النبي (ص) في وضع اساس البناء الاسلامي ، وعرف لهم مكانتهم المرموقة ورأيهم الصائب ، واستطاع أن يكف يده عن مال المسلمين ، ويمنع نفسه عنه .

يقول المسعودي : « حج عمر فانفق في ذهابه ومجيئه الى المدينة ستة عشر دينارا ، وقال لولده عبد الله لقد اسرفنا في سفرنا وهذا اللون من الحياة هو الذي يجعل بسطان المسلمين ان يصبغ به حياته » وحسن جداً ان تكتمل فيه قوة العاطفه ، وفكرة التعاون مع الجماعه والافراد ، والسواسيه بين الناس ، ومما لاسبيل الى نكرانه ان هذه الظاهره في الحاكيم الفرد هي التي تجعله اداة صالحة لخدمة المجتمع واكتمال سعادته ، وتجعل منه عضواً فاعلاً في جسم الانسانية ، يقول امير المؤمنين على عليه السلام : « أقنع بان يقال امير المؤمنين وحولى بطون غرثي واكباد حري » والاستئثار والايثار والاستبداد لم يكن يوماً من خلق الاسلام ، والمسلمون عيلة وأحدة في بيت واحد لافضل لاحدهم الا بالتقوى

وبعد - فانا نرى ابا ذر اختلف حاله ، فى عهد العمرين
 عنها فى عهد عثمان ، وان شئنا ان نقارن بين العهدين لرأينا انفسنا
 امام عهدين مختلفين متناقضين لا يمت احدهما الى الاخر بصلة ابدأ . بل
 من اللغو هذه المقارنة ، فابو ذر الهادىء الوديع فى العهد الاول
 وابو ذر الثائر فى العهد الثانى ، وكم من فرق بينهما . ولماذا ؟
 فهل تطور ابو ذر وتغير رأيه فى المبادئ الاسلامية . فتجول
 من مظهر الى آخر ؟ او انه لم يراع التطورات الزمنية ! والزمن
 يحمل نصيبا كبيرا من التغيرات والاعتبارات . وفي الحق ان
 شيئاً من ذلك لم يكن وان ابا ذر لم يتغير وانما له اتجاه عام وجهه
 به المبدء الاسلامى الذى جاهد في سبيله رسول الله (ص) وابو
 ذر لا يتقيد برأى شخصي او نظرية فردية وانما اتجاهه مشتق من
 جوهر الدين ومستمد من روح التعاليم الاسلامية . وقد آن للنظر
 الصحيح ان يرى . وللعقل ان يحكم وللمنطق ان يقول .
 والباحث ان ينصف ابا ذر ليخرجه من اشتراكية مزدكية
 التى حكم بها عليه تجار العقيدة . وورثه الاحقاد ومتسولة
 العلم . وما جوروا الضمائر وفي ذمه التاريخ والانسانية ان يقال
 ان ابا ذر ثائر بالمزدكية . وايضا لقد آن للنظر للصحيح والعقل
 الصريح ان يهزاء بقول الطبرى حول ابي ذر : وللإمام ان يؤدب
 رعيته « فهل يصح ان يقال : ان ابا ذر غيـر مؤدب . وهل
 ترك ابو ذر ادبا اسلاميا وخلقاً اسلاميا لم يتأدب به ولم يتخلق

به ؟ فارجع البصر هل تقع عينك في كل ادوار حياته إلا على ادب رفيع ، وخلق سام ، وانسانية كاملة ادبها رسول الله (ص) وكملها الاسلام واذن فما هذا الصوت المنكر وليس لنا الآن إلا ان نمظر في حقيقة هذا التغير ومصدره بنحو تتضح للقارئ الحقيقة وينمحي ما قد يكون عالقاً باذهان البسطاء من أن ابا ذر كان اشتراكياً مزدكياً فنقول : .

انتقلت الخلافة من عمر الى عثمان فانتقلت من الشورى الى الاثرية ومن الخلافة الى الملك ، ومن السباحة الى الاستبداد يقول ابن ابي الحديد « . . . وعندما انقضى امر الشورى واستقر الامر لعثمان وبايعه الناس او طأ بنو امية رقاب الناس واقطعهم الاقطاعات واطلق يدهم في كل المقدرات ، وترك لهم سياسة الامور العامة واحتل الامويون المراكز الامامية في الجماعة الاسلامية ، وكان للشباب الاموي سياسة خاصة نحو الاسلام ، ونحو الهاشمين اخصامهم ، ولا شك ان لهذا الشباب الطموح شهوات منهومة وغرائز مريضة ، لا تقف عند حد مادامت القوة تواتيها والسلطان يظهرها ، وعثمان كان ضعيفاً امام الامويين من بني عمه ، وليس له من القوة والحزم ما يملأ كرسي عمر الحازم ، او يقف به في وجه الشباب الاموي فانقلبت مظاهر الخلافة الى مظاهر الملك من نعيم وترف ومجانة وهو الحياة ، وجمع الاموال والتزيد من العقار والضياع ، وكل ذلك من مال المسلمين ، فاعطى

مروان بن الحكم خمس غنائم افريقيا ، واعطى الحكم -
 طريدر رسول الله - مائة الف درهم ، واعطى الحرث بن الحكم
 بن العاص ثلاث مائة الف ، واعطى زيد بن ثابت مائة الف ،
 واعطى عبد الله بن سرح اخاه من الرضاع ما افاء الله على
 المسلمين من فتح افريقيا ، واعطى ابا سفيان ابن حرب مأتي
 الف درهم واقطع مروان فدكا ، الذي منعت منه فاطمة الزهراء
 بضعة الرسول (ص) .

وهكذا حول الامويون الملك ، واقتنوا الاموال والضياع
 والتزيد من ذلك حتى انه ليصح القول : بان الامويين نسباً
 وسياسية هم الذين يؤلفون الطبقة المالية في هذا العهد من
 تاريخ الراشدين ، وكانت هذه الفوضى الجارفة طفرة صريحة في
 المبدأ الاسلامي لاتتفق مع سياسة الاسلام وسياسة العمرين
 الذين تقدما عثمان ، وقد أثر هذا قلقاً في النفوس وخطراً على
 المجموعة الاسلامية ، ولعل احدا لايشك بان هذه خطط كانت
 تتصل بنزعة جاهلية وتنظر الى الحياة من غير الناحية التي كان
 ينظر اليها الاسلام ، فالنظرة العامة انحرفت الى اتجاه خاص ،
 وغرض خاص يرميان الى تبديل الحكم .

وجماع القول : ان الحياة العامة في هذا العهد انتقلت عن قاعدتها
 الى تجديد في السنن والعتاء وسائر الاوضاع وهي لاتتصل بعهد
 العمرين مما ادنى الى تلك الثورة بشكلها المريع ، ولم يكن في

الصحابة - في اول هذا العهد - من له حنجرة ابي ذر وصوته
وجراته وتنمره في ذات الله ، ولذلك تراه وقف امام هذا
الانقلاب منتقداً ، يرفع صوته بالانتقاد الصريح والقاللة المرة ،
فكان يقرأ بين الناس وفي المناسبات وفي الطرقات والشوارع -
كما يقول المؤرخون - « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » فرفع ذلك الى عثمان
وهو ساكت ، ولعل مروان هو الذي خيل له ان ابا ذر انما يرفع
صوته طمعاً بالمال فبعث اليه موليين ومعها مأتا دينار ، وقال
لهما انطلقا الى ابي ذر فقولاه : ان عثمان يقرئك السلام ويقول
لك هذه مئتادينار فاستعن بهاعلى مانا بك فقال ابو ذر : هل اعطى
احداً من المسلمين مثل ما اعطاني ؟ فقالا : لا . فقال انما انا رجل
من المسلمين يسعني مايسع المسلمين . . . لا حاجة لي فيها ، وقد
اصبحت يومي هذا وانا من اغنى الناس ، . . فان تحت هذا
الاكاف الذى ترون رغيماً من شعير . . فما اصنع بهذه الدنانير
لا والله حتى يعلم الله اني لا قدر على قليل ولا كثير ، وقد اصبحت
غنياً بولاية على ابن ابي طالب عليه السلام ، وعترته الطيبين
الطاهرين ، الهادين المهديين الراضين المرضيين الذين يهدون
بالحق وبه يعملون

وطبيعة ابي ذر لا تتفق مع هذه المغريات ، وهذا الصوت الذى
يندفع من حنجرته انما هو صوت اصلاحي منبعث عن نفس

زاهدة بهذه الدنيا وما فيها من زخارف ، وهو غنى بنفسه عن كل ما في هذه الحياة من مظاهر ، ويكفيه في كل يوم صاع من تمر فلا يزيد عليه ، والذي عرفناه من تكوينه انه مجموعة اخلاقية يتكلم في الله ، ويقول لله ويخضع بكله للقانون الاسلامي فقط ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وهو ابعد ما يكون عن هذه المغريات واقرب ما يكون للحق الصريح الى ابعد حد تعرفه الصراحة ان هذا الصوت المدوي ولد في نفس الامويين اسي مريراً والاسي في نفس الحقير يستحيل الى يأس وضرارة ، ولم يكن من السهل اخفات هذا الصوت ، واطفاء هذه الشعلة لان ابا ذر يتمتع بثقة كبيرة في نفوس المسلمين وبنصيب كبير من الاحترام والاكبار فاذا امهله استشرى ، وانه يضرب على وتر حساس وصوته يرتفع من وراء منهج اسلامي ضرب رسول الله (ص) عليه الرقاب حتى دانت له وها هو اليوم على مفترق الطرق تناولته فئة براء الاسلام من نزعاتها الجاهلية ، وها هو المنهج على وشك الانحلال اذا لم ترتفع الاصوت لانجاده من هنا وهناك والموقف من الوجهة النظرية دقيق يبعث الاسي في النفوس المؤمنة .

والصوت ينظر الشباب الاموي ينذر بالخطر فلا يستطيعون سماعه ثم يتركونه وشأنه يدوى بين اصحاب رسول الله «ص» وروح النعمة قد فشت بينهم ، وعصفت زوابع الاستياء فشملت

حتى عبد الرحمان بن عوف ضُر عثمان ، وهى شكلا وان كانت ساكنة ولكنها تنام على قلق ، ولان تلبث ان تثور ، يقول ابن ابي الحديد : «ولما كثرت احداث عثمان وتكاثر طمع الناس فيه ، كتب جمع من اهل المدينة من الصحابة وغيرهم الى من بالافاق ، انكم ان كنتم تريدون الجهاد فلهوا الينا فان دين محمد قد افسده خليفةكم»

فلا جرم ان كان الاسريون يحو كرن الغوازل لابي ذر فانه جسر بصوته وهاهو يناهضهم ؟ ولا بد ان يكون مروان اعظمهم قلقا واعجلهم لطلب الخلاص من هذا الصوت المندفع ، فان مروان ينظر الى الخلافة من وراء ستار زقيق اذا ابلغ بنو العاص ثلاثين رجلا فانهم يجعلون مال الله دولا وعباده خولا ودينه دخلا والخبر عن رسول الله «ص» صريح بان بنى العاص اذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا فالملك مرموق لمروان وهو طامع الى الملكية الاسلامية ، واذن فليمهد الطريق من الان مادامت الفرصة سانحة والوقت مساعداً .

والنفوس المفطورة على الغل لا تستريح من مرضها إلا حيث تنكل بفريستها بالشكل الاجرامي الممكن ، وليس من الهين قتل ابي ذر ، بل ليس من المستطاع ، واقرب وسيلة للتخلص منه والتنكيل به هو اخراجه من دار مهاجرة ، ولعله حسن لعثمان ذلك ، ولعله حمله على ذلك حملا ، فان عثمان كان ضعيفا

امام اغراض مروان وشهواته ، يقول المؤرخون : « فارسل اليه
الى ابي ذر - مولى من مواليه ان انته عما يبلغنى عنك . فقال
ابو ذر : أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى ، وعيب من
ترك امر الله ، فوالله لان ارضى الله بسخط عثمان احب الى وخير
لى من ان اسخط الله برضى عثمان ، فاغضب عثمان ذلك وحفظه
قتصابر له وتماسك ، وقال يوما والناس حوله : أيجوز للامام
ان يأخذ من بيت المال شيئاً قرضاً فاذا ايسر قضى ؟ فقال كعب
الاحبار : لا بأس بذلك ؟ ! - وكان ابو ذر حاضراً - فقال يا ابن
اليسوديه أتعلمنا ديننا ؟ فقال عثمان : قد كثر اذاك وتولعك
باصحابى الحق بالشام »

في الشام

قال ابو ذر : « بيتا انا ذات ليله نائماً في المسجد على عهد رسول
الله (ص) ، اذ مرى فضربنى برجله ، وقال لا اراك نائماً في
المسجد . فقلت :

« يا بى انت وامى غلبتنى عيني فتمت فيه قال :

« كيف تصنع اذا اخرجرك منه ؟ قلت :

اذن الحق بالشام فانها ارض مقدسة وارض الجهاد ، قال :

« كيف تصنع اذا اخرجت منها ؟ قلت :

« ارجع الى المسجد قال :

« فكيف تصنع اذا اخرجوك منه ، قلت :
 « آخذ سيفي فاضربهم به فقال : ألا ادلك على شيء خير من
 من ذلك ؟ انسق معهم حيث ساقوك وتسمع وتطيع ، فسمعت
 واطعت .

« وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى علمه شديد
 القوى »

وهكذا كان فقد اخرج من المدينة والحق بالشام ، ولم نعلم
 كيف كان خروجه ؟ أمتعنا ملموزاً بالعصا ام ذهب مستر سلا
 لايسوة احد ؟ والروايات أغفلت هذه الناحية .

ولعله كان يظن ان هذا النفي سيكون سبباً قوياً لكبت
 جماحه ، او على الأقل ركوداً طبيعياً ، فان الشام غير المدينة ،
 ومعاوية غير عثمان والشاميون الفوا التربية الاموية ، فلا يعرفون
 من الاسلام الا ما يقرره لهم معاوية وما قرره لهم اخوه يزيد بن
 ابي سفيان من قبل ومعاوية رأس من رؤس الامويين يعمل في
 سبيل امويته او هو اكثر اندفاعا في التمهيد للاموية .

ونلاحظ ان هذه الحركة من عثمان كانت بعيدة عن المرونة
 السياسية ، واقرب للواقع ان نسميها خطة استفزازية كان لها
 اثرها في نقد سياسة عثمان واستفزاز المعارضة ، نشأت عن ضيق
 النظر السياسي ، وعدم فهم نفسية ابي ذر ، فان ابا ذر كان متشبعا
 بالمبادئ الاسلامية الصحيحة ومثقلا بتمارك رسول الله (ص) ،

ونفسه تتصل بالوجود المطلق ، وهو يجاهد لاسترداد الحرية ،
وليس ثمة قوة تستطيع ان تسيطر عليه او تقف في وجهه ، وان
وجد الذين يقفون في وجه عقيدته فأولئك لاعهد لهم عنده ،
ولادمة لهم عليه ، فلا سلطان عليه لغير الله ، ولارقب عليه غير
ضميره المتقل بالاحاسيس ، المشبوب بمتارك النبوة

وعلى كل حال فقد دخل الشام ونزل الى جانب معاوية ،
وانتقلت حركة الانتقاد من المدينة الى الشام ، واذا نظرنا الى
الشام مهد الامويين ، يوم كانت البلاد الاسلامية العربية الاخرى
مثقلة بمتارك رسول الله (ص) ومتارك العمرين لرأينا تلك المتارك
تحتضر بين جذران الشام على اعتاب استبداد معاوية ورأينا
البلاط الاموي مثقلابا لامتيازات ، ويعجج باصحابها ورأينا السياسة
الاموية تسيطر على العقول والافكار وعلى جميع النواحي ، والشباب
الاموي يحتل المراتب العالية مستاثراً بالمال والسلطان ، ولعله
كان من المحسوس ان الشام اذ ذاك ليست ملكا للاسلام الصحيح
وانما هي ملك الامويين المستبدين ، واهل الشام لا يعملون لحساب
الاسلام ، وانما يعملون لحساب الامويين ، وابو ذر يعطينا صورة
عن الشام يومئذ فيقول : « والله لقد حدثت اعمال ما عرفها ،
والله ما هي في كتاب الله ولا في سنة نبيه «ص» ، والله اني لارى
حقاً يطفأ ، وباطلا يحيا ، وصادقا مكذبا واثرة بغير تقى وصالحا
مستاثراً عليه » ومن الطبيعي اذن ان تزأر العدالة على لسان

ابى ذر زئير أيقض مضجع معاوية ، وان يرتفع صوته منكرا منتقدا ، وان يعود فيقرأ قوله تعالى . « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » يقول المؤرخون . « كان يقرأ ذلك في الازقة والشوارع حتى اولع الفقراء بابي ذر وشكا منه الاغنياء ، فضاق معاوية ذراعا بابي ذر وضيق عليه وحفت به الخطوب من كل جانب ومكان ، وهدوده بالقتل فقال . يهددني بنو امية بالفقر والقتل وللفقير احب الى من الغنى ، ولبطن الارض احب الى من ظهرها ، ولم يكن هذا بالغريب من ابي ذر الزاهد الورع ، ولكن الغريب هو تحكم النزعات الجاهلية في انبل عواطف انسانيه اسلامية ، وخمود صوت الضمير الانساني ، وارتفاع صوت الماده ، والماده هي غاية الحياة عند معاوية ، واذن من البديهي ان لا يتفق ابو ذر مع هذه الحياة المادية ، وايضا ليس من الغريب ان يكون شديد الانكار رفيع الصوت على معاوية ويقول له لما بنى الخضراء واتفق عليها الاموال بدون حساب « يا معاوية ان كانت هذه من مال المسلمين فهي الحيانة وان كانت من مالك فهو الاسراف ؟ » ومعاوية داهية اراد ان يعريه بالاموال « فبعث اليه ثلاثمائة دينار فقال ابو ذر للرسول . ان كانت من عطائي الذي حرمتونه عامي هذا قبلها وان كانت صلة فلا حاجة لي فيها وردها عليه و كأنه لم يتبين لمعاوية بعدمضاء العزم عند ابى ذر ، ورسوخ

العقيدة، وكأنه كانت تعوزه التجارب والمحاولات ليتصل بمصدر هذا الصوت المندفع من حنجرتيه، ويتعرف على حقيقته يقولون دعا رسولا واعطاه الف دينار وارسله بها في جنح الليل الى ابي ذر، ثم لما صلى معاوية الصبح دعا رسوله الذي ارسله اليه فقال له :

« اذهب الى ابي ذر فقل له انتقد جسدي من عذاب معاوية فانه ارسلني الى غيرك واني اخطأت بك .

» فانطلق الرسول ، وقابل ابا ذر بما لقنه معاوية فقال ابو ذر :

« يا بني قل له والله ما اصبحت عندي من دنانيرك دينار . ولكن اخرنا

ثلاثة ايام حتى نجمعها »

ان هذا وامثاله يكشف لنا ان طبيعة ابي ذر لم تكن واضحة جلية عندهم ، فيحسبون ان لهجة الانكار ربما كانت صادرة عن نفس تنزع الى المادة ، ولذلك كانوا يقومون بهذه التجارب وما اسرع ان ترجع فاشله .

ومن العبث محاولة معاوية ان يخدع ابا ذر بهذا الشكل من الخديعة ، وابو ذر انما يريد ان يضع حدا لهذا التدهور الاجتماعي ويحاول ان تكون المبادئ الاسلامية الصحيحة هي هدف ولاة الامور والساسة من المسلمين الذين يشغلون المراكز العالية ، ويتولون الشؤون العامة ولكن معاوية والامويين لا يتصلون بالمبدأ الاسلامي لاقبلا ولا كثيرا ، ولعله اول ما يبدو لك في العصر الاموي ان

المبادئ الاسلاميه تتحول من طور الى طور ، وهى في طريقها الى التدهور ليحل محلها مبادي هدامة تعمل معارها في تحطيم المبدأ الاسلامي ، وهدم كيان الروح الاسلاميه ، ولهذا كان يندفع ابو ذر لمقاومة الحزب الاموى ويبعث هذه الروح في نفوس الناس ، وليس من العجيب ان يقف على باب معاوية ويقول صارخاً « اتتكم القطار تحمل النار ، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له فاز بأر معاويه وتغير لونه وقال لجم الغفارى :

« من عذيري من جندب بن جناده يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت ؟

« ثم قال ادخلوه على فجىء بابى ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه فقال له .

« يا عدو الله وعدو رسوله تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع اما انى لو كنت قاتل رجل من اصحاب محمد من غير اذن امير المؤمنين عثمان لقتلتك ، ولكنى استاذن فيك

ابو ذر - « ما انا بعدو الله ولا لرسوله ، بل انت وابوك عدوان الله ولرسوله ، اظهرتما الاسلام وابطنتما الكفر ، ولقد لعنك رسول الله (ص) ودعا عليك ان لاتشبع مرات ، وسمعت رسول الله (ص) يقول .

« اذ اولى الامة الاعين الواسع البلعوم الذى يأكل ولا يشبع

فلتأخذ الأمة حذرهما منه .

معاوية - ما انا ذاك الرجل .

ابو ذر - « بل انت ذلك الرجل اخبرني بذلك رسول الله
«ص» وسمعه يقول - وقد مررت به - اللهم العنه ولا تشيعه إلا
بالتراب - وامر بحجسه

قد يكون ابو ذر قاسياً في هذه اللهجة ، شديداً في هذه الصرخة ،
وقد يكون في ذلك شيء من التطرف ، وقد لا يكون فيه شيء
من التطرف وسواء أكان ذلك ام لم يكن ، ؟ فان الذي نلتقي به
مع القارى ومع المنكرين عليه ، انه كان من الشخصيات الاسلامية
الرائعة ، التى تجمعت فيها اروع الفضائل واسمي الصفات ، وقربه
رسول الله «ص» من اهل بيته وقال . « اكرم بك يا ابا ذر انك
منا اهل البيت » وهو في السماء اعرف منه في الارض ، واجله
الصحابه وعظموه وعرفوا له سابقته ، فكان من المرونة أن
يرعى عثمان فيه الحرمات الاسلامية تمام الرعاية ولم يكن من
اللياقة ان يقول « اشيروا علىّ في هذا الشيخ الكذاب ثم يلقه بين
يديّ معاوية وكذلك كان من المتحتم على معاوية ان لا يلقى
ابا ذر بهذه الوقاحة الشائنة ، فيقول له يا عدو الله وعدو رسوله
وانه ليعلم ان رسول الله «ص» قال : « امرني ربي بحب اربعة
وعدمهم ابا ذر واخبرني انه يحبهم »

والكن لم يكن ليراد تنفيذ كلام الله وكلام رسوله ، فان

ثمة منافسة وخصومة ، وهذه الخصومة ترجع بتوابع خاص الى الخصومة بين الهاشميين والامويين ، والفرصة سنحت لمعاوية ان ينكل بمن يستطيع .

والذى يبحث على ضوء المصادر التاريخية موقف الامويين من ابي ذر يخرج بعقيدة ثابتة انه لم يكن الباعث لهم على مطاردته هو انكاره عليهم التصرفات المالية فحسب ، ذلك لان ابا ذر لم ينفرد بهذا الانكار ، وهذا زيد بن ارقم - وكان صاحب بيت المال - جاء بالمفاتيح ووضعها بين يدي عثمان وبكى لما اعطى مروان ما اعطى فقال له عثمان .

اتبكي لاني وصلت رحى ؟ !

قال لا ولكنى ابكى لاني اظنك اخذت هذا المال عوضا عما انفقته في سبيل الله في حياة رسول الله «ص» ولو اعطيت مروان مائة درهم لكان كثيرا !!!

عثمان - القى المفاتيح يا ابن ارقم فانا منجد غيرك !

وهذه السيدة عائشة رض « كانت اشد انكارا وقولتها المشهورة هي احد الاسباب لهياج المسلمين على عثمان ، ولقد رأينا من قبل ان جمعا من اهل المدينة من الصحابة كتبوا الى الافاق كتابا اشبه بكتب الحكومات التى تعلن فيها الحرب وهب ان ابا ذر الزاهد الورع كان منفردا ، وكان متطرفا في

افكاره وارائه ، وهب انه اساء استعمال حقه ، او اساء السير في طريق الاستنكار ، هبه اساء في كل ذلك ، أكان من الصحيح ان ينفته عثمان بالشيخ الكذاب « ويخاطبه معاوية » ياعدو الله وعدو رسوله وفي كلا القولين مخالفة صريحة لله ولرسوله

والحقيقة ان هناك من الاسباب ما هو اقرب اعتبارا وارجى للوصول الى الحقيقة من اى سبب اخر ، ولارى ان هذه المطاردة لابی ذر في المدينة وفي الشام ، كانت تستمد اسبابها من هذه الاشتراكية المزعومة له ، وهل هى إلا اشتراكية فرضها تجربة الضمائر في العصر الحاضر ، وهى لاتصح ان تتخذ سنداً تترتب عليه هذه المطاردة القاسية ، ونحن آلان لانريد ان نناقش هؤلاء الخياليين المنددين لسياسته حين يفرضونه اشتراكيا مزدكيا ، وان حر كته تمت بسبب قوي الى حركة مزدك الشيوعية الاباحية وان عبد الله ابن سبأ الرجل الخيالى - هو الذى حر كه ، لانريد هذا آلان وانما نريد ان نصل الى الحقيقة عن طريق النصوص التاريخية الصحيحة لا عن طريق التكهن والعقيدة كما فعل تجربة الضمائر وورثه الاحقاد

وهنا نطلب من القارى ان يتذكر ما ذكرناه في فصل سابق من النزاع التقليدى بين الهاشميين والامويين ، ليستطيع ان يتبين الاسباب في هذا المطاردة ، ويرجعها الى واقعها دون ان ييسىء الى الحقيقة بشئ ، وكل احد يعلم ان ابا ذر كان من الحزب

العلوى ومن الدعاة الى على امير المؤمنين (ع) وابو ذر له مكانته في الاسلام ، ومكانته بين المسلمين ، فانه من بناء الهيكل الاسلامي ، وساعده على بث هذه الدعوة ضعف عثمان وسوء تصرفه ، واطماع الامويين ، والتزيد من اختزان الاموال ، وحبسها عن المسلمين ، واقتناء القصور والضياع ، مما قوى شوكة المعارضة وهيا لها الظرف المناسب ، ونلاحظ ان المعارضة كان لها صوت في المدينة يت الى الخلافة باسباب قويه .

وان في كلمة عثمان لابي ذر « لكنك تريد الفتنة وتحبها وقد انغلت » افسدت « علينا الشام ، صورة صحيحة توضح لنا السبب الحقيقي الذي ترجع اليه هذه المطاردة ، وادى معنى لافساد الشام عليهم غير الدعوة الي غيرهم ؟ ؟
وليس هذا فقط ، فان في كتاب معاويه الى عثمان ما يوضح الصلة بين هذه المطاردة وبين النزعة العلوية التي كان يعمل في سبيلها ابو ذر ويطارده لاجلها الامويون وهى السبب الحقيقي لمطاردته .

يقول ابو جهم الازدى : « لما سير عثمان ابا ذر من المدينة الى الشام كان يقص علينا ، فيحمد الله ويشهد شهادة الحق ويصلى على النبى واله ويقول : اما بعد فانا كنا في جاهليتنا قبل ان ينزل علينا الكتاب وليبعث فينا الرسول نوفي بالعهد ونصدق الحديث ، ونحسن الجوار ، ونقرى الضيف ، ونواسي الفقير ،

فلما بعث فينا رسول الله وانزل عليه كتابه كانت تلك الاخلاق
يرضاها الله ورسوله ، وكان احق بها اهل الاسلام واولى ان
يحفظوها ، فلبثوا بذلك ماشاء الله ان يلبثوا ، ثم ان الولاة قد
احدثوا اعمالا قباحا لانعرفها : من سنة تطفى ، وبدعة تحيا ،
وقائل بحق مكذب ، واثرة لغير تقى ، وامين مستأثر عليه من
الصالحين ، اللهم ان كان ما عندك خيرا لى فاقبضنى اليك غير
مبدل ولا مغير ، ويروي عن رسول الله (ص) ما سمعه في اهل
بيته عليهم السلام ، ويحضهم على التمسك بعترته ، فاتى حبيب
بن مسلمة معاوية فقال : ان ابا دريفسد عليك الناس ، يقول
كيت وكيت . فكتب معاوية الى عثمان : اما بعد فان ابا در
يصبح اذ اصبح ، ويمسي اذا امسى وجماعة من الناس كثيرة عنده ،
يقول كيت وكيت ، وقد صرف قلوب اهل الشام عنك
وبغضك اليهم ، فلا يستفتون غيره . ولا يقضى بينهم الا هو .
فان كان لك حاجة في الناس قبلي فاقدم ابا در اليك فانى اخاف
ان يفسد الناس عليك والسلام .

فهل في هذه الكتاب غموض حينما نريد ان نستجلية . او
فيه التواء حينما نريد ان نفهم السبب الحقيقي لمطاردة ابي در
وما معنى افساد الناس عليه وصرف قلوبهم عنه . وهل في هذا
تعقيدا والتواء؟ والى من تصرف هذه القلوب عن عثمان وليقل
لنا تجربة الضمائر : من اى ناحية يتصل صرف القلوب عن

عثمان وعن الامويين بالاشتراكية المزدكية .

وعلى ضوء هذا الكتاب ورواية الازدي من ان اباذر كان يقص عليهم ويحشهم على التمسك بعترة النبي (ص) يعلم ان حركته كانت تمت بسبب قوي الى الدعوة العلوية ، وان مطاردته من المدينة الى الشام ومن الشام الى المدينة ، ومن المدينة الى الربرة تتصل اتصالا اكيدا بهذه الدعوة ، وقد آن للنظر الصحيح ان يبصر وللعقل الصحيح ان يحكم وللمنطق الصحيح ان يقول ويلوح لنا ان اباذر كان موفقا في دعوته ، فان على الشاطيء الغربي من البحر الابيض المتوسط قطعة من الارض عرفت باسم «جبل عامل» يقال ان معاوية نفى اباذر اليها وهناك بث دعوته فتقبلها اهلوه ولابي ذر هناك مسجدان مسجد في الصرقد وهي قرية تطل على البحر بين صور وصيدا ومسجد في ميس وهي قرية تطل على الحولة ولا نستبعد ذلك وهو معروف على السنة اهل تلك البلاد وعليه اعتبارات كثيرة .

الى المدينة

لما كتب معاوية الى عثمان الكتاب الذي ذكرناه ورد عليه عثمان « ان الفتنة قد اخرجت خطمها وعينها ولم تبق إلا ان تثبت وأهل جند با على اغلظ مر كب واوعره » فبعث معاوية الى ابي ذر ودعاه واقرأه الكتاب وقال له النجاء الساعة ، فخرج ابو ذر

واجتمع الناس اليه فقالوا : « يا ابا ذر رحمك الله اين تريد ؟ قال
اخرجوني اليكم غضباً علىّ و اخرجوني منكم اليهم الان عبثاً بى ،
ولا يزال هذا الامر فيما ارى شأنهم فيما بيني وبينهم حتى يستريح
بر او يستراح فاجر ومضى وسمع الناس بمخرجه فاتبعوه حتى
خرج من دمشق فساروا معه حتى انتهى الى دير المران فنزل
ونزل معه الناس فاستقدموه فصلى بهم ثم قال

ايها الناس انى موصيكم بما ينفعكم ، وتارك الخطب والتشقيق
احمد والله عز وجل ، فقالوا : الحمد لله قال : اشهد ان لا اله الا
الله وان محمداً عبده ورسوله — فاجابوه بمثل ما قال — وقال :
ان البعث حق وان الجنة حق ، وان النار حق واقرب بما جاء من
عند الله واشهدوا على بذلك ، قالوا نحن من الشاهدين ، قال
ليبشر من مات منكم على هذه الخصال برحمة الله وكرامته مالم
يكن للجرمين ظهيراً ، ولا لاعمال الظلمة مصلحاً ولهم معيناً ،
ايها الناس اجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضباً لله عز وجل اذا
عصي في الارض ، ولا ترضوا ائمتكم بسخط الله ، وان احدثوا
ما لا تعرفون فجانبوههم وأزروا عليهم ، وان عذبتهم وحرمتهم
وسيرتهم حتى يرضى الله عز وجل ، فان الله اعلى واجل ،
لا ينبغي ان يسخط برضى المخلوقين ، غفر الله لى ولكم واستودعكم
الله واقراء عليكم السلام ورحمة الله ، فناداه الناس ان سلم الله
عليك ورحمك يا ابا ذر يا صاحب رسول الله ، ألا نردك ان كان

هؤلاء القوم اخر جوك ، الا تمنعك ؟ فقال لهم ارجعوا ورحمكم الله
فانى اصبر منكم على البلوي واياكم والفرقة والاختلاف »
هذا اصدق فقه واعظم صيانة لحقوق عباد الله ، وان هذا
الاسلام لاتستقيم اموره مع هذه المظالم التى عليها حكماته ،
والاسلام نعى على من سبق من الامم تشويه مثالية الاديان ،
وحذر اقباعه ان يميلوا عن الراط السوى ، وكذلك حذر
النبي (ص) المسلمين ان يشجعوا منهج الطغيان ، وان يندفعوا مع
الغرائز الحيوانية ، فينسون العدالة الاجتماعية ، فترسل عليهم
حجارة من السماء

والويل لامة تنطلق ايدي حكامها فيمكرون مبدأ المساواة
بينهم وبين افراد الشعب ، وكذلك الريل لامة لاتقف في وجوه
حكامها الظالمين المستبدين ، فان الاغلال التى وضعها الاسلام
في ايدي الحكام انما هى لاجل تدقيق العدالة الاجتماعية بين الناس
وتحريرهم ، ولحماية الفقير المدقع والعامل الكادح والضعيف المعوز
والحنة اتاحت للمسلمين ان يحكمهم الامويون ، وليس في تاريخ
الامويين ما ينفى عنهم طغيان الحاكم المستبد ، وقيصرية قيصر ،
وكسروية كسرى ، والحاكم الظالم لاتقاومه الا جماعة
متماسكة كل التماسك ومن هنا نراهم دعروا من صوت ابى
ذر وهذه الاصوات من ورائه وطارده اشد المطاردة ومهما
يكن من شىء فان ابا ذر رحمه الله رحل مع الصقالبة الخمسة .

يطيرون به في الليل والنهاره ، وكان على شارف ليس عليها إلا
 قتب يابس ، وكانوا الايدعونه يستريح في الطريق ، حتى تسلخت
 بواطن فحذيه وسقط لهما ، ودخل المدينة وهو مجهد من الالم
 والتعب

في المدينة

وصل ابو ذر الى المدينة على اشق حال منهو كما متعباً قد
 سقط لحم فحذيه ، وادخل على عثمان فانشد :

لانا نعم الله بقين عينا نعم ولالقاء يوماً زينا

تحية السخط اذا التقينا

ابو ذر - ما عرفت اسمي قيناً قط ، انا جندب وسماني رسول
 الله (ص) عبد الله فاخترت اسم رسول الله (ص) الذي سماني
 به على اسمي

- انت الذي تزعم انا نقول : يد الله مغلوله وان الله فقير
 ونحن اغنياء »

ابو ذر - لو كنتم لاتقولون هذا لانفقتم مال الله على عباده
 ولكني اشهد اني سمعت رسول الله (ص) يقول : « اذا بلغ
 بنو العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولا ، وعباده خولا ،
 ودينه دغلا ،

أزبأر عثمان وانتفض كأنه سمع عظيماً والتفت الى الجالسين

حوله وقال

اسمعتم هذا من رسول الله ؟

جميعاً - لا لم نسمعه !!

- ويلك اتكذب على رسول الله ؟

ابو ذر - وقد الف هذه الكلمات من عثمان - التفت الى

الجالسين أما تدرون انى صدقت ؟

جميعاً - لا والله ما ندرى

عثمان - ادعوا لي علياً

ولما جاء قال لابي ذر اقصص حديثك في بني ابي العاص

قص ابو ذر الحديث بلفظه ، وكان الحرج يحيط بموقف علي (ع)

لانه لم يسمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ،

ولكنه يعلم ان ابا ذر صادق ، ويريد ان يعترف الجالسون لابي ذر بالصدق

علي - لم اسمعه وقد صدق ابو ذر

عثمان - كيف عرفت صدقه ؟

- انى سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول

ما ظلت الخطراء ولا قلت الغبراء من ذى لهجة اصدق من ابي ذر

الجميع - اما هذا فقد سمعناه من النبي (ص) صدق ابو ذر

ابو ذر - وقد اسبل دموعاً حارة .. احذثكم عن رسول

الله (ص) فقتهمو ننى ما كنت اظن انى اعيش حتى اسمع هذا

من اصحاب محمد (ص)

وقال عثمان يوماً : انت الذى فعلت وفعلت

ابو ذر - نصحتك فاستغششتنى ، ونصحت صاحبك فاستغششتنى

- كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها قد انغلت علينا الشام

- اتبع سنة صاحبك لا يمكن لاحد عليك كلام

- مالك ولهذا لام لك ؟

- والله ما وجدت لى عذراً إلا امر بالمعروف والنهى عن المنكر

- اشيروا عليّ فى هذا الشيخ الكذاب ، اما ان اضربه او

احبسه او اقتله ، فأنه قد فرق جماعة المسلمين ، او انفيه من ارض

الاسلام

امير المؤمنين - وكان حاضراً - اشير عليك بما قال مؤمن آل

فرعون « فان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصيبكم

بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » ثم

ان عثمان حظر على الناس ان يقاعدوه او يكلموه ، فتحاماه الناس

ونفوه مكرهين على ذلك ، ولكن ابا ذر لا يبالي بمثل هذه

الحوادث ، وليست ذات شأن بعد ان كان

يلتجأ الى الله فى كل شأنه ، ولا يبالي بعد ان

كان يرضى الله فى افعاله واقواله ويرضى ضميره ، وبقي اياما

كذلك يدعوا الناس الى الهدى والى الحق ، حتى ضاق به

الامويون ذرعا ، فطلبه عثمان فأتى به اليه فقال ابو ذر :

- ويحك يا عثمان أما رايت رسول الله (ص) ورأيت ابا بكر

وعمر هل هديك كهديهم ؟ اما انك لتبطش بى بطش جبارين

- اخرج من بلادنا ؟

- ما ابغض الي جوارك فالى اين اخرج ؟

الى حيث شئت

- اخرج الى الشام ارض الجهاد ؟

- انما جلبتك من الشام لما قد افسدتها اسأل أردك اليها ؟

- أفا اخرج الى العراق ؟

- لا . . انك ان تخرج اليها تقدم على قوم اولى شقة وطعن

على الائمة والولاة

- أفا أخرج الى مصر ؟

- لا . .

- فالى اين اخرج ؟ الى مكة

- لا والله ولا كرامة لك

- أتمنعنى من بيت ربى اعبده فيه حتى اموت ؟

- اي والله

- الى اين اخرج ؟

- الى البادية

- اخرج الى بادية نجد ؟

- بل الى الشرق الا بعد امضى على وجهك هذا فلا تعدون الربذة

- الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد اخبرني
بكل ما انا لاق
وما قال لك ؟

- اخبرني اني امنع من المدينة ومكة واموت بالربذة ويتولى
مواراتي نفر ممن يردون العراق نحو الحجاز
- اخرجوه من بين يدي حتى تر كبوه ناقة بغير وطاء ، ثم
نحوبة وتعتوه حتى توصلوه الى الربذة ، فتزله من غير انيس
حتى يقضى الله فيه ما هو قاض ، فاخرجوه ملهوزاً بالعصامتعتا

الى الربذة

الربذة في الجانب الشرقي من المدينة وهي ايتض ارض الى
ابي ذر لانها الموطن الذي كان يسكنه وهو على غير الاسلام
ولقد انكر المسلمون على عثمان اخراجه الى الربذة ، قال
الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الرحمن بن غنم قال : كنت
مع ابي الدرداء فجاء رجل من قيل المدينة ، فسأله عن ابي ذر
فاخبره ان ابا ذر مسير الى الربذة ، فقال ابو الدرداء انا لله وانا
راجعون ، لو ان ابا ذر قطع لي عضواً او يداً ما هجته ، بعد ما
سمعت من رسول الله (ص) يقول : ما ظلت الخضواء ولا اقلت
الغبراء من رجل اصدق لهجة من ابي ذر ، وعبد الله بن مسعود

لما بلغه نفى ابي ذر الى الربرة - وكان اذ ذاك بالكوفة
قال في خطبة له بمحفل من اهل الكوفة. فهل سمعتم قوله تعالى؟
« ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من
من ديارهم » يعرض بمن نفاه ، فكتب الوليد بذلك لعثمان ،
فاشخصه من الكوفة فلما دخل مسجد النبي (ص) ، امر عثمان
غلاما له اسود فدفع ابن مسعود واخرجه من المسجد ورمى به الى
الارض ، وجعل منزله حبسه ، وحبس عنه عطاءه اربع سنين الى
ان مات ، وعن موسى بن ميسرة ان ابا الاسود الدؤلي قال :
كنت احب لقاء ابي ذر لاسأله عن سبب خروجه الى الربرة ،
فجئته فقلت له : الاتخبرني اخرجت من المدينة طائعا ام اخرجت
مكرها ؟ قال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين اغنى عنهم
فاخرجت الى المدينة فقلت دار هجرتي واصحابي فاخرجت
الى ما ترى !!

هذه امثلة من استنكار المسلمين لهذا المنفى الفظيع الذي كنا ننفس
بمقام الخلافة ان ترتكبه مع اقل المسلمين فضلا عن ابي ذر الصحابي
الجليل ، فلم ترع فيه حرمة الاسلام ، ولا مكانته من رسول الله
« ص » ، ولا سنه ولا شيخوخته ولا سابقته ، وقد رأيت من
قبل ان عمر قد عرف له هذه المزايا فاحقة باهل بدر بالعطاء
تشريفا لقدره واعلاء لمكانته .

وعلى كل حال فقد اخرج ابو ذر متعتعا ملهوزاً
بالعصا» وامر عثمان مناديه ان ينادي في الناس «بان لا يكلم احد
ابا ذر ولا يشيعه احد ، وامر مروان بن الحكم ان يخرج به »
فتحمامه الناس ولم يودعه إلا امير المؤمنين علي (ع) وحسن
وحسين وعقيل وعمار خرجوا معه يشيعونه ، فلما بصر بهم ابو ذر
حن اليهم وبكى وقال : « بابي وجوه اذا رأيتها ذكرت بها
رسول الله (ص) وشملتني البركة برؤيتها ، ثم رفع يديه الى
السماء وقال اللهم اني احبهم ، ولو قطعت ارباً ارباً في محبتهم
مازلت عنها ابتغاء وجهك والدار الآخرة »

رحمك الله يا ابا ذر ، ان هذه الوجوه هي سبيلك الى الله كما
هي السبب في نفيك من بلد الى بلد

خرج علي وحسن وحسين وعقيل وعمار وجعل الحسن يكلم
ابا ذر ، فقال مروان بن الحكم :

« ايها يا حسن ألا تعلم ان امير المؤمنين نهى عن كلام هذا
الرجل ؟ فان كنت لا تعلم فاعلم ذلك » فحمل علي (ع) على
مروان فضرب بالسوط بين اذني راحلته وقال :

« تمنح لحاك الله الى النار »

فرجع مروان مغضباً الى عثمان ، فاتخبره الخبر فتلظى غضباً
على علي

ووقف ابو ذر فودعه القوم وكان معه ذكوان مولى ام هاني

بنت ابي طالب قال ذكوان : وحفظت كلام القوم = وكان حافظاً = وكان علي عليه السلام اول من تقدم من جماعته لتوديعه فقال : « يا ابا ذر انك غضبت لله ، ان القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فاترك في ايدهم ما خافوك عليه ، واهرب منهم بما خفتهم عليه ، فما احوجهم الى ما منعهم واغناك ، عما منعوك وستعلم من الرابع غداً ، والأكثر حسداً ، ولو ان السموات والارضين كانتا على عبد ارتقا ثم اتقى الله ليجعل الله له منها خرجاً ، يا ابا ذر لا يأنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل » ثم تقدم عقيل وقال

ما عسى ان نقول يا ابا ذر ، انت تعلم اننا نجيبك ، وانك تجبنا فاتق الله فان التقوى نجاه ، واهبر فان الصبر كرم . واعلم ان استتقائك الصبر من الجزع ، واستبطائك العافية من اليأس فدع اليأس والجزع ،

ثم تقدم الحسن (ع) فقال :

يا عماء لولاه لا ينبغي للمودع ان يسكت ، وللمشيع ان ينصرف لقصر الكلام وان طال الاسف ، وقد اتى القوم اليك ما ترى ، فضع عنك الدنيا بتذكر فراقها ، وشدة ما اشتد منها ، برجاء ما بعدها : واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنك راض .

ثم تقدم الحسين « ع » وقال :
 « يا عماء ان الله قادر ان يغير ما قد ترى ، والله كل يوم في
 شان ، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك ، فما اغناك
 عما منعوك واحوجهم الى ما منعتهم ، فاسأل الله الصبر والنصر
 واستعذبه من الجشع والجزع ، فان الصبر من الدين والكرم ،
 وان الجشع لا يقدم رزقا والجزع لا يؤخر اجلا »
 ثم تقدم عمار وقال :

- لا انس الله من اوحشك ، ولا آمن من اخافك ، اما والله
 لو اردت دنياهم لأمنوك ، ولو رضيت اعمالهم لأحبوك ، وما
 منع الناس ان يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا والجزع من الموت
 ومالوا الى سلطان جماعتهم ، والمملك لمن غلب فوهبوا لهم دينهم
 ومنحهم القوم دنياهم فخسروا الدنيا والآخرة ، الا ذلك هو
 الخسران المبين »

هذه هي الكلمات التي نثرها أئمة الهدى وعظماء من الصحابة
 على ابي ذر العظيم في الساعة الاخيرة وهو متجه الى منفاه الوضيع
 او بالاحرى الى مقره الاخير ، وهي ترمز الى المبدأ الذي ثبت
 عليه هذا البطل الجريء ، وكافح في سبيله طوال حياته غير
 هياب ولا وجل لاتأخذه في ذلك لومه لائم ، حتى ذهب
 ضحية غالية في سبيله

بكى ابو ذر لما ودعوه وحن وقال :

رحمكم الله يا اهل بيت الرحمة ، اذا رأيتمكم ذكرت بكم
رسول الله (ص) مالي بالمدينة سكن ولأشجن غيركم ،
اني ثقلت على عثمان بالحجاز ، كما ثقلت على معاوية بالشام ،
وكره ان اجاور اخاه وابن خاله بالمصريين ، فافسد الناس عليهم ،
فسيرني الى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله وما اريد إلا الله تعالى
وما خشى مع الله وحشة»

لك الله يا اباذر ، ان في هذه الدموع الحارراتي تسكبها في
هذه البقعة المباركة من الارض صوتاً انسانياً مدوياً ، صعد فتعالى
في الصعود ، وارتفع فأمعن في الارتفاع ، وجالجل في الاجواء
فكان رعدة قاصفة . زعزعت الملك الاموي ، وطاف في
الفضاء في طوله وعرضه ، واخترق الاسماع ، فسمعت الاجيال
جيلاً بعد جيل ، وامة بعد امة

لك الخير يا اباذر ، دموع مالحة ارقتها فانبتت الزهر الاريح
فقطر الارجاء ، وهي في حقيقتها احتجاج صارخ تقرؤه الاجيال
جيلاً بعد جيل ، وقد لا يفهمه الجميع ولكن يجب ان يفهمه
الجميع ، لو ساروا على المنطق المعقول ، ورجعوا الى المقاييس
الصحيحة ،

وعلى كل حال فان وفاء ابي ذر لمذهبه ، وعقيدته ورأيه في
اهل الحق وفي خصومهم : ليست مغامرة من المغامرات

السياسة ، ولا وسيلة متوسل الى التهويش والتهريج ولكن ذلك
منه ثبات علي الايمان الصحيح ، يؤمن به اتم الايمان
ولعله في سبيل عقيدته سمان عنده الموت او النفي
او الحياة فهو لا يبالي بما يقع عليه من ذلك وكلمة واحدة في
هذه الساعة تعطينا صورة صادقة عن مبلغ ايمانه بالحق وقوة
عقيدته وهى : « . . ما اريد إلا الله صاحباً وما اخشى مع
الله وحشة »

ولا حرج على ابي ذر في هذه المداورة ، ولا حرج عليه من
هذا العنت والجهد ، بعد ان كان في قلبه الطاهر من العقيدة والايمان
بالحق والثبات على المبدأ ما يعينه على هذا الحرمان
واذن سر في طريقك ايها القلب العامر بالايمان ، لا الى الرتبة
ذلك المنفى الوضيع بل الى الله تعالى ، الى الخلود الى العظمة ،
الى جلال الحق والى ضمير هذا الوجود ، الى قلب الانسانية
العامرة بالايمان ، ومن هناك يرتفع صوتك مدوياً يسير مع
الشمس والقمر وتسمعه الاجيال ، سر الى القمة العالية من المجد
المرموق ، وجدير بمن بلغ القمة ان يكون مرمق الابصار ومطمح
الانظار ، ومنية النفوس ، وجدير بابي ذر ان يرتفع بنفسه عن
مستوي هذا الانسان الى مستوى من نور تجسد في انسان فكان
ابا ذر

ولا ارى عليك حرجاً ايها الصحابي العظيم في هذا النفي الوضيع
فانك مع الله ، وانك الحديث الشهي الشيق لهذه الاجيال ، وانك
النور الساطع في جو السماء ، والكلمة الخالدة في فم الدهر ،
والانسانية الكاملة في تاريخ الانسان
وانك لم تكن ثائراً ولكنك مصلح وطالب اصلاح ، ولست مغامراً
لتقاس حركتك بمقياس المغامرين ، ولا مصافقاً ليكون مقياسها
ميزان المصافقين

نعم انت مصلح تطلب الاصلاح ، وزاهد تدعوا الى الزهد ،
واخلاقي تنشر مكارم الاخلاق وفي كل ذلك تطبق مناهج رسول
الله (ص)

وليعلم ان روحك لم تدفن مع جسدك في تلك الفلاة ولكنها
لانتزال تسير في سماء الخلود الى جانب صوتك الممدوي فتسمعه
الاجيال جيلاً بعد جيل
فعليك السلام حياً وميتاً وعلى روحك الطيب وجسدك الطاهر
ومبدئك القويم

• دفاع

شاء المنطق الحاسر ان يوجه حملة عنيفة هوجاء على ابي ذر الزاهد
الورع وصلت الى حد الجرأة في القول والتطرف في العقيدة بشخصية
هي ابرز ما تكون بين اصحاب النبي (ص) فقالوا : انه كان

اشتراكيًا مزدكيًا اخذها عن عبد الله ابن سبأ وقالوا في عبد الله انه كان يهوديًا من صنعاء ، ودخل في الاسلام على عهد عثمان ، وكان دساسًا خطيرًا حاك نسيجًا من المبادي الفاسدة ، وابتدع قضايا دسها بين المسلمين اذ كت فيهم روح الثورة ، وكان ابو ذر اول من تأثر بعقيدته واعتنق مبادئه في الناحية المالية فقط وانك تحس ، وانت تقرأ هذا قوة الهجوم على ابي ذر وشدة الاعتداء عليه ، والطعنة القاتلة والضربة القاسية ، وتحس بالعترة التي لا تقال والزلة التي لا تغتفر

ومن الاجرام البليغ ان ينظر الى هذه الشخصية العظيمة من غير طريقها السوى ، ومن الاجرام ان يصورها للاجيال شخصية تأثرة متمردة على الدين من الناحية المالية ، ويحزننا ان تأخذ الناشئة عنه هذه الصورة المقتونة بمذهب مزدك ، وكأن الامويين انما يطاردونه لانه يريد ان يطبق نظريه مزدك الاشتراكية باسم الاسلام ، ويجعلها مادة قانونية في الدين الاسلامي ، فيكون له طابعه الاشتراكي الذي لا يوافق عليه احد من المسلمين ، ولا يشاركه فيه احد من اصحاب النبي (ص)

ولا شك بان هذا الرأي وهذه العقيدة في ابي ذر يرجعان في تكوينيهما الى مؤثرات العصر والبيئة الذي تكونا فيه ، ولا يرجعان الى الحقيقة الخالصة ، بل ولا يتصلان بها بنحو من الاتصال ، فان ابا ذر من بناء الهيكل الاسلامي : ومن السابقين

الذين جاهدوا في سبيل انتشاره ، ومن يظن ان ابن سبأ - الخرافي - يستطيع ان يفتن ابا ذر عن دينه ، ويسلك به طريقاً وعراً الى اشتراكية هدامة ، ويقوده الى فتنة عمياء ضد الدين ؟ !
ويدور الدولاب وتمر الايام مسرعة فاذا بابي ذر الزاهد الورع الذي يحبه رسول الله تنتهي به قافلة الحياة الى هذا المصير المخدول الشاذ كما يزعمون

شوهة بوهة لهذا المنطق الخاسر ، والتفكير المضطرب والرأي المتورد على الحقيقة ، شوهة بوهة لتجربة الضمائر كيف اباحوا لافراهم ان يملؤها بهذه الكلمة النكراء ، فيقولون « انه كان اشتراكياً مزدكياً » ؟ ! ! أليس معنى هذا انه كان اشتراكياً اباحياً ؟ ! لان من رأي مزدك ان الاموال لا تجرن عليها احكام الملكية الخاصة ، وانها مشتركة بين سائر افراد الشعب اي لا ملكية خاصة ، واذن لا ارث ولا مورث - بفتح الواو - وهذا ما تطبقه الشيوعية الحمراء ، في جمهورية الاتحاد السوفياتي تطبيقاً كاملاً فالروسي السوفياتي اليوم لا يملك سوي ملابس وفرش بيته واذن فابو ذر - بنظر هؤلاء - اشتراكى شيوعى !!

واذا كان لا يزال بين كتبه العصر الحاضر من هو مثقل الكاهل بالأراء التقليدية البالية ، ويدافع عنها بما اوتيته من علم وقوة ، واذا كان

لا يزال فيهم من لا يحس بالمسؤولية امام الله وامام الناس وامام الحقيقة ، واذا كان لا يزال فيهم من يحمل روحا خطيرة من الاستهتار بالحقائق وينحدرون بآرائهم واقلامهم الى حد الشذوذ والتطرف في العقيدة ، ويسفرون الى حد الشطط في القول ، فاقبل ما يتحتم علينا ان نسجل عليهم هذه الخساسة في طباعهم وهذا الشطط في آرائهم ، وان نسجل عليهم هذا الرأي المزرى وليسمح لنا الناس اذا ما سجلنا عليهم هذا الافك المعيب والتفكير الفج ، وليسمح لنا الناس اذا ما عاملناهم معاملة الخائنين للحقيقة وازدريناهم وازدرينا آراءهم واحقرنا ضمايرهم ، فأنهم لا ضمائر لهم ، ولا قلوب يعقلون بها

وما كنت احسب ان بين حملة الاقلام في مصر وغيرها من الجمهور من يدافع عن الامويين دفاعا يبلغ به الى اتهام ابي ذر بالأشتركية المزدكية ، فيكون جريئاً في منطقه متطرفاً في عقيدته ، وعرفنا ذلك للشام وللشاميين ، وليس في بنى امية من يستحق - اذا استثنينا عمر بن عبد العزيز - هذا الدفاع وهذا الاسفاف ، واما عثمان فالكل يعلم انه كان ضعيفاً امام مروان لا يملك من امر الخلافة شيئاً ، وهذا التاريخ بيننا وهو اكبر شاهد

انا لا اريد التبسط في الحديث عن الاشتركية المزدكية ومبادئها وفي مصيرها وعاقبة امرها ، وفي نتائجها السيئة على الانسانية ، والذي

يهمني الآن ان اقله : ما الذي حملهم ان يقولوا انه كان اشتراكيا مزدكيا - وهم لا يرضون لأنفسهم هذا المبدأ - ؟ ولم لا يقول انه كان اشتراكيا اسلاميا - ان صح التعبير - أليس في المباديء الاسلامية ما يغني اباذر عن الدعوة الى هذه الاشتراكية الهدامة ، ويكفل للامم - اذا ما طبقوها تطبيقا صحيحا كاملا - حياة هادئة ناعمة في ظل الملكية الخاصة

نظم الاسلام عادلة لا تفريط فيها ولا افراط وهي تجمع بين حقوق الناس في ملكيتهم الخاصة وتحفظ للفقير نصيبه في مال الغنى بما فرضه الله تعالى على الاغنياء من الزكاة في رؤس اموالهم ووجب عليهم ادائها للفقراء ، يعطون منها كل بمقدار ما يكفيه ففرض في النقيدين الذهب والفضة زكاة ، وفرض في الغلظة الاربع : الخنطة والشعير والتمر والزبيب زكاة ، وفرض في الانعام البقر والأباعر والغنم والماعز زكاة ، هذا الى ما اوجبه من فطرة الصائم والكفارات في موارد الخاصة وما حث عليه من الصدقات في مختلف الموارد والمقتضيات وفرض للهاشيمين الخمس مما يغنمه المسلمون في الحرب والتجارة وفيما يستخرجونه من كنوز الأرض

حقاً ان محمداً (ص) كان رسول السلام للعالم باجمعه ، تكفل دينه بالسعادتين الدنيوية والأخروية لو طبق تطبيقاً صحيحاً كما كان يطبقه رسول الله أفلم يكن في النظام الاسلامي الصحيح

ما يعنى ابا ذر عن الدعوة الى اشتراكية هادمة للنظام الاجتماعي ولا تتفق مع الدين الاسلامي كأشراكية مزدك ؟ !
ولو ان هؤلاء القوانظرة على الماضي الغابر عندما ابتداء الاستبداد الاموي : وويتزعزع بشكل مخيف يهدد سماحة الاسلام ويهدد الاسلام نفسه ، ولو انهم فكروا في الاسباب التي حملت ابا ذر على هذه الحركة العنيفة ضد الامويين ، وارجعوها الى مسبباتها لعلوا يقينا ان ابا ذر لم يكن اشتراكيا ، وانما كان مسلماً فقط ، يدعو الى ما كان يدعو اليه رسول الله (ص) وايضا كان من الحسن ان يقارنوا بين عهد ابي ذر في خلافة ابي بكر وعمر ، وبين عهده في خلافة عثمان ، ومتى امكن معرفة العهدين بصورة واضحة جلية وتوصلوا الى معرفة ابي ذر الهادي ، الوديع في خلافة العمرين ، والى ابي ذر الشائر في خلافة عثمان وتمينوا اغراضه ومراميه وتبينوا استهتار الامويين لكان من السهل عليهم ان يفهموا ان ابن سبأ لا يمكنه ان يؤثر على ابي ذر ويفتنه عن دينه ، ولعلوا انه انما كان يدافع عن المبادئ ، التي ضرب رسول الله (ص) عليها الرقاب وهي في العهد الاموي تحتضر سائرة في طريقها الى الموت

☆☆☆

ليس غرضنا في هذا المبحث بيان الوضع الاموي في كل اتجاهاته في ادواره المختلفة ، وكذلك ليس من غرضنا ان نتناول مقاصد

الامويين باسهاب ، وانما نقصد الى بيان السبب الحقيقي الذي
دعى اباذر الى هذه الثورة الجائعة ، وفي اعتقادنا ان كل انسان
يعرف معنى النظم الاسلامية معرفة صحيحة ، ولم تتسرب اليه
روح الاستبداد يعرف ان ثورة ابي ذر على الامويين كان
لا بد منها لئلا تتمرد فيه يكون من العسير مقاومتها فيما بعد ، وليفهم
اولئك الذين هم في اقصى حدود البلاد الاسلامية ان الاسلام سواسي
لا يقر الاستبداد ، وان الخليفة راع رعية يفسر لهم احكام دينهم
ويحفظ ثغورهم ، واما من ناحية فيء المسلمين وخراج بلادهم
فهو ملك لعامة المسلمين ، ولا فرق بين ابيضهم وبين اسودهم
وبين الحاكم والرعية ، فهم فيه على السواء ، وعقيدتي ان ثورة
ابي ذر كانت باكورة الاعمال التي تفسر مقدار تصرفات خلفاء
المسلمين يحدثنا المؤرخون : انه لما انتهى امر الشورى واستقر
الامر لعثمان اوطأ بني امية رقاب الناس ، واطلق لهم التصرف
في سياسة الامور العامة ، واطلق يدهم في اموال المسلمين ، واقطع
واعطى وتزيد من العطاء ، وتزيد هؤلاء من خزن الاموال واقتناء
الضياع والقصور والخدم والاماء كل ذلك من فيء المسلمين ،
فمعاوية احتبس خراج الشام لنفسه وللامويين ومن والهم ،
فدوت الاصواب وارتفعت الاحتجاجات وزيد ابن ثابت القي
مفاتيح بيت المال وبكى ، بيد ان صوت ابي ذر كان اعلاها
واشدها ، فلهؤلاء المعتدين على فيء المسلمين يدخرونه

في خزائنهم ولعائول وانصاره الذين كان يعج بهم البلاط الاموى في الشام كان يقرأ ابو ذر قوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب اليم » لا للاغنياء الذين كانوا يكسبون الاموال بكديهم ، وان هؤلاء كانوا موجودين قبل ان يتولى الخلافة عثمان وكان يراهم وسمع بهم ولم يهاجمهم

ان دنيا الفتوح في عهد عمر (ض) انتجت ثروة عظيمة للمسلمين وغيّرت اتجاههم في المعيشة ، وان الواقف على الدراسات التي غنت بالفتوح الاسلامية يعلم ان الانتاج المالي بلغ ذروته العليا في عهد عمر ، وان الاموال كانت ترد على المسلمين بنحو يسمح لعمر ان يضعها في المسجد اذ لا يسعها بيت المال ، وتسمح له ان يقول = عندما اراد توزيعها = نكيلها كيلا او نعهدها عدأ ، وان هذه الاموال كانت سبباً لتسرب الثروة العظيمة الى خزائن جماعة من المسلمين ، امثال طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف واطراهم ، ولم نر ولم نسمع ان ابا ذر انكر على احد ، او دعى احداً منهم او من الاغنياء غيرهم الى التنازل عن ثروته ، ولماذا اذا كان اشتراكيا مزدكيا ؟

ولعل انصار الامويين يقولون : انه لم يكن بعد قد اتصل بابن سبأ وقتنه عن دينه ، ولم يكن يعرف اشتراكية مزدك الهدامة وهنا موضع التساؤل لانا في صدد التحدث عن رجل عظيم ،

مؤمناً باسلامه نتساءل ، اين اجتمع ابو ذر باين سبأ الدساس الحبيث ؟ وطبعاً سيقولون انه اجتمع به في الشام ، وفيها اخذ عنه مبدأ الاشتراكية الهدامة ، وعلى ضوء هذا الجواب نقول كل احد يعلم ، وهذ التاريخ يصرح ، بان ابا ذر ثار في المدينة وندد بسياسة عثمان المالية وانتقده ، وقرأ في الشوارع قوله تعالى «والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعبذاب اليم» ولم يكن احد قد سمع باين سبأ ، ولعل ابن سبأ لم يكن مخلوقاً فاني - اظن ان السياسة خلقتها - فعمن اخذ هذا المبدأ الاشتراكي الهدام ؟ ؟ ومن هنا يتضح لنا تهافت اقوال هؤلاء الانصار وقيمة ارائهم

ويتضح ايضا ان امست المسألة اشتراكية ولا هي مزدكية وانما الحقيقة : اسلام وجاهلية يتنازعان في العهد الاموي ، استبداد ونظام يتصارعان ، حق وباطل يتخاصمان ، انسانية كاملة وانسانية متمردة يتغالبان ، اموية تتأثر لشيبة وعتبة والوليد من ابي ذر وامثاله من الذين آمنوا واتبعوا سيرة محمد (ص) ومن يجهل ان ابا ذر كان من ارفعهم صوتا

وجماع القول ان هذه الثورة من ابي ذر لم تكن دعوة الى الاشتراكية و ابو ذر لا يفتن عن دينه وهو ابعدها ليكون عن هذه الاشتراكية الهدامة للنظام الاسلامي الذي جاء به محمد «ص» ، وانما هي ثورة الحق على الباطل ، والاسلام على الجاهلية

لاشيعوية في الاسلام

تحت هذ العنوان اصدرت لجنة الفتوى في الازهر فتوى
مجانبة للحق جاء فيها مانصه « . . . وذهب ابو ذر الغفاري (ض)
على انه يجب على كل شخص ان يدفع ما فضل من حاجته
من اى مال مجموع عنده في سبيل الله - اى في البر والخير - وانه
يحرم ادخار ما زاد عن حاجته ونفقة عياله ، هذا هو مذهب
ابى ذر ، ولا يعلم ان احداً من الصحابة وافقه عليه ، وقد تكفل
كثيراً من علماء المسلمين برد مذهبهم ، وتصويب مذهب اليه جمهور
الصحابة والتابعين ، بما لا مجال للشك معه في ان ابا ذر «ض»
مخطىء في هذا الرأى ، والحق ان هذا مذهب غريب من صحابي
جليل كأبى ذر ، وذلك لبعده عن مبادئ الاسلام ، وعمما
هو الحق الظاهر الواضح ، ولذلك استنكره الناس في زمنه
واستغربوه » (١)

نعم لاشيعوية في الاسلام ، بل لاشيعوية في سائر الاديان
السماوية ، لأن الشيعوية تعني انكار الدين والكفر بالله وتعني
ايضا انكار التملك والتوارث ، فمن ايها ابو ذر ؟ ؟ !
شوهة بوهة لهؤلاء المفتين المتزلفين ، وما احوج هؤلاء الى
عصا ابى ذر التى كان يرفعها على كعب الاحبار تلهب ظهورهم
وتدمي رؤوسهم

(١) هذه الفتوى صدرت بعد صدور الطبعة الاولى من هذا الكتاب

واين كانت هذه التهمة خبيثة على عهد ابي بكر وعمر ؟ ولقد كان الاغنياء كثيرون ، ولم يرمه احد بالشيوعية او بالتطرف ولم ينسب اليه ذلك إلا في العهد الاموي !!

وابو ذر يقول لعثمان : « اتبع سنة صاحبك لا يكن لاحد عليك كلام فقال له عثمان : مالك وذلك لا ام لك ؟ !

او لم يكن من الالهم لهذه اللجنة ان تتقي الله ، وتتنزه عن الانسيات مع العاطفة ، ولا تخضع للايحاء النفسي وكذلك كان الواجب على هذه اللجنة ان تستوحي الخطوط الكبرى لهذه الفتوى من روح الاسلام الصحيح ونصوصه ، وسيرة النبي « ص » والشيوخ ابي بكر وعمر ، قبل تأخذهم العاطفة على عثمان واعمال عماله الذين يحيطون به ، ولا يخضعون للعاطفة ، فان تطبيق النصوص يرمي الى الاحتفاظ بقوة الدين وغناه

ولكن اين قوة الايمان التي تتغلب على العاطفة ؟ ! وان اول نتائج هذه الفتوى الطعن في شخصيه من اكبر الشخصيات الاسلامية . ولا شك بانها مجازية للحق والعقل والواقع من ايمان ابي ذر . ولا بأس على ابي ذر منها فانها لا تستر نوره المشع في الافاق ، ولا تعترض صوته الاصلاحى المجلجل في الاسماع واحسب انها ادلت على شيء فانما تدل على عمق فساد الحكم

في العهد الاموي وتآمرهم على النظام المالي العادل في الاسلام
ذلك ان الناظر اليها لا يد ان يرجع الى التاريخ من حياة ابي
ذر المشرقة ثم يخرج من تاريخ حياته ليضع اصحاب الفتيا موضع
اقهام ، وليقول انها فتوى متزلفة وليست فقه اسلامياً . ومن
هنا لا يريد ان اتكلف الرد عليها لانها لا تستحق النقاش العلمي
ولأن زبدة هذه الصفحات التي مرت على القارىء تكشف عن
حياة ابي ذر كما تكشف عن نفاق هذه الفتوى ، وانها منبعثة عن
فزع عاطفية

في الربذة

يحز في نفسى الم شديد حينما نقف مع ابي ذر في الربذة هذا
المنفى الوضيع ، وليست هي المنفى الوحيد الذي يمكن ان ينفى
اليه ابو ذر العظيم ، لولا ان الخلافة ابت عليه كل منفى غير الربذة
وكان المقصود ابعاده عن الناس جميعاً كيلا يرتفع له صوت ، ولا
يسمع له صوت في ساحة هذه الحياة ، وبعبارة ادق ان ابا ذر
ثائر ضدهم ، فلا عهد له عندهم ولا ذمة ، واحسن الاجراءات التي
تتخذ ان ينفى الى مكان يفتقرش الارض ، ويلتحف السماء ، وياكل
من حشائش الارض ، ولا يراه احد وهكذا كان

ونحن نوءد للامويين انهم اخطأوا في هذا التشريع القاسي
والعله لم يرجع عليهم بخير ، فأنهم وان حاربوا ابا ذر ، فان صوته

ارتفع يدوي ويجلجل في اذن الدهر يحمله الى الاجيال ليثير السخط
وان ظنوا انهم نفوه الى الربذة القاحلة من كل شيء ليموت
هناك ويدفن هناك ، ولكن الحقيقة انهم نفوه الى قلوب
الناس جميعاً ، ولم يدفن في الربذة وانما دفن في القلوب ، فهو في
قلب هذا الوجود وفي ضمير الانسانية وعلى لسان كل مؤمن
على انهم لم يتمكنوا ان يقفوا في وجه صوته ، ولم يستطيعوا
ان ينفوا هذا الصوت الداوي ، ولم يدفنه معه ، فان نفه الى
الربذة احتجاج صارخ ، وقبره على قارعة الطريق احتجاج
آخر يقرؤه كل من مر عليه الى آخر الدهر ، وهو خطبة خرساء
بليغة تثير السخط وتستنزف الدمعة

قد يطول البحث لو اردنا ان نستقصي الاثار التي ترتبت على
هذا النفي في مختلف الظروف ، و اردنا ان نبين سوء هذه السياسة ، على
انه ليس هنا موضع هذا الحديث ، وجماع القول فيها انها كانت
سياسة خاطئة اثارت السخط ، وسببت النقمة ، وقادت الفتنة
ومها يكن من شيء فقد نزل ابو ذر الربذة ومعه زوجته او
ابنته وقيل كلاهما ، والربذة على ثلاثة اميال من المدينة
قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز اذا رحلت من فيد تريد
مكة

وحيث وصلنا مع ابي ذر الى هنا فقد انتهينا الى الفصل الاخير
من حياته المحفوف بالماكاره ، وكنت اود قبل ان اودع القارئ ان

أعطيه صورة عن الربذة هذا المنفى الذي سيق اليه عظيم من عظماء المسلمين و شخصية بارزة من اصحاب النبي (ص) ، و كل اعتقادي ان هذا كان من السهل الممكن ، و لا يستغرب القاري اذا قلت له اني كنت اخدع نفسي ، و خدعته ايضا فإنا على شدة ما عنيما و قلبنا صفحات التاريخ و معاجم البلدان باحثين عن الربذة لنعرف اى بلد هى من بلاد الحجاز ، و مقدار اهميتها فلم نعثر على شيء ، و لعله انما ذكرها صاحب كتاب « معجم البلدان » و صاحب كتاب « مراصد الاطلاع » لأن فيها قبر ابي ذر و يلوح لنا انها موضع قريب من المدينة ، و يلوح لنا ايضا انها جرداء لا شجر فيها يظلل من الشمس او يجلب الهواء و يلطفه غير شجرة ، و ان حدثونا انها قرية من قرى المدينة او حدثونا عن ابنته انها قالت : دخل قوم من اهل الربذة على والدي فقالوا له :

يا ابا ذر ما تشكى ؟

قال : دنوبي

قالوا : ما تشتهى ؟

قال : رحمة ربي

قالوا : هل لك بطبيب ؟

قال : الطبيب امرضني

وهنا موضع التساؤل اذا كانت الربذة بلداً اهلاً بالسكان كما يقولون : وودوا ابا ذر ، فما معنى هذا الاضطراب والارتباك منها والحيرة في امر تجهيزه ودفنه ؟ وما معنى قول النبي (ص) يسعد به قوم من اهل العراق ؟ ألم يكن اهل الربذة مسلمين يعرفون عظمة ابي ذر ، ومكانته من المسلمين ، ومكانته من رسول الله ؟ !

ولقد حدثونا بما ينافي ذلك فقالوا : بعد ان اقام ابو ذر مدة في الربذة جاء الى المدينة ودخل على عثمان والناس عنده على سباطين فقال يا امير المؤمنين انك اخرجتني من ارضي الى ارض ليس بها زرع ولا ضرع إلا شويهاة ، وليس لي خادم الا محرره ، ولا ظل يظلني الا ظل شجرة ، فأعطني خادماً وغنيمة أعيش فيها ، فحول وجهه عنه ، فتحول الى السباط الاخر فقال مثل ذلك ، فقال له جبيب بن سلمة لك عندي يا ابا ذر الف درهم وخادم وخسماية شاة ، فقال ، ابو ذر : اعط خادمك والفك وشويهاة من هو احوج الى ذلك مني ، فاني انما اسأل حقى في كتاب الله

وحدثونا ايضا انه لما سيره عثمان الى الربذة كان له غنيمة يعيش هو وعياله منها ، فاصابها داء النقب فماتت كلها فاصاب ابا ذر وابنته الجوع ، وماتت اهلكه (١) ، قالت ابنته واصابها

الجوع وبقينا ثلاثة ايام لم نأكل شيئاً ، فقال يابنيه قومي بنا الى الرمل نطلب العنب وهو - نبت له حب - فصرنا الى الرمل فلم نجد شيئاً

وهذه الروايات تكاد تنطق عن واقع الامر ، والمتتبع يكاد يهس الحقيقة مكشوفة لا يسترها اى ستر فان منطقتها لا يكاد يخفيه شيء

ولقد علمنا من قبل انه لم يكن عند ابي ذر سلاح يقاوم به ، وليس لديه سوى لسانه الذي بين فكيه ، وهو سلاحه الوحيد والامويون انما يخافون هذا اللسان ، ويخافون تلك القذائف التي تنطلق من هذا اللسان الصلت ، ويخافون تنمره في الحق ، فلا ينفوه الى بلديها قوم لهم سمع وبصر ، والسياسة لا تجيز لأى عالم يحترم فهمه وعلمه ان ينكر ذلك ، ويبدأ اعلى ذلك قول رسول الله (ص) «تموت في فلاة من الارض» وقوله (ص) «توت وحدك ويسعد بك قوم من اهل العراق يتولون غسلك وتجهيزك ودفنك والصلاة عليك»

وهذه الرواية تكشف عن واقع الامر ، وتدفع غلو المغالين بحب الامويين فان كانوا يحتاجون الى اكثر من ذلك فأولئك قد ران على قلوبهم فهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ولا تفكلم معهم باكثر من هذا

وهكذا كان فقد اقام في الربذة لا يرى احداً من الناس

سوى المارة على الطريق ، ولا ملجأ له سوى شجرة يستظل بها
ولا شيء يقوته إلا شوهيات جاءها المرض جميعها لما أراد الله سبحانه
ان يقبضه اليه فجاء هو واهله وفاجأه مرض الموت

المنية

في سنة اثنتين وثلاثين او احدى وثلاثين ، في فلاة من الارض
عظيم من عظماء المسلمين ومجاهد آمن السابقين الاولين مطروح على
الارض يجود بنفسه يعالج سكرة الموت ، وليس عنده احدى تولى شأنه
غير زوجة قد الح بها السن ، واحد ودب ظهرها من الهم ، لا تقدر
ان تسعفه بشيء ، ولا تستطيع ان تقوم بتمريضه ، وامامها هذا
الزوج العظيم يحتضر وهو في الساعة الاخيرة ، فبكت فادار
بوجهه اليها وحق ببصره فيها ، كأنه يستكشف ما يجول في
خاطرهما من اسى مرير ووحدة قاسية فقال لها

ما يبكيك ؟ ؟

- مالي لا ابكى ؟ وانت تموت في فلاة من الارض ، وليس
عندي ثوب يسمعك كفناً ولا بد من القيام بجهازك
- لا تبكى اني سمعت رسول الله (ص) يقول لنفر ان افهم
ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من
المؤمنين ، وليس من اولئك النفر احد إلا وقدمات في قرية
او بين جماعة ، ولم يبق غيرى ، وقد اصبحت بالفلاة اموت فاننا ذلك
الرجل ، ما كذبت ولا كذبت فابصرى الطريق ،

- انيَّ وقد ذهب الحج وانقطعت الطرق ؟

- امة الله اذهبي ابصري الطريق فان رسول (ص) قال لي :

« تعيش وحدك فيه وتموت وحدك وتبعث وحدك وتدخل الجنة وحدك ويسعد بك قوم من اهل العراق يتولون ، غسلك وتجهيزك ودفنك »

وهنا موضع لوقف الاستغراب والتعجب من هذه الزوجة ومن ارتباكها الشديد في امر زوجها ، أليس هو من عظماء المسلمين والمدينة تعج باصحاب رسول الله (ص) ، ولا تبعد عنها اكثر من ثلاثة اميال ، فلا تتجاوز مدى الصوت المرتفع وان كان السن اقعد هاعن الوصول الى المدينة فليس عليها الا ان تحب قليلا فترفع صوتها معلنة الحدث العظيم ، فيتوارد اصحاب رسول الله لتشيع جنازته ودفنه في البقيع مقبرة المسلمين ، فاي موقف ادعى للاستغراب من موقفها هذا ؟

وانا نذرع انفسنا ونسئ الى افهامنا اذا اعتبرنا هذا الارتباك منها ناشئا عن ذهول او بلاهة فلا بد ان يكون في الامر سر ونحن امام امرين اثنين اما انهم اخطأوا في تقدير المسافة بين المدينة وبين الربة فكانت اكثر من ثلاثة اميال ! !

واما ان السلطة الحاكمة التي حكمت على ابى ذر بالنفى وسلكت به هذا السبيل الوعر ، حكمت ايضا على ان لا يشيعه احد من اهل المدينة ، ولا يدفنه احد ، وغير بعيد عن الامويين

ان يقفوا من ابي ذر هذا الموقف المعادى
ومن ناحية ثانية لعلهم بهذه الاجراءات القاسية يكسرون شوكة
المعارضة التي اخرجت خطمها وعينها ، واذا ساغ للسلطة ان
تتخذ مثل هذا الاجراء وان ترى لها الحق في ذلك ، فما عسى
ان يقف امامها في بلوغ غاياتها ومن يستطيع ان يعارضها
واذا كان هذا فما الذي تستطيعه هذه المرأة البائسة المنكودة
الخط ؟ غير ان تسكب عبرتها بين يدي هذه البجثة المحتضرة
وهل تستطيع ان تأتني المدينة وتعلن نبأ وفاة هذا العظيم ؟ وان
جائت فهل يستطيع احد ان يخرج ؟
ومهما يكن من امر فان هذه البائسة كانت تشد الى الطريق
ثم ترجع الى زوجها فتمرضه ، وهكذا وبينما هي كذلك واذا
برهط على رحالهم كأنهم الرخم تخب بهم رواحلهم فاشارت اليهم
فأسرعوا حتى وقفوا عليها
يا امة الله مالك ؟

.. رجل من المسلمين يموت تكفنونه وتصلون عليه وتدفنونه
- من هو

- ابو ذر صاحب رسول الله (ص)

- فداؤه اباؤنا وامهاتنا

ثم وضعوا سياطهم في نحور رواحلهم واسرعوا اليه حتى دخلوا عليه
فقال لهم

ابشروا : سمعت رسول الله (ص) يقول لنفر انا منهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصاة من المؤمنين ، وليس من اولئك احد الا وخدمات في قرية وبين جماعه ولم يبق غيري ثم قال بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثم لفظ نفسه الاخير

وهكذا انطفأ هذا المصباح ، وخفت هذا الصوت ومات هذا البطل المجاهد

واستهل القوم بالبكاء فبكوا ما شاء الله تعالى لهم ان يبكوا وقالوا صدق رسول الله (ص) تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك

ثم جهزوه وصلوا عليه ودفنوه ومسح الاشر القبر بيده وقال اللهم هذا ابو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عبدك في العابدين وجاهد فيك المشركين ، لم يغير ولم يبدل ، ولكنه رأى منكراً فغيره بلسان وقلبه ، حتى جفي ونفي وحرم واحتقر ، ثم مات وحيداً غريباً ، اللهم فاقصم من حرمه ونفاه من مهاجره وحرم رسول الله (ص)

لست شاعراً لارثيك ، ويجب ان تكون انشودة الشاعر
لست خطيباً لا عدد صفاتك ومعانيك ، ويجب ان تكون هدف الخطيب

وان كانت صفاتك ارفع واسمى من ان يتناولها خطيب

ولكن لا بد ان اقف عند آخر فصل من فصول حياتك وانثر
كلمات بعثها الحزن عليك
رحمك الله - لقد جاهدت ما وسعك الجهاد وجادلت ما وسعك الجدال ولم
تفشل ولكنك ظفرت وفشل خصمك ، واخذت بيد الانسانية
المعذبة ورفعتها عن مستوى النزاع المادي القدر الى مستوى روحى
رفيع وثأرت للحق

سلام عليك - هذا اسمك يسجل في صفحة الظماء ، وانسانيتك
تسمو على هذه الانسانية ، وصوتك يجعل في اذان الاجيال
ويرتفع على كل صوت

سلام عليك - ان روحك التي تفيض بهذا الشعور وتندفع بهذه
الاحاسيس ، تستوقف الانسان طويلا مطأطأ الراس ، خاشع الطرف
اكباراً او اجلا لا واعظاما

وسر في طريقك ايها الانسان العظيم الى البقاء والخلود ، ونم قرير
العين فقد فزت وخسر عدوك ، وقد سموت وسقط عدوك ،
وثبت وانهمز عدوك

سلام عليك - ما اروع مواقفك ، وما اروع دلالة قبرك على
عظمتك وسموك ، ولو ان التاريخ لم ينصفك ولم يسلك في مباديك
سبيل التحقيق ولم يذهب مذهب التفكير الصحيح

سلام عليك - يا صاحب المبادي الصحيحة ، والاخلاق السامية
والفضائل العالية والفكر الثاقب

رحمك الله - ولنقف امام اخر فصل من فصول حياتك ونتدبرها
فان فيها صورة من جلال الحق وعظمة البطولة وروعة الايمان
وقدس النفس وسمو المبدأ

وبالاخير اقف لاسكب دمة حارة هي دمة الاسى المرير
والحزن العميق دمة القلب الدامي والروح المألومة والنفس
المحزونة

فسلام عليك حيا وميتا، وسلام عليك مجاهداً ومنفياً، وسلام عليك
يوم تبعث حيا

خاتمة

كنا وعدنا القاريء ان نقدم له وصية رسول الله (ص) لأبي
ذر وبراً بوعدنا نضعها بين يديه وسوف يعلم القاريء ان هذه
الوصية كانت ملء سمع أبي ذر وبصره وهي برنامج حياته

قال أبو الاسود الدؤلى: قدمت الربذة فدخلت على أبي ذر
جندب بن جنادة رضى الله عنه فحدثني ابو ذر قال: دخلت
ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله (ص) في مسجده فلم
ار في المسجد احداً من الناس إلا رسول الله وعلي الى جانبه
فاغتنمت خلوة المسجد فقلت يا رسـول الله بأبي أنت وأُمى
أوصني بوصية ينفعنى الله بها : فقال نعم واكرم بك يا اباذر
انك منا اهل البيت واني موصيك بوصية فاحفظها فانها جامعة

لطرف الخير وسبله فانك ان حفظتها كان لك بها كفل : اعبدا الله كأنك تراه فان كنت لا تراه فانه يراك ، واعلم ان اول عبادة الله المعرفة به أنه الله الاول قبل كل شيء فلا شيء قبله والفرد فلا ثاني له ، والباقي لا الى غاية فاطر السماوات والارض وما فيهما وما بينهما من شيء وهو الله اللطيف الخبير ، وهو على كل شيء قدير ، ثم الأيمان به والاقرار بان الله تعالى ارسلني الى كافة البشر بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، ثم حب اهل بيتي الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا

واعلم ان الله عز وجل جعل اهل بيتي في امتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن رغب عنها غرق ومثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله كان آمنا ، احفظ ما اوصيك به تكن سعيدا في الدنيا والآخرة . نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ . اغتتم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك واياك والتسوية باملك فانك بيومك ، ولست بما بعده فان يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم ، وان لم يكن غد لك لم تندم على ما فرطت في اليوم ، كم مستقبل يوما لا يستكمل ، ومنتظر غدا لا يبلغه ، لو نظرت الى الاجل ومصيره لا بغضت الامل وغروره ، كن كأنك في الدنيا كعابر

سبيل ، وعد نفسك من اصحاب القبور • اذا أصبحت فلان تحدث نفسك بالمشا ، واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ، ومن حياتك قبل موتك ، فانك لا تدري ما اسمك غدا ، اياك ان تدر كلك الصرعة عند العشرة ، فلا تقال العشرة ولا تمكن من الرجعة ولا يحمذك من خلفت بما تركت ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به ، كن على عمرك اشح منك على درهمك ودينارك ، هل ينتظر احدكم إلا غنى مطعيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما منفذا او موتا محيرا او الدجال ، فانه شر غائب ينتظر ، او الساعة فالساعة ادهى وأمر

ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه ، ومن طلب علما ليصرف به وجوه الناس اليه لم يجد ربح الجنة ، من ابتغى العلم ليخدع به الناس لم يجد ربح الجنة ، اذا سئلت عن علم لا تعلمه فقل لا اعلمه تنج من تبعته ، ولا تفت بما لا علم لك به تنج من عذاب الله يوم القيامة ، يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون ما ادخلكم النار وقد دخلنا الجنة بفرض - تأديبكم وتعليمكم فيقولون : انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله

ان حقوق الله جل ثناؤه اعظم من ان يقوم بها العباد ، وان نعم الله اكثر من ان يصيبها العباد ، ولكن امسوا واصبحوا تائبين

انكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة ، واعمال محفوظة ،
والموت يأتي بغتة ومن يزرع خيراً يوشك ان يحصد خيراً ، ومن
يزرع شراً يوشك ان يحصد ندامة ، ولكل زراع مثل ما زرع
ولا يسبق بطيء في حظه ، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له ، ومن
اعطي خيراً فان الله اعطاه ومن وقى شراً فان الله وقاه . المتقون
سادة والعقهاء قادة ومجالسهم زيادة

ان المؤمن يرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف ان تقع عليه ،
وان الكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على انفه . ان الله تبارك
وتعالى اذا اراد بعبد خيراً جعل الذنوب بين عينيه ممثلة ، والاثم
عليه ثقيلًا وبيلًا ، واذا اراد بعبد شراً انساه ذنوبه ، لا تنظر الى
صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت ، ان نفس المؤمن اشدار تكاضاً
من الخطيئة من العصفور حين يغذف به في شره

من وافق قوله فعله فذاك الذي اصاب حظه ومن خالف قوله
فعله فانما يوبخ نفسه ، ان الرجل ليحرم رزقه بالذنوب يصيبه . دع
ما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعنك ، واخزن لسانك
كما تحزن ورقك ، ان الله جل ثناؤه ليدخل قومًا الجنة فيعطيهم
حتى يملوا ، وفوقهم قوم في الدرجات العلى ، فاذا نظروا اليهم
عرفوهم فيقولون ربنا اخواننا كما معهم في الدنيا فبهم فضلتهم
علينا ؟ فيقال : هيهات هيهات انهم كانوا يجوعون حين تشبعون
ويظلمون حين تروون ، ويقومون حين تنامون ، ويشخصون حين

تُحَفَظُونَ

جعل الله جل ثناؤه قرّة عيني في الصلاة وحبب اليّ الصلاة
كما حبب اليّ الجائع الطعام والى الظمآن الماء ، وان الجائع اذا
اكل شبع وان الظمآن اذا شرب روي وأنا لا اشبع من الصلاة .
ايما رجل تطوع في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة سوى المكتوبة
كان له حقا واجبا بيت في الجنة . مادمت في الصلاة فانك
تقرع باب الملك الجبار ، ومن يكثر قرع باب الملك يفتح له .
ما من مؤمن يقوم مصليا لا تنثر عليه البر ما بينه وبين العرش ، ووكّل
به ملك ينادي : يا ابن آدم لو تعلم ما لك في الصلاة ومن تناجي
ما انفتحت ، طوبى لاصحاب الالوية يوم القيامة يحملونها فيسبقون
الناس الى الجنة ، الا وهم السابِقون الى المساجد بالاسحار وغير الاسحار
الصلاة عماد الدين ، واللسان اكبر ، والصدقة تمحو الخطيئة واللسان اكبر
والصوم جنة النار من والجهاد نباهة واللسان اكبر ، الدرجة في الجنة
كما بين السماء والارض ، وان العبد ليرفع بصره فيلمع له نور
يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك فيقول ما هذا فيقال هذا نور اخيك ،
فيقول اخي فلان كذا نعمل جميعا في الدنيا وقد فضل عليّ هكذا فيقال له
انه كان افضل منك عملا ، ثم يجعل في قلبه الرضى حتى يرضى ، الدنيا
سجن المؤمن وجنة الكافر ، وما اصبح فيها مؤمن إلا حزينا فكيف
لا يحزن المؤمن وقد اوعده الله جل ثناؤه انه وارده جهنم ، ولم يعده
انه صادر عنها ، وليلقين امر اضاوم مصيبات وامور اتغيظه ، وليظلمن

فلا تستصيريتغى ثوابا من الله تعالى فما يزال فيها حزينا حتى يفارقها فإذا
فارقها افضى الى الراحة والكرامة . ما عبد الله عز وجل بمثل طول الحزن
من اوتي من العلم ما لا يبكيه لحقيق ان يكون قد اوتي علم
مالا ينفعه ، لان الله نعت العلماء فقال عز وجل : (ان الذين اوتوا
العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون
سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان بكون
وينبدهم خشوعاً) . من استطاع ان يبكي فليبك ، ومن
لم يستطع فليشعر قلبه بالحزن وليتبأكى ، ان القلب القاسى
بعيد من الله تعالى ولكن لا تشعرون . ما من خطيب الا عرضت
عليه خطبته يوم القيامة وما اراد بها . يقول الله تبارك وتعالى :
لا اجمع على عبدى خرفين ، ولا اجمع له امنين ، فاذا امنى
في الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافنى في الدنيا امنته يوم القيامة
لو ان رجلا كان له كعمل سبعين نبيا في الدنيا اخفته يوم القيامة .
لاحتقره وخشى ان لا ينجو من شريوم القيامة . ان العبد عليه
ذنوبه يوم القيامة فيمر بذنب من ذنوبه فيقول اما ليعرض انى كنت
مشفقا فيغفر له ، ان الرجل ليعمل الحسنة فيتكل عليها ، ويعمل
المحقرات حتى يأتى الله وهو عليه غضبان ، وان الرجل ليعمل
السيئة فيفرق منها فيأتى الله تعالى عز وجل آمنا يوم القيامة ،
ان العبد ليزن بذنبه فيدخل بذنبه ذلك الجنة ، فقلت وكيف
ذلك بأبى انت وأمي يا رسول الله ؟ قال يكون الذنب

ذلك نصب عينيه نائيا منه فارا الى الله عز وجل حتى يدخل الجنة

ان الكيمس من دان نفسه وعمل لما بعد ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل الاماني ، اول شيء يرفع من هذه الامة الامانة والخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعا ، والذي نفس محمد بيده لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة او ذباب ما سقى الكافر والفاجر منها شربة من ماء ، الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله ، وما من شيء ابغض الى الله تعالى من الدنيا ، خلقها ثم اعرض عنها ، فلم ينظر اليها ولا ينظر اليها حتى تقوم الساعة ، وما من شيء احب الى الله تعالى من ايمان به وترك ما امر بتركه . ان الله تبارك وتعالى اوحى الى اخي عيسى عليه السلام يا عيسى لا تحب الدنيا فاني لست احبها وحب الآخرة فانما هي دار القرار . ان جبرائيل اتاني بخزائن الدنيا على بغلة شهباء فقال يا محمد هذه خزائن الدنيا ولا ينقصك من حظك عند ربك فقلت يا حيي جبرائيل لا حاجة لي فيها اذا شبت شكرت ربي واذا جعت سألته

اذا اراد الله عز وجل بعبد خيرا فقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصره بعيوب نفسه ، ما زهد عبد في الدنيا الا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها ،

واخرجه منها سالماً الى دار السلام . اذا رأيت اخاك قد زهد
في الدنيا فاستمع منه فانه يلقي عليك الحكمة

فقلت يارسول من ازهد الناس ، قال من لم ينس المقابر والبلى
وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفني ، ولم يعد غدا
من ايامه وعد نفسه من الموتى ، ان الله تبارك وتعالى لم يوح الي
ان اجمع المال ، ولكن اوحى الى سبيح بحمد ربك
وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين . اني البس
الغليظ واجلس على الارض والعق اصابعي ، واركب الحمار
بغير سرج واردف حلقي ، فمن رغب عن سغتي فليس مني ،
حب المال والشرف اذهب لدين الرجل من ذئبين ضارين في
زريبة العنم ، فاغارا فيها حتى اصبحا فماذا ابقيا منها ؟

قلت يارسول الله الخائفون والخاضعون المتواضعون الذاكرون
الله كثيرون هم يسبقون الناس الى الجنة ؟ فقال لا ولكن فقراء
المسلمين فانهم يتخطون رقاب الناس فيقول لهم خزنة الجنة كما
انتم تحاسبون ، فيقولون نعم نحاسب فوالله ما ملكنا فنحجرو ونعدل
ولا افيض علينا فتقبض ونبسط ، ولكننا عبدنا ربنا حتى دعانا
فاجبنا ان الديناء مشغلة للقلوب والا يدان ، وان الله تبارك وتعالى
سائلنا عما نعمنا في حلاله فكيف بما نعمنا في حرامه ؟ اني قد
دعوت الله جل ثناؤه ان يجعل رزق من يحبني الكفاف
وان يعطيني من يبغضني كثرة المال والولد ، طوبى للزاهدين في

الدنيا الراغبين في الآخرة الذين اتخذوا أرض الله بساطا وترايبها
فراشا وماءها طيبا ، واتخذوا كتاب الله شعارا ودعاه دثارا
يقرضون الدنيا قرضا

حرث الآخرة العمل الصالح ، وحرث الدنيا المال والبنون
ان ربي اخبرني فقال : وعزتي وجلالي ما ادرك العابدون درك
البكاء ، واني لابني لهم في الرفيق الاعلى قصراً لا يشار كههم فيه احد
قال قلت يا رسول الله اي المؤمنين اكيس ؟ قال : اكثرهم
للموت ذكرا ، واكثرهم له استعدادا . اذا دخل النور
القلب انفسح القلب واستوسع ، قلت : فما
علامة ذلك بأبي انت وامى يا رسول الله قال الانابة الى دار الخلود
والتجلى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله ، اتق الله
ولا تثر الناس انك تخشى الله فيكرموك وقلبك فاجر ، ليكن لك في
كل شىء فيه حتى في النوم والاكل ، ليعظم جلال الله في صدرك
فلا تذكرة كما يذكره الجاهل عند الكلب اللهم اخزه وعند
الخنزير اللهم اخزه ان الله ملائكة قياما من خيافته ، ما رفعوا
روؤسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الآخرة ، فيقولون جميعا
سبحانك وبحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك ان تعبد ، ولو
كان لرجل عمل سبعين نبيا لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ
ولو ان دلوا صبت من غسيلين في مطلع الشمس لغلت منه جماجم

من في مغربها ، ولو زفرت جهنم زفرة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل الاخر جاذاً لركبتيه يقول : رب نفسي نفسي ، حتى ينسى ابراهيم اسحاق عليها السلام يقول : يا رب انا خليلك ابراهيم فلا تنسني . لو ان المرأة من نساء اهل الجنة اطلعت من سماء الدنيا في ليلة ظمء لاضاعت لها الارض افضل مما يضي القمر ليلة البدر ولو جد ريح نشرها جميع اهل الارض ، ولو ان ثوبا من ثياب اهل الجنة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر اليه وما حملته ابصارهم

اخفض صوتك عند الجنائز وعند القتال وعند القرآن . اذا اتبعت جنازة فليكن عقلك فيها التفكير والخشوع ، واعلم انك لاحق به

اعلم ان كل شيء اذا فسد فالملح دواؤه واذا فسد الملح فليس له دواء . (قال الشيخ هذا المثل لعلماء السوء) واعلم ان فيكم خصلتين : الضحك من غير عجب والكسل من غير سهر ، ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه . الحق ثقيل مر والباطل خفيف حلو ، ورب شهوة ساعة تورث حزنا طويلا . لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس كلهم في جنب الله تبارك وتعالى امثال الاباعر ثم يرجع الى نفسه فيكون هو احقر حاقر لها . لا تصيب حقيقة الايمان حتى ترى الناس كلهم حمقي في دينهم عقلا في دنياهم

حاسب نفسك قبل ان تحاسب فهو اهون لحسابك غداً . وزن نفسك قبل أن توزن وتجهز المعرض الاكبر يوم تعرض لاتخفى على الله خافية . استرح من الله فاني والذي نفسي بيده لأظل حين أذهب إلى الغائط متقنعا بثوبي أستحي من الملكين اللذين معي أتعب أن تدخل النجاة ؟ قلت نعم فداك أبي قال : فاقصر الامل او جعل الموت نصب عينيك ، وأستح من الله حق الحياء .

قال : قلت يارسول الله كلانا نستحي من الله ، فقال ليس كذلك الحياء ، ولكن الحياء أن لا تنسى المقابر والبلى والجوف وما وعى ، والرأس وما حوى ، ومن كرامة من أراد الآخرة فليدع زينة الدنيا ، فاذا كنت كذلك اصبت ولاية الله . يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح . مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر ، ان الله يصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده ويحفظه في ذريته والادور حوله ما دام فيهم

ان ربك عزوجل يباهي الملائكة بثلاثة نفر رجل في ارض قفر فيؤذن ثم يصلي ، فيقول ربك للملائكة ؟ انظروا الى عبدي يصلي ولا يراه أحد غيري ، فينزل سبعون الف ملك يصلون وراءه ويستغفرون له الى الغد من ذلك اليوم . ورجل قام من

الليل فصلى وحده فسجدونام وهو ساجد فيقول الله تعالى انظروا الى عبدي روحه عندي وجسده في طاعتي ساجد . ورجل في زحف يفر اصحابه وثبت وهو يقاتل حتى يقتل مامن رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الارض إلا شهدت له بها في يوم القيامة ، وما من منزل ينزله قوم إلا واصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم . ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الارض ينادي بعضها بعضا : يا جارتى هل مر بك ذاكر الله تعالى ، او عبد رضع جبهته عليك ساجداً لله ، فمن قائلة لا ومن قائلة نعم ، فاذا قالت نعم اهتزت وانشرحت وتري ان لها الفضل على جارتها . ان الله جل ثناؤه لما خلق الارض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الارض شجرة يأتيها بنو آدم إلا اصابوا منها منفعة ، فلم تزل الارض والشجر كذلك حتى تكلم فجرة بني آدم بالكلمة العظيمة قولهم اتخذ الله ولداً ، فلما قالوها اقشعرت الارض وذهب منفعة الاشجار . ان الارض لتبكي على المؤمن اذا مات اربعين صباحاً . اذا كان العبد في الارض قي - يعني قفر - فتوضأ او تيمم ثم اذن واقام وصلى امر الله عز وجل الملائكة قصفوا خلفه صفاً لا يرى طرفاه يركعون بر كوعه ويسجدون بسجوده ويؤمنون على دعائه . من اقام ولا يؤذن لم يصل معه الا ملاكاه الذان معه

ما من مؤمن شاب يدع الله الدنيا وهو هاو اهرم شبابه في طاعة الله إلا اعطاء الله اجر اثنين وسبعين صديقا . الذاك في الغافلين كالمقاتل في الفارين ، المجلس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من مجلس السوء واملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من املاء الشر . لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي ولا تأكل طعام الفاسقين اطعم طعامك من تحبه في الله وكل طعام من يحبك في الله عز وجل ان الله عند لسان كل قائل فليثق الله امرؤ وليعلم ما يقول اترك فضول الكلام وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما يسمع ما من شيء احق بطول السجن من اللسان . ان من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشبهة المسلم ، و اكرام حملة القرآن العاملين ، و اكرام السلطان المقسط ما عمل من لم يحفظ اسأله . لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما سىء خلقه

الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صدقة
من اجاب داعي الله واحسن عمارة مساجد الله كان ثوابه من
الله الجنة

فقلت بابي انت وامي يا رسول الله كيف تعمّر مساجد الله ؟
قال : لا ترفع فيها الاصوات ولا يخاض فيها بالباطل ولا
يشترى فيها ولا يباع ، و اترك اللغو ما دمت فيها ، فان لم تفعل

فلا تلومن يوم القيامة الانفسك ان الله تعالى يعطيك مادمت
جالسا في المسجد بكل نفس تتنفس فيه درجة في الجنة وتصلي
عليك الملائكة وتكتب لك بكل نفس تنفست فيه عشر حسنات
ويمحي عنك عشر سيئات . اتعلم في اي شيء انزلت هذه الآية
« اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ؟
قلت لا فداك ابي وأمي ! قال في انتظار الصلاة خلف صلاة (كذا) اسباغ
الوضوء في المكروه من الكفارات وكثرة الاختلاف الى المساجد
فذللكم الرباط . يقول الله تبارك وتعالى الي المتحابون بجلالي
المتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك اذا اردت
بأهل الارض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة
كل جالس في المسجد لغو الا ثلاثة :
قراءة مصلى او ذاكر لله او سائل عن علم
كن بالعمل بالتقوى اشد اهتماماً منك بالعمل ، فانه لا يقبل عمل
الا بالتقوى ، وكيف يقبل عمل بقول الله عز وجل انما يقبل الله
من المتقين لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد
من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من اين مطعمه ، ومن اين
مشربه ، ومن اين ملبسه ، أمن حل ذلك ام من حرام . من لم يبال
من اين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من اين ادخله النار
من اسره ان يكون اكرم الناس فليثق الله عز وجل . ان احبكم
الى الله جل ثناؤه اكثركم ذكراً له ، واكرمكم عند الله

عز وجل اتقاكم له وانجاكم من عذاب الله اشدكم له خوفا
ان المتقين الذين يتقون الله عز وجل من الشيء الذي لا يتقى
منه خوفا من الدخول في الشبهة. من اطاع الله عز وجل فقد
ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوة القرآن اصل الدين
لورع ورأسه الطاعة

كن ورعا تكن اعبد الناس وخير دينكم الورع ، فضل العلم
خير من فضل العبادة واعلم انكم لو صليتم حتى تكونوا
كالحنايا وصتمتم حتى تكونوا كاللاتار ما ينفعكم الا بورع. ان اهل
الورع والزهد في الدنيا هم اولياء الله حقا. من لم يأت يوم القيامة
بثلاث فقد خسر قلت وما الثلاث فداك ابي وامى قال : ورع
يحجبه عن ما حرم الله عز وجل عليه وحلم يرد به جهل السفية
وخلق يداري به الناس . ان سرك ان تكون اقوى الناس فاتق
الله ، وان سرك ان تكون اغنى الناس فكن بما في يد الله عز
وجل اوثق منك بما في يديك ، لو ان الناس كلهم اخذوا بهذه
الآية لكفتهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره
يقول الله جل ثناؤه وعزتي وجلالي لا يؤثر عبدي هواي على هواه
الاجعلت غناه في نفسه وهمومه في آخرته وضمنت السماوات
والارض رزقه وكففت عليه ضيعة (كذا) وكنت له من وراء
تجارة كل تاجر . لو ان ابن آدم فر من رزقه كما يفر من الموت

لا در كه رزقه كما يدر كه الموت

الا اعلمك كلمات ينفعك الله عز وجل بهن ؟ قلت بلى يا رسول
الله ! قال احفظ : الله تجده امامك تعرف الى الله في الرضاء يعرفك
في الشدة ، واذا سألت فاسأل الله عز وجل واذا استعنت فاستعن بالله
فتمد جرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة ، فلو ان الخلق كلهم
جهدوا ان ينفعوك بشىء لم يكتب لك ما قدروا عليه ، ولو
جهدوا ان يضروك بشىء لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه
فان استطعت ان تعمل لله عز وجل بالرضى واليقين فافعل ،
وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وان
النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسراً ، استغن
بغنى الله يغنىك الله ، قلت ما هو يا رسول الله ! قال غداؤ يوم
وعشاء ليلة فمن قنع بما رزقه الله فهو اغنى الناس ، ان الله عز وجل يقول :
اني لست كلام الحكيم أتقبل ولكن همه وهواه ، فان كان
همه وهواه فيما احب وارضى جعلت صمته حمداً لى ووقاراً وان
لم يتكلم . ان الله تبارك وتعالى لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم
ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ، التقوى ههنا التقوى ههنا
- واسار الى صدره . اربع لا يصيبهن الا مؤمن : الصمت وهو
ارل العبادة ، والتواضع لله سبحانه ، وذكر الله تعالى على كل
حال ، وقلة الشىء - يعنى قلة المال - هم بالحسنة وان لم تعملها
اكي لا تكتب من الغافلين

من ملك ما بين فخذه وبين لحيمه دخل الجنة، قلت : يا رسول الله انا لنؤخذ بما تنطق به الستتنا ! فقال وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم ، انك لاتزال سالماً ما سكنت فاذا تكلمت كتب لك او عليك . ان الرجل يتكلم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها فيهوي في جهنم ما بين السماء والارض . ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له من صمت نجا فعليك بالصدق ولا تخرجن من فيك كذبة ابداً قلت يا رسول الله فما توبة الرجل الذي يكذب متعمداً ؟ فقال : الاستغفار وصلاة الخمس تغسل ذلك . اياك والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ، قلت يا رسول الله ولم ذاك بأبي انت وأمي ؟ قال لان الرجل يزني فيتوب الى الله فيتوب الله عليه ، والغيبة لاتغفر حتى يغفرها صاحبها سباب المسلم فسوق وقتله كفر واكل لحمه من معاصي الله وحرمة ماله كحرمة دمه ، قلت يا رسول وما الغيبة ؟ قال ذكرك اخاك بما يكره ! قلت يا رسول الله فان كان فيه ذاك الذي يذكر به ؟ قال علم انك اذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبتته واذا ذكرته بما ليس فيه بهتة من ذب عن اخيه المسلم الغيبة كان حقاً على الله عز وجل ان يعتقه من النار . من اغتیب عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فنصره نصره الله عز وجل في الدنيا والاخرة ، فان خذله - وهو يستطيع نصره - خذله الله في الدنيا والاخرة لا يدخل الجنة قتات ، قلت وما القتات ؟ قال النمام ، صاحب النميمة لا

يسريح من عذاب الله عز وجل في الآخرة . من كان
ذا وجهين ولسانين في الدنيا فهو ذو لسانين
في النار

المجالس بالامانة وافشاء سر اخيك خيانة فجتنب ذلك واجتنب
مجلس (العشيرة) تعرض اعمال اهل الدنيا على الله من الجمعة في
يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد مؤمن الا عبداً كان بينه
وبين اخيه شحنة ، فيقال اتركوا عمل هذين حتى يصطلحا
اياك وهجران اخيك فان العمل لا يتقبل مع الهجران . أنهاك عن
الهجران وان كنت لابد فاعلا فلا تهجره ثلاثة ايام كملا فمن
مات فيها مهاجرا ل اخيه كانت النار اولى به . من احب ان يتمثل
له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار . من مات وفي قلبه
مثقال ذرة من كبر لم يجد راحة الجنة الا ان يتوب قبل ذلك . فقال
رجل : يا رسول الله اني ليعجبني الجمال حتى وددت ان علاقة
سوطى وقبال نعلي حسن فهل يرهب علي ذلك ؟ قال كيف
تجد قلبك ؟ قال اجده عارفا للحق مطمئنا اليه ، قال :
ليس ذلك بالكبر ، ولكن الكبر ان تترك الحق وتتجاوز به الى
غيره ، وتنظر الى الناس ولا ترى ان احداً عرضه كعرضك
ولا دمه كدمك ، اكثر من يدخل النار المتكبرون ، فقال رجل
وهل ينجو من الكبر احد يا رسول الله ؟ قال نعم من لبس
الصوف ، وركب الحمار ، وحلب العنز وجالس المساكين . من

حمل بضاعة فقد برىء من الكبر - يعني ما يشتري من السوق -
 من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله عز وجل اليه يوم القيامة . من رقع
 ذيله وخصف نعله وعفر وجهه فقد برىء من الكبر ، من كان
 له قميصان فليلبس احدهما وليكس الآخر اخاه . سيكون ناس من
 امتي يولدون في النعيم ويغذون به همتهم الوان الطعام والشراب
 ويمدحون بالقول اولئك شرار امتي . من ترك لبس الجمال - وهو
 يقدر عليه - تواضعاً لله عز وجل فقد لبس حلة الكرامة طوبى
 لمن تواضع لله تعالى في غير متقصه ، واذل نفسه في غير مسكنة ، وانفق
 مالا جمعه في غير معصية ، ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل
 الفقه والحكمة ، طوبى لمن صلحت سريرته وحسنة علانيته وعزل
 عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك
 الفضل من قوله ألبس الحشن من الباس والصفيق من الثياب
 لئلا يجد الفخر فيك مسلماً ، يكون في آخر الزمان قوم يلبسون
 الصوف صيفهم وشتاءهم يرون ان لهم الفضل بذلك على غيرهم اولئك
 يلعنهم ملائكة السماء والارض . الا اخبرك باهل الجنة ؟ قلت بلى
 يا رسول الله قال كل اشعث اغبوذى طمرين لا يؤبه به لواقسم على
 الله لا برة

عبد الله السبيتي

الفهرس

ج هذا ابوذر

د الاهداء

و تصدير

ح المقدمة

١ قبل الاسلام

٥ تأله

٨ اسمه ونسبه

٩ بدء اسلامه | تنكره للاصنام صلاته . مع اخيه انيس . ظهور النبي .
انيس في مكة . ابوذر في مكة صرخته بالشهادة . اول عائلة
في الاسلام . اسلامه وعلم النفس عودة ابي ذر . المناظرة

١٣١ على عهد عثمان

١٣٧ فى المدينة

١٤٥ فى الشام

١٥٦ الى المدينة

١٥٩ فى المدينة

١٦٣ الى الربذة

١٧٠ دفاع

١٧٩ لاشيوعية فى الاسلام

١٨٥ فى الربذة

١٨٦ المنية

١٩١ خاتمة

٥٤ الدعوة الى الاسلام

٦٣ عفار غفر الله لها

٦٦ حياته فى الاسلام

٧٠ حديثه

٧٥ علمه

٩٠ سيرته

٩٧ اخوه فى الاسلام

١٠٣ اخلاقه

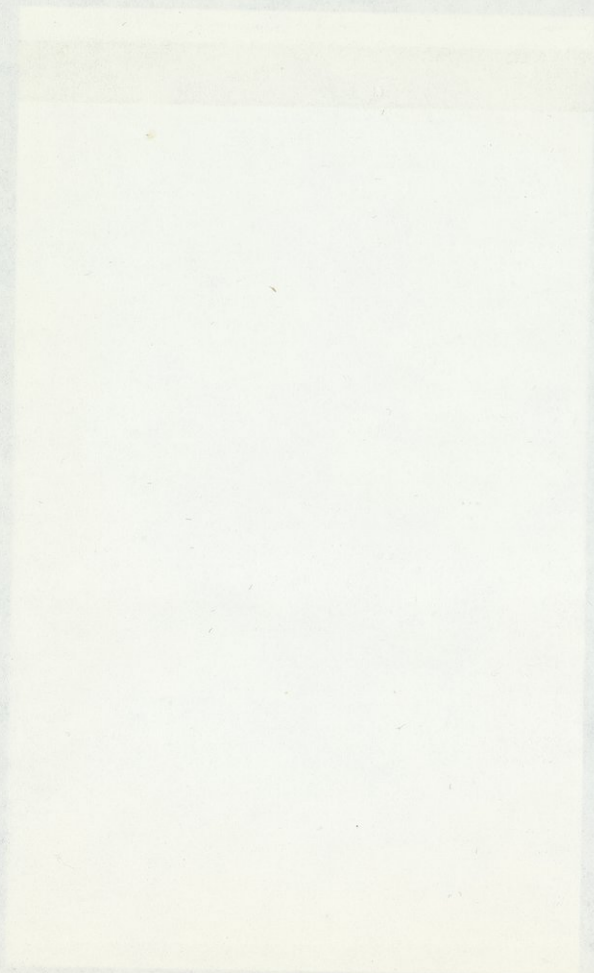
١١١ كن ابا ذر

١١٨ الماثور من كلامه

١٢٤ على عهد الخلفيتين

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٦	١٤	ويظعمونها	ويعضونها
٨	١٢	وصفة	وصفته
١٠	١٧	تظيف	نظيف
١١	٠٢	نيسران	ينصران
١٢	١١	بارلتها	بازلتها
٦٥	٠٩	وجه	وجهه
٧٠	٠٨	ونشرد	ونشر
١٠٧	٢١	يوم	ويوم
١١٥	١٥	لقارون	لهارون
١٢٨	٠٤	جعلتهم	جعلتم
١٢٩	٠١	يتحد	يتخذ
١٢٩	٠٦	السياسية	السياسة
١٣١	١٠	ضعفيا	ضعيفا
١٤١	١٠	وسياسية	وسياسة
١٤٤	٠٥	كتم	كنتم
١٤٤	١٠	ابلغ	بلغ
١٥٦	٦	اتصلا	اتصلاً
١٦١	٢	فاستشغني	فاستغشني
١٦١	١١	يصيبكم	يصبكم
١٦٦	٧	ارتقا	رتقا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٩٦	١٤	العبد عليها	ليعرض عليه
٢٠١	٢	المعرض	للعرض
٢٠١	٦	او جعل	واجعل
٣٠٥	٥	لورع	الورع



DATE DUE

FEB 15 2005

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

BP
80
•A225
S92

MAY 3 1976

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU55311040

BP80.A225 S92

Abu Dharr al-Ghifari